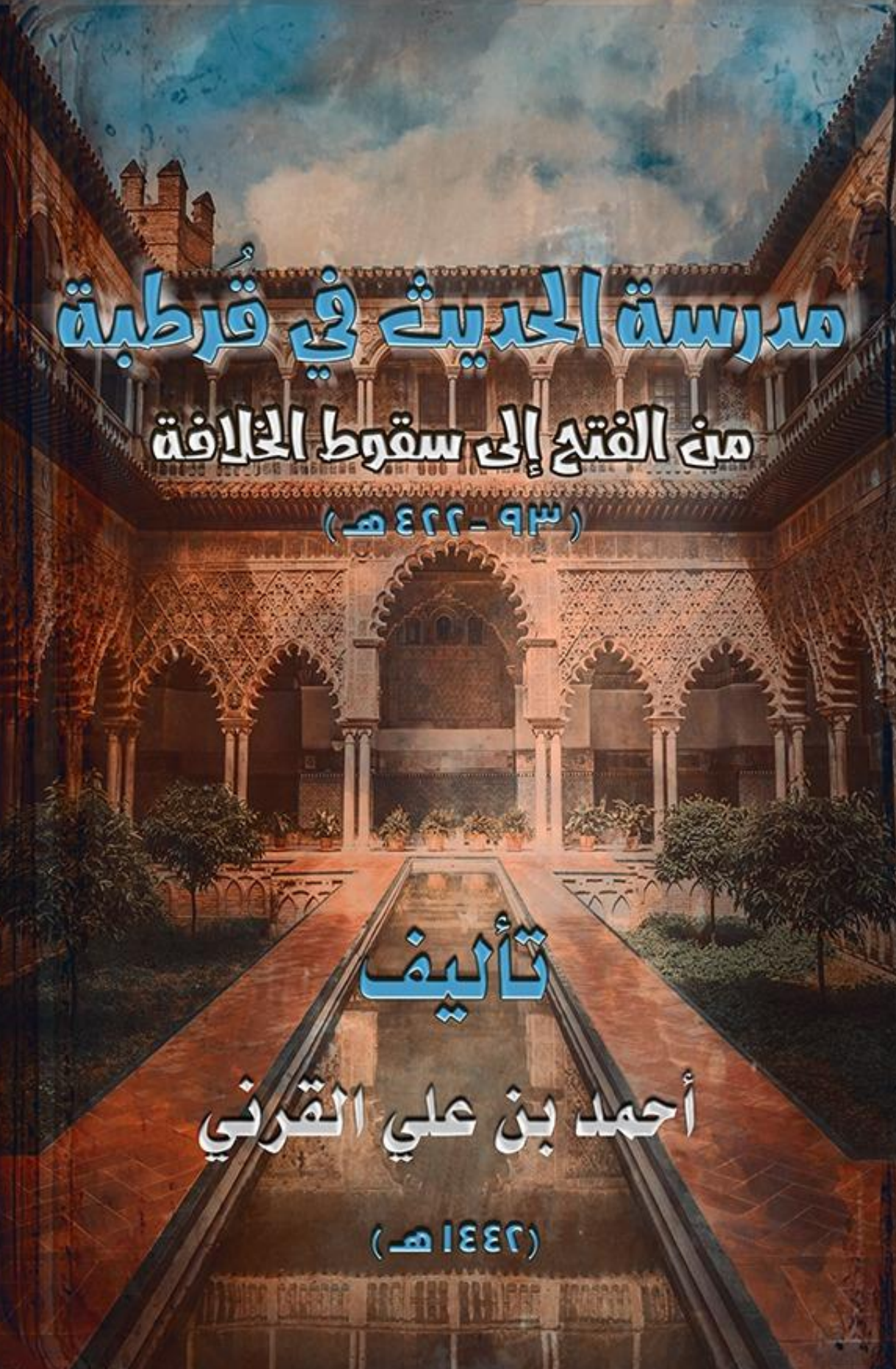
مدرسة الحديث في قُرطبة
من الفتح إلى سقوط الخلافة
(٩٣ - ٤٢٢ هـ)
تأليف
أحمد بن علي القرني
(١٤٤٢ هـ)

كِتـابٌ قَـدْ حَـوَىٰ دُرَرًا بِـرُوحِ العِلْـمِ مَشْـمُولَهْ

لِهَـذا قُلْـتُ تَشْـجِيعًا: حُقُـوقُ الطَّبْـعِ مَبْذُولَـهْ

الطبعةُ الثانيةُ

صفر ١٤٤٢ هـ

مُصحَّحةٌ ومُنقَّحةٌ

للتواصلِ معَ المؤلِّف

علىٰ البَريدِ الشَّبَكيِّ

DAL١٣٨٨@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

فضيلة الأستاذ الدكتور/ أكرم ضِياء العُمَري

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ علىٰ نبيِّنا الأمينِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ، وعلىٰ آلِه وصحبِه أجمعين.

أمَّا بعدُ؛

فتُعَدُّ مدرسةُ الحديث في قرطبة عند نشأتها امتدادًا لمدارس الحديث في المشرق التي قامت في المدينة المنورة والكوفة والبصرة، ثم بغداد ونيسابور وغيرها، فقد نُقلتْ تقاليدُ هذه المدارس الحديثيّة في طُرق الرواية وأساليب التأليف = بسبب رِحلة كبار المحدِّثين من أهل قرطبة إلىٰ بغداد واتِّصالهم بكبار مُحدِّثيها، وخاصةً بقيُّ بنُ مَخْلد القرطبي (ت٢٧٦هـ) ومحمدُ بنُ وضَّاح القرطبي (ت٢٨٧هـ) اللّذان يُعدَّان مُؤسِّسيْ المدرسة الحديثيّة في قرطبة.

ولكنّ المحدِّثين في قرطبة وبقيّة مراكز الحديث في مدن الأندلس كبلنسية وإشبيلية وإلبيرة وطليطلة بَرَعُوا في التآليف المبتَكَرَة التي اشتهروا بها وأثَّرت في الحركة الثقافية في عالم الإسلام، **مثل كتبِ: ابنِ عبدِ البرِّ القُرطبي** (ت٤٦٣هـ)؛ «الاستيعاب»، و«التمهيد»، و«الاستذكار»، و«جامع بيان العلم»، **وابنِ حزمٍ الظاهريِّ** (ت٤٥٣هـ)؛ «الفِصَل»، و«المحلَّىٰ»، **وابنِ الفَرَضِيِّ** (ت٤٠٣هـ)؛ «المؤتلف

والمختلف»، و«مشتبه النِّسبة»، و«تاريخ علماء الأندلس»، **والقاضي عياضٍ** (ت٥٤٤هـ)؛ «الشِّفا»، و«الإلماع»، و«ترتيب المدارك»، **والحُميديِّ** (ت٤٨٨هـ)؛ «جَذْوة المقتبِس في تاريخ علماء الأندلس»، **وابنِ الأَبَّارِ** (ت٦٥٨هـ)؛ «الحُلّة السِّيَراء»، وغيرُها كثيرٌ، ممّا يدلُّ علىٰ نُضْج الحركة الفكرية في الأندلس وتنوّع فنونها.

وعلىٰ الرُّغم من تدهور حالة قرطبة بعد سقوط الخلافة فيها سنة (٤٢٢هـ) إلّا أن تأثيرَها العِلميَّ في بقية مدن الأندلس لا يُمكن إغفالُه.

وتجدُرُ الإشارةُ إلىٰ الاختلافِ الكبيرِ في التعليم بين المشرق والأندلس، فالأندلسيّون يتعلّمون بأعدادٍ كبيرةٍ في الكُتّاب والمسجد، ويدفعون أجورَ معلِّميهم، حيث لم تنشأْ المدارسُ كما حصل في المشرق، مِن ظهور المدارس النِّظامية والجامعة المستنصرية وغيرِهما، ولكنّ الدافعَ نحوَ العلم كان قويًّا جدًّا؛ فقد استمدّ عالَمُنا من الإسلام ومبادئه في الاهتمامِ بالعلم والوعدِ بالأجر العظيم للعلماء = الشيءَ الكثيرَ، ممّا أقام الحضارةَ الإسلاميةَ الشامخةَ في القرون الأولىٰ الزاهرة، التي بوّأتِ الأمَّةَ الأُميّةَ لتكون في المركزِ الحضاريِّ الأولِ في العالَم يومئذٍ.

وقد ساعدَ الخلفاءُ علىٰ نموّ الحركة الفكرية برعايتِهم للعلماء، وإنشائِهم للمكتبات العظيمة، وخاصةً في قرطبة التي اشتهرتْ بمكتبتها الفريدة التي لم تكن تُضاهيها مكتبةٌ في أُوربّا ممّا جعلها مَقصِدًا للعلماء الغربيّين.

وقد اختار الدكتور/ أحمد بن علي القرني موضوعَ رسالته بعد تأمُّلٍ دقيقٍ في الدراسات الأندلسية التي أحاط بها، فوقف علىٰ ثغرةٍ فسدَّها، حيث لم تُوْلَ المدرسةُ الحديثيّةُ في قرطبة حقَّها من العناية، وهذا ما ينبغي أنْ يفعلَه كلُّ باحثٍ مُجِدٍّ؛ لِتكتملَ صورةُ تأريخنا من جوانبه المختلفة.

وبسببِ المعايشةِ الطويلةِ، وبذلِ جهدٍ كبيرٍ، وصبرٍ طويلٍ، نَضِجَتْ هذه الدراسةُ ولله الحمدُ.

وباللهِ تعالىٰ التوفيقُ.

أ.د. أكرم ضِياء العُمَرِي

المقدّمة

الحمدُ لله الذي أحصىٰ الخلائقَ عَدَدًا، وابتلاهم اليومَ لِيجزيَهم غَدًا. وبايَنَ بينهم في الصورِ والأخلاقِ، والأعمالِ والأرزاقِ، فمنهم: النبيهُ والخاملُ، والحالي والعاطلُ، والعالمُ والجاهلُ، ولا يَظلم ربُّك أحَدًا.

جعل لهم الأرضَ ذَلُولًا يَمشونَ في مناكبها، وخَصَّ بعضَ أقطارها بمزايا تدعو إلىٰ الاغتباطِ والاعتمارِ، وتملأ النفوسَ بالهيبةِ والإكبارِ. معالمُ للدين راسخة، ومناراتٌ للعلم شامخة، فسبحانَ من جعل التفاضلَ في المساكنِ والساكنِ، ولم يَترك شيئًا سُدًىٰ.

والصلاةُ والسلامُ علىٰ نبيِّ الهُدىٰ، الذي أوضح سبيلَ الحقِّ وكانتْ طرائقَ قِدَدًا. هاجر من أحبِّ البلادِ إليه إلىٰ بلادِ الهجرةِ والنُّصرةِ، فانتصرتِ الدعوةُ وانتشرتْ، حتىٰ بلغتْ ما زُوي له من المغربِ الأقصىٰ، فرَفعَتْ بكلِّ هَضْبَةٍ مَعْلَمًا، وبَنَتْ بكلِّ ساحةٍ مَسجدًا[1].

والرِّضَىٰ عن أصحابِه لُيُوثِ الوَغىٰ وسُمُومِ العِدَا، والتابعينَ، ومَن تبعَهم بإحسانٍ ما غابَ نجمٌ أو بَدَا.

أما بعدُ؛

فقد منَّ الله عليَّ بمننٍ عظيمة، وآلاءٍ كريمة، لا أحصيها ذِكْرًا، فضلًا عن تَوْفِيتها شُكرًا.

---

(١) ضمَّنت هذا الاستهلالَ فِقَرًا من كلام أديب الأندلس لسان الدين ابن الخطيب، الذي استهل به كتابَه «الإحاطة في أخبار غرناطة».

وأعظمُ هذه النِّعم - بعد نعمة الإسلام - طلبُ العلم الشرعيّ، الذي تحيا به القلوب، وتهتدي به النفوس، فهو الصيِّب الهتون الذي يَغْمر النفس بالراحة والسكينة.

كما وفّقني ﷻ للانضواءِ تحت لواء المشتغلين بالسُّنة النبوية المشرّفة، والسيرِ في ركابهم، وانتهاجِ طريقِهم؛ طريقِ الرَّشَد والسداد.

أولئك الذين هيّأهم اللهُ لخدمة سنّة نبيّه ﷺ فقاموا عليها خيرَ قيام، واشتغلوا بالبحث فيها، والتضلُّع من معانيها، وأمعنوا في التنقيب، وتقصّوا في التدقيق، وخاضوا عُبابَها، وأحصَوا مسائلَها، واستقرأوا دقائقَها، ومحّصوا حقائقَها، وجمعوا أشتاتَها، واستقصوا أطرافَها، واستخرجوا مخبآتِها، ووقفوا علىٰ أغراضِها، وأحاطوا بجميع علومِها إحاطةَ السِّوارِ بالمعصم.

حتىٰ بلغتْ الغايةَ في الدقة والتمحيص، والنهايةَ في الضبط والإتقان، ثم نهدوا بعد ذلك لبثّها ونشرها بين الناس، فلا يُحصىٰ كم مجلسٍ عُقد للسماع والإملاء، كما لا يُحصىٰ ما أُلّف في خدمة السُّنة النبوية كمًّا ونوعًا، سواءً في متون الأحاديث، أو فيما يخدمها من علوم وفنون.

ثم ما زالت طبقات المحدثين تتوالىٰ جيلًا بعد جيل، يأخذ فيها اللّاحق بأذيال السابق، في تسلسل رصين، وترابط متين.

وكان من رحمة الله تعالىٰ لهذه الأمة، وتفضُّله عليها، أن جعل العلم مبثوثًا في الأمصار، ولم يجعله محصورًا في قُطْرٍ من الأقطار، فهيّأ في كل قُطْرٍ أناسًا من أولي العرفان، وأهل التحصيل، وأرباب الاجتهاد، رحلوا

في سبيل العلم إلىٰ الأقطار الأخرىٰ، فجمعوا شاردَه، وقيّدوا آبدَه، في همّة عجيبة، ودقة بالغة، ثم رجعوا إلىٰ أمصارهم لينذروا قومهم، بعد أن تفقّهوا في الدين.

ولقد تفاوتت الأمصار في هذا الباب تفاوتًا عظيمًا، فمنها ما هو كالشمس في رائعة النهار، عمّت الأرض بنور العلم، ونشرت أشعة المعرفة بين القاصي والداني؛ وذلك لمكانة المصر، ووفرة العلماء فيه، وكثرة الراحلين إليه. ومنها ما هو دون ذلك في المكانة والمنزلة، درجاتٌ بعضُها فوق بعض.

ومن هذه الأمصار التي اشتهر ذِكرها، وفاح نَشْرها: مدينةُ قرطبة، قَصَبَةُ الأندلس وسريرُ مُلكها، ومحطُّ أنظار العلماء في المشرق والمغرب[(١)].

فقد أدّت هذه المدينةُ العظيمةُ خدماتٍ جُلّىٰ للعلم والعلماء، خلال القرون الثلاثة الأولىٰ من الفتح، لم تقتصر علىٰ أبناء قرطبة فحسب، بل تعدّىٰ نفعها إلىٰ مدن الأندلس الأخرىٰ قاطبة، إضافةً إلىٰ بعض مدن المشرق والمغرب.

---

(١) قال الشريف الإدريسي: مدينة قرطبة قاعدة بلاد الأندلس، وأم مدنها، ودار الخلافة الإسلامية، وفضائل أهل قرطبة أشهر من أن تذكر، ومناقبها أظهر من أن تُستر، وإليهم الانتهاء في السناء والبهاء، بل هم أعلام البلاد، وأعيان العباد... ولم تخل قرطبة قط من أعلام العلماء، وسادات الفضلاء. نزهة المشتاق ٢/ ٥٧٤، ٥٧٥.
وكان الأوروبيون يطلقون عليها: «**جوهرة العالم**». العلم وبناء الأمم ص (٣٩١).

ومن المجالات العلمية التي برّزت فيها قرطبة، وطاولت فيه غيرها من الأمصار = علومُ الحديث الشريف.

ولقد وقع هذا الأمر من نفسي موقعًا عظيمًا، أثناء اشتغالي بالسنة التحضيرية لمرحلة الماجستير.

وبعد البحث والنظر، واستشارة الأساتذة المتخصّصين، رأيت أن يكون موضوع بحثي عن الأندلس، وبالتحديد عن قرطبة، وذلك بدراسة الحديث والمحدّثين فيها.

إذ إنَّ دراسة «مدارس الحديث» في أمصار العالم الإسلامي المختلفة، ذات أهمية كبيرة، تعود علىٰ الحديث وعلومه بفوائد علمية عظيمة، **لعلَّ من أهمّها:**

* اكتشاف مراكز الحركة العلمية المؤثِّرة في العالم الإسلامي، وَفْق مكانتها العلمية الرائدة، باعتبارها مصدر إشعاع فكري، مما يتسنّىٰ - بالتالي - تطبيق شتىٰ المعايير العلمية المختلفة للحصول علىٰ نتائج إيجابية.

* معرفة مدىٰ التأثر والتأثير، الذي ينتج من خلال التواصل والاحتكاك العلمي بين الأمصار المختلفة.

* معرفة العلماء والروّاد الذين قادوا المدرسة، وأثّروا في مسيرتها العلمية، لفتح الباب علىٰ مصراعيه أمام الباحثين، كيما يدرسوا هذه الشخصيات بتأنٍّ وتوسُّع كبيرين.

* الوقوف علىٰ أنماط المدرسة المختلفة، سواء العلمية أو السلوكية

أو التنظيمية، والإفادة منها في حياتنا العلمية والعملية.

* الوقوف علىٰ الإضافات الجديدة التي أضافتها المدرسة في مضمار العلم نفسه.

* معرفة الشيوخ والتلاميذ، الذين توقف عندهم المحدّث أثناء رحلته وتطوافه علىٰ الأمصار، بدقة أكبر.

لهذا كلّه وغيره؛ قمت باختيار هذا الموضوع، علىٰ الرغم من ضخامته، وتشعُّب موارده في بطون أمّات الكتب والمصادر، وكان وراء هذا الاختيار - بالإضافة إلىٰ ما تقدم - أسبابٌ عدةٌ، دعتني إلىٰ الولوج في غمار هذا البحث، **منها:**

* أن الأندلس بعامة، وقرطبة علىٰ وجه الخصوص، ظلت غُفْلًا من الدراسات الحديثية المتخصّصة، مع أنها تمثِّل ثِقَلًا علميًا كبيرًا بين غيرها من الأمصار في الشرق والغرب.

* تجلية بعض الأمور، وكشف كثير من اللبس الذي اكتنف التاريخ العلمي لتلك البلاد، والتي ظهرت لي من خلال دراسات علمية سابقة في مجالات شتىٰ من العلوم، لعل من أكثرها شيوعًا ودورانًا، أن الأندلس لم تتميز في خط سيرها العلمي، وإنما ركنت إلىٰ التقليد والمتابعة للمشارقة في كل شيء، وأنها تدثّرت لبوسَ الأمصار الأخرىٰ، ولم تأت بجديدٍ تضيفه إلىٰ الحركة العلمية في العالم الإسلامي. إضافة إلىٰ ظن كثير من الدارسين أن قرطبة دار فقه فحسب، ولا علاقة لها بالحديث.

❊ أن قرطبة كانت عاصمة الأندلس، وقطب الرَّحىٰ لجميع المدن الأندلسية طوال الحِقْبة الزمنية المعنية بالدرس، إضافة إلىٰ تقلّدها الخلافة من سنة (٣١٦هـ) إلىٰ سنة (٤٢٢هـ) إبّان ضعف الخلافة العباسية في المشرق، مما كان له أكبرُ الأثر علىٰ الحياة العلمية بها، وقد أُلِّفتْ في ذلك أطروحاتٌ عدةٌ.

❊ كثرة المؤلفات والأطروحات العلمية، التي تناولت الأندلس وقرطبة في ميادين الثقافة والفكر عامة، دون أن تتعرض للناحية الحديثية بها، أو تعرّضت لها، لكن بإيجاز لا يَشفي الغُلّة، ولا يَكسِرُ سَوْرَةَ المتشَوِّف[(١)].

---

(١) ومن تلك المؤلفات والأطروحات:

١- تاريخ الفكر الأندلسي: لآنخلْ جُنثالث بالنثيا، ترجمه من الإسبانية إلىٰ العربية: د. حسين مؤنس، وهو مطبوع.

٢- التيارات الثقافية بين الأندلس والمشرق وأثرها في الحركة العلمية في الأندلس (أطروحة دكتوراه): للباحث محمود علي مكي.

٣- تاريخ التعليم في الأندلس (أطروحة دكتوراه): للباحث محمد عبد الحميد عيسىٰ، المقدمة لكلية الآداب بجامعة الأوتونوما بمدريد، وهي مطبوعة.

٤- الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس (أطروحة ماجستير): للباحث سعد بن عبد الله البشري، المقدمة لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرىٰ، وهي مطبوعة.

٥- الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس (أطروحة دكتوراه): للباحث نفسه، وهي مطبوعة.

٦- الحياة العلمية في قرطبة في عهد الناصر والمستنصر (أطروحة دكتوراه): للباحث مصطفىٰ محمد عبد الحميد، المقدمة لكلية اللغة العربية بالقاهرة.

=

* التذكير بذلك الصِّقع الإسلامي العظيم، وبما كان يضطلع به من دور علمي رائد، في تلك الحقبة المباركة، حقبةِ القرون المفضّلة، لا سيما وأنه قد سقط في أيدي الفرنجة النصارىٰ في أوائل القرن السابع الهجري، وبالتحديد سنة (٦٣٣هـ) وهي فترة كافية للنّسيان.

* توقُّع الخروج بنتائج علمية كبيرة من خلال البحث في هذا الموضوع المتشعّب، وهو ما حصل بالفعل، ولله الحمد والمنّة.

* قلّة الدراسات الحديثية التي ظهرت عن الأندلس، إضافة إلىٰ أنها قد ركّزت علىٰ شخصيات بعينها، ولم تتناول الجوانب المختلفة للمدرسة الحديثية بالأندلس[1]، أما مدرسة الحديث بقرطبة في الحقبة

=

٧- الحياة السياسية والفكرية بالأندلس في القرن الثالث الهجري (أطروحة دكتوراه): للباحث عبد المنعم حامد الصاوي، المقدمة لكلية اللغة العربية بالقاهرة.

٨- الحضارة الإسلامية بالأندلس في عهد الخليفة الناصر (أطروحة ماجستير): للباحث نفسه، المقدمة لكلية اللغة العربية بالقاهرة.

(١) من هذه الدراسات:

* أطروحة الماجستير التي تقدم بها الباحث إسماعيل الندوي عام (١٣٨٤هـ) لكلية العلوم بمصر، وكان عنوانها «ابن عبد البر القرطبي وأثره في الحديث والفقه».

* ثم تلتها أطروحة الدكتوراه التي تقدم بها الباحث صالح أحمد رضا لكلية أصول الدين بالأزهر عام (١٣٩٠هـ)، وكان عنوانها «مدرسة الحديث في الأندلس وإمامها ابن عبد البر»، والرسالة في مجملها دراسة عن ابن عبد البر.

* ومن بعده كتب الباحث نوري معمر، أطروحته لنيل دبلوم الدراسات العليا في العلوم الإسلامية من دار الحديث الحسنية بالرباط عام (١٣٩٦هـ) وكان عنوانها «محمد بن وضاح القرطبي مؤسس مدرسة الحديث بالأندلس مع بقي بن مخلد»، وهي مطبوعة.

* ثم تلا ذلك رسالة الماجستير التي تقدم بها الباحث الطاهر بن الصادق الأنصاري، إلىٰ جامعة أم القرىٰ عام (١٣٩٧هـ) وكان عنوانها «ابن عبد البر النمري محدثًا».

=

المعنية بالدرس فلم يتعرض لها أحدٌ حسب علمي[(١)].

ولست بِدْعًا من الناس في طرْق هذا اللون من الدراسات الحديثية، ولا أزعم أني قد أتيت بمنهجٍ جديدٍ، فقد سبقتْني مجموعةٌ من الدراسات العلمية عن مدارس الحديث في أمصار مختلفة، تناول فيها أصحابُها تلك المدارس وَفقَ تصوراتٍ ومناهجَ متباينة؛ لأن طبيعة كل مصرٍ، والفترة المعنيّة بالدرس فيه، والمادة العلمية المتوفرة، كلُّ ذلك له تأثير بالغ في خط سير تلك الدراسات، ومنهج العمل فيها، ومن ثَمَّ النتائج التي يتوصل إليها الباحث[(٢)].

=

* وكذلك أطروحة الدكتوراه التي تقدم بها الباحث نوري معمر إلىٰ دار الحديث الحسنية نفسها، وكانت عن «بقيّ بن مخلد، إمام الحديث في الأندلس»، وقد طبعت بعد ذلك بعنوان «الإمام أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد، شيخ الحفاظ بالأندلس».

(١) كتب الأستاذ خالد الصمدي رسالة جامعية لنيل دبلوم الدراسات العليا من شعبة الدراسات الإسلامية، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط وعنوانها: «حركة الحديث بقرطبة خلال القرن الخامس الهجري، أبو محمد عبد الرحمن بن عتاب نموذجًا» وقد طبعت، وهي كما هو ظاهر من عنوانها خارج نطاق بحثي الزمني؛ حيث تناولت القرن الخامس الهجري، كما أنها ركزت علىٰ دراسة ابن عتاب كأنموذج لتلك الفترة.

(٢) بدأ الاهتمام بهذا الجانب منذ أكثر من ثلاثين سنة، وبالتحديد سنة (١٩٧٥م) عندما قدم الدكتور محمد رشاد خليفة أطروحته لنيل الدكتوراه عن:

* «مدرسة الحديث في مصر بعد سقوط بغداد إلىٰ نهاية القرن العاشر الهجري» وذلك لكلية أصول الدين بالأزهر.

* ثم تلاه الدكتور أمين محمد سليمان قضاة، فكتب أطروحته عن «مدرسة الحديث بالبصرة» وقدمها عام (١٩٨٠م) للكلية نفسها، وهي مطبوعة.

* وكذلك الدكتور شرف محمود سليمان الذي قدم أطروحته عن «مدرسة الحديث في

=

وقد اقتضتْ طبيعةُ البحث أن يكون في **مقدمة**، ثم **تمهيد**، تناولت فيه التعريف بقرطبة من حيث فتحُها وموقعُها وخِططُها وآثارُها، ثم عرّجت علىٰ الحالة السياسية فيها، وكذلك الحالة الاجتماعية

=

الكوفة» عام (١٩٨٠م) أيضًا، وللكلية نفسها.

* ثم تلاهم الدكتور جلال الدين إسماعيل حسن عجوة، الذي قدم أطروحته للدكتوراه سنة (١٩٨٢م) للكلية نفسها، وكانت بعنوان «السُّنَّة النبوية في القرن الرابع، وأثر عبد الغني بن سعيد علىٰ مدرسة الحديث بمصر».

* وكذلك الدكتور محمد بن عزوز الذي قدم أطروحته لنيل الدكتوراه عن «مدرسة الحديث في بلاد الشام خلال القرن الثامن الهجري»، من دار الحديث الحسنية بالمغرب.

* ثم كتب الدكتور حسين بن محمد شواط أطروحته للماجستير عن «مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلىٰ منتصف القرن الخامس الهجري»، وتقدم بها لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام (١٤٠٧هـ)، وطبعت في مجلدين، وقد بذل فيها الباحثُ جُهدًا كبيرًا.

* ومن قبله كتب بعض الباحثين عن «الحديث بإفريقية من القرن السادس إلىٰ القرن الثامن». **انظر**: مدرسة الحديث في القيروان ١/ ١٢.

* ثم جاءت هذه الدراسة التي تقدمتُ بها لنيل درجة الماجستير من كلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام (١٤١٤هـ)؛ لتكمل الطريق ذاته الذي انتهجه هؤلاء الباحثون الفضلاء.

وما زال البابُ مفتوحًا والحاجة ماسّة إلىٰ دراسة أمصارٍ أخرىٰ مهمة مثل: مكة، والمدينة، وبغداد، ودمشق، وبخارىٰ، وسمرقند، وقزوين، وغيرها، التي كانت تمثل دورًا مهمًا في حركة الحديث في العالم الإسلامي آنذاك.

قلتُ: وقد لبّىٰ هذه الرغبة الشيخ محمد الثاني عمر موسىٰ، فكتب بعد ذلك أطروحته عن «المدرسة الحديثة في مكة والمدينة وأثرها في الحديث وعلومه، من نشأتها حتىٰ نهاية القرن الثاني الهجري» ونال بها درجة الدكتوراه من كلية الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام (١٤٢٦هـ)، وهي مطبوعة.

والعلمية، كلُّ ذلك باختصار.

ثم أتبعتُ ذلك بثلاثة أبواب وخاتمة وفهارس، تخدم القارئ والباحث، وتيسّر الوصول إلىٰ المقصود بأيسر مجهود.

أمَّا البابُ الأولُ - وهو أطولُها - فقد اشتمل علىٰ أربعة فصول تفرّعت عنها مباحث ومطالب متعدّدة، وقد جاء كالتالي:

الفصل الأول: مراكز تدريس الحديث ونشره.

الفصل الثاني: كتب الحديث وعلومه، وطرق تدريس الحديث ونشره. وقد تضمّن مبحثين:

المبحث الأول: أشهر كتب الحديث وعلومه التي دخلت قرطبة.

المبحث الثاني: طرق تدريس الحديث ونشره.

الفصل الثالث: النظام الدراسي وآداب الطلاب بها. وقد اشتمل علىٰ مبحثين أيضًا:

المبحث الأول: النظام الدراسي للطلاب.

المبحث الثاني: آداب الطلاب وسلوكياتهم.

ثم تلاه **الفصل الرابع** وهو: دور الدولة في حركة الحديث بقرطبة. وقد تضمّن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: دخول الأمراء والخلفاء وأتباعهم في طلب الحديث.

المبحث الثاني: اهتمام الدولة بالمحدّثين. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: رِفعة منزلتهم في الدولة والصدور عن رأيهم.

المطلب الثاني: حماية الدولة للمحدّثين.

المطلب الثالث: عَطاء المحدّثين وصِلاَتهم.

المبحث الثالث: اهتمام الدولة بأماكن التدريس وكتب الحديث.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اهتمام الدولة بأماكن التدريس.

المطلب الثاني: اهتمام الدولة بكُتب الحديث.

أما **الباب الثاني** فقد تحدثت فيه عن أشهر المحدّثين في قرطبة، وبيان جهودهم العلمية والتربوية. وقد اشتمل علىٰ ثلاثة فصول، هي لبّ المدرسة الحديثية في قرطبة، وخلاصة نتاجها.

أما **الفصل الأول** فكان عن التعريف بأشهر المحدّثين في قرطبة.

ثم تلاه **الفصل الثاني** وهو عن جهود المحدّثين العلمية. وقد اشتمل علىٰ ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقف علماء قرطبة من الحديث وفقهه.

المبحث الثاني: مؤلفاتهم في الحديث وعلومه.

المبحث الثالث: آراؤهم ومشاركاتهم في علوم الحديث، ونقد الرجال. وقد تضمّن هذا المبحث الأخير مطلبين:

المطلب الأول: آراؤهم ومشاركاتهم في علوم الحديث.

المطلب الثاني: آراؤهم ومشاركاتهم في نقد الرجال.

أما **الفصل الثالث** فقد تناولت فيه جهود المحدثين التربوية وعلاقاتهم بطلابهم.

ثم تلا ذلك **الباب الثالث** والأخير، وقد تحدّثت فيه عن الصِّلات العلمية لمدرسة الحديث في قرطبة. وقد مهّدت له بتمهيدٍ يسيرٍ، وأدرجت فيه فصلين:

أما **التمهيد** فكان عن الرحلة وأثرها في الصلات العلمية لمدرسة الحديث بقرطبة. وقد تحدّثت فيه عن الرحلة من خلال ثلاث نقاط.

ثم أتبعته **بالفصل الأول** وهو عن صِلات مدرسة الحديث القرطبية بغيرها من الأمصار، والذي تضمّن مبحثين:

المبحث الأول: طلاب قرطبة الذين رحلوا إلىٰ الأمصار، وأبرز المحدّثين الذين سمعوا منهم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: طلاب الحديث الذين رحلوا من قرطبة، والمدن التي دخلوها.

المطلب الثاني: أبرز العلماء الذين سمع منهم طلاب الحديث القرطبيون في المغرب والمشرق.

أما المبحث الثاني: فكان عن الفوائد التي حصّلها الطلاب أثناء الرحلة، وأثرها الإيجابي عليهم.

وقد جاء **الفصل الثاني** في الباب ليتحدث عن صلات الأمصار الأخرىٰ بمدرسة الحديث القرطبية. وقد جعلته في توطئة ومبحث واحد.

أما **التوطئة** فتناولت فيها: أهمية قرطبة عند طلاب الحديث بالأندلس، ومدىٰ اهتمام محدّثي قرطبة بالطلاب الوافدين.

ثم تلا ذلك **المبحث الوحيد** في هذا الباب، والذي كان عن هجرة الأندلسيين والمشارقة إلىٰ قرطبة، وأبرز المحدّثين الذين سمعوا منهم بها. وقد اشتمل علىٰ مطلبين:

المطلب الأول: هجرة الأندلسيين والمشارقة إلىٰ قرطبة، والمدن التي هاجروا منها.

المطلب الثاني: أبرز المحدّثين الذين سمع منهم الغرباء في قرطبة.

ثم أنهيتُ الرسالةَ **بخاتمةٍ** ذكرتُ فيها أهم نتائج البحث، مذيّلًا إياها بفهرسٍ للمصادر وآخرَ للمواضيع.

منهجي في البحث:

❋ اعتمدتُ في جمع المادة العلمية للبحث علىٰ طريقة التتبّع والاستقراء، فقمتُ بجرد المطوّلات من كتب الرجال والتراجم والتاريخ والطبقات العامة والخاصة؛ بغيةَ الحصول علىٰ المادة العلمية اللازمة، وقد استغرق ذلك مني وقتًا طويلًا.

❋ ثم أخذتُ بترتيبها علىٰ الأبواب والفصول والمباحث، وحاولت تقرير النص في محلّه الصحيح، دون مبالغة في الاستدلال به، أو تحميله ما لا يحتمل، مكرِّرًا إياه في مواطن أخرىٰ تقتضيه، إن استدعىٰ الأمر ذلك. كما اعتمدتُ المنهجَ التحليليَّ الوصفيَّ في كتابة هذا البحث.

❋ وقد تنوّعتْ موارد هذا البحث، ما بين مصادر قديمة، ومراجع حديثة معاصرة، بيد أني حاولت الاستفادة من الأولىٰ ما أمكن، ولم أُغفل الثانيةَ من حسابي، بل رجعت إليها واستفدت منها في مواضعها

المتوخَّاة، بعد التثبّت - غالبًا - من صحة الأدلة وسلامة الاستدلال.

❊ اعتمدتُ بشكل كبير علىٰ المصادر الأندلسية، خصوصًا كتاب «**تاريخ علماء الأندلس**»، للحافظ الجهبذ أبي الوليد ابن الفرضي، وهو عمدة مؤرِّخي الأندلس فيما يتعلق بالتراجم والرجال. إضافة إلىٰ كتاب «**ترتيب المدارك**» للقاضي عياض اليحصبيّ، فقد كان يفرد بابًا مستقلًا لتراجم الأندلسيين في كل طبقة من طبقات كتابه الجليل. ثم كتاب «**جذوة المقتبس**»، للحافظ الحميدي، وهو كتابٌ عامٌّ في تراجم الأندلسيين.

والسببُ في اعتماد هذه المصادر، يعود إلىٰ أنّ أصحابها من حُفّاظ الحديث المبرِّزين، إضافة إلىٰ احتفالهم بسير المحدثين وأخبارهم.

❊ كما هو واضح من العنوان، فإن الكلام في هذا البحث؛ منصبّ علىٰ الحديث والمحدّثين في قرطبة دون غيرها من الأمصار الأندلسية الأخرىٰ. والضابط في تحديد (القُرطبي) هنا، هو من استوطن قرطبة، سواء أكان من أهلها أم من الطارئين عليها، أمَّا مَنْ كان أصله من قرطبة، لكنه هاجر منها وتركها، فلا يدخل في موضوع بحثي؛ لأن الغرض هنا ليس الشخص نفسه؛ وإنما المدرسة العلمية، بكل مدلولاتها ومضامينها، في الحِقبة المعنيّة بالدرس.

❊ التزمتُ بالفترة الزمنية للرسالة، وهي من فتح قرطبة سنة (٩٣هـ) إلىٰ سقوط الخلافة بها سنة (٤٢٢هـ) بحيث تكون الأحداث والقضايا المطروحة؛ ضمن هذه الفترة لا تتعدّاها، أما وفيات الأعلام فقد

حرصت علىٰ ألا تتجاوز سنة (٤٢٢هـ)، وقد تتجاوز ذلك أحيانًا.

* لا أَعرِضُ كلَّ ما وقفت عليه من أمثلة وشواهد عند طرح فكرة مّا أثناء البحث، وإنما أستعرض ما أراه كافيًا للبرهنة عليها وإثباتها.

* لم ألتزم بترجمة الأعلام الوارد ذكرُهم في تضاعيف الرسالة، وذلك لكثرتهم من جهة؛ ولأن أسماءهم إنما جاءت عَرَضًا في السياق؛ للتدليل علىٰ أمر مّا، ولم أقصد إليها قصدًا من جهة أخرىٰ. لكنني ربما أتبعت العلَم شيئًا من بيان حاله عند الحاجة، للكشف عن منزلته في الحديث وعلومه عند الخفاء، وذلك بجملة معترضة.

أما أولئك الأعلام الذين قصدتُ إليهم قصْدًا، فقد أفردتُ لهم تراجمَ مستفيضةً في فصلٍ مستقلٍّ.

* لم أتّبع ترتيبًا معينًا أثناء سياق أسماء الأعلام للتدليل علىٰ فكرة مّا، مع التزامي بإيراد سنة الوفاة إن وُجِدت.

* قمتُ بتحويل التواريخ الهجرية والميلادية، الواردة في المصادر والمراجع من حروف إلىٰ أرقام، تسهيلًا علىٰ المطالع.

* قمتُ بتخريج الأحاديث التي ورد ذكرها في البحث تخريجًا مختصرًا، مع بيان حالها صحةً وضعفًا، دون تطويل.

وفي الختام، أشكر اللهَ العظيمَ الكريمَ، الذي أسبغ عليّ نِعَمَهُ ظاهرةً وباطنةً، حتىٰ تمكنتُ من إنجاز هذا البحث، فله الحمد والشكر عددَ خلقه، ورضا نفسه، وزِنةَ عرشه، ومِدادَ كلماته.

كما لا يَسعني إلّا أن أتوجّه بالشكر الجزيل، لكلِّ مَنْ أسدىٰ إليّ معروفًا، أو قدّم لي نُصحًا أو مَشورةً؛ امتثالًا لقوله ﷺ: «لا يشكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ الناسَ»(١).

سائلًا المولىٰ جَلَّوَعَلَا أن أكون قد وُفّقتُ لإيفاء هذا الموضوع الكبير حقّه من البحث والدرس، فإنْ أصبتُ فمِن الله وحده، وإن أخطأتُ فمِن نفسي ومِن الشيطان، والكمال عزيز، وبحسبي أني قد بذلتُ فيه قُصارىٰ جهدي، وغايةَ وسعي؛ وجُمّاعَ طاقتي.

لكـنَّ قـدرةَ مِثلـي غيـرُ خافيـةٍ والنملُ يُعذرُ في القَدْرِ الذي حَمَلَا!

كما أسأله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يجعلَ هذا العمل لوجهه خالصًا، ولذنوبي ماحيًا، وألّا يجعل لأحدٍ فيه شيئًا، إنه سميعٌ قريبٌ مجيبٌ.

وقد تمّ الفراغ من هذا العمل عامَ أربعةَ عشرَ وأربعمائةٍ وألفٍ من الهجرة النبوية الشريفة، ثم جرت عليه بعد ذلك تعديلاتٌ وإضافاتٌ كثيرةٌ في مجالسَ متعدِّدة، كان آخرَها ليلةُ الأربعاء الثامن عشر من شهر

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في مواضع من المسند برقم (٧٥٠٤) و(٧٩٣٩) و(٨٠١٩) و(٩٠٣٤) و(٩٩٤٤) و(١٠٣٧٧)، والبخاري في الأدب المفرد (صحيحه للألباني) ص (٩٩) رقم (١٦٠)، وأبو داود في السنن، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف ٥/ ١٥٧، ١٥٨ (٤٨١١)، والترمذي في السنن، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ٤/ ٢٩٨، ٢٩٩ (١٩٥٤) كلهم من طرقٍ عن محمد بن زياد عن أبي هريرة مرفوعًا، وإسناده صحيح. **وانظر**: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/ ٧٧٦ (٤١٦).

ربيع الأول من عام تسعةٍ وعشرينَ وأربعمائةٍ وألفٍ للهجرة، بطيبة المباركة، حرسها اللهُ بمنِّه وكرمه.

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله رب العالمين.

وكتب

أحمد بن علي بن أحمد القَرْني

الأستاذُ بكلية الحديث الشريف

بالجامعة الإسلامية، بالمدينة النبوية

التَمهِيد

التعريف بقرطبة

ويتناول ما يلي:

أولًا: (موقعها – خِطَطها وآثارها – فتحها).

ثانيًا: الحالة السياسية.

ثالثًا: الحالة الاجتماعية.

رابعًا: الحالة العلمية.

أولا: موقعها

تقع قرطبة[١] في ساحل متّسع علىٰ الضفة الشمالية من النهر الكبير، أو الوادي الكبير، وعلىٰ سفح جبل يُسمّىٰ (جبل العروس)[٢].

وموقعها هذا جيّد؛ إذا ما نظرنا لموقع العاصمة السابقة (إشبيلية)؛ فإنها - أعني: قرطبة - تتوسط القطاع الجنوبي من الأندلس، كما كانت طرق المواصلات والتجارة تنبع منها إلىٰ جميع أطرافه، وتنصبّ فيها من جميع مدنه[٣].

ويحدُّ قُرطبة من الغرب (إشبيلية)، ومن الشرق (جيان)، ومن الشمال مرتفعات (جبل العروس)، ومن الجنوب (مالقة)، ومن الجنوب الشرقي (غرناطة).

وتُقدَّر مساحة قرطبة في عصر الخلافة بنحو (٥٠) مليونًا من الأمتار المربعة، أو ما يقارب (١٢٥٠٠) فدّانًا؛ أي: ثمانية أضعاف مساحة

---

(١) قرطبة، بضم أولها، وسكون ثانيها، وضم الطاء المهملة أيضًا والباء الموحَّدة، قيل: أنها تعريب لاسمها الذي كان قرظُبة - بالظاء المعجمة - وهو يوناني، وهي اللغة المستعملة عند القُوط. ومعناه بلغتهم القلوب المختلفة، وقيل: القلوب المشكِّكة، وقيل: أُجر ساكنها، وقال د. أحمد فكري: أغلب الظن أن اسم قرطبة القديم كان (كُردبا)، وهو الذي ما زالت تُعرف به في اللغة الإسبانية. انظر: معجم البلدان ٤/ ٣٢٤، والروض المعطار ص (٤٥٨)، ونفح الطيب ١/ ٤٥٨، ٤٥٩، ٥٤١، وقرطبة في العصر الإسلامي ص (١٦٨).

(٢) قرطبة في العصر الإسلامي ص (١٦٩).

(٣) انظر المرجع نفسه.

المدينة الحالية علىٰ الأقل[١].

وقال الحميري: طولها من غربيّها إلىٰ شرقيّها ثلاثة أميال، وعرضها من باب القنطرة إلىٰ باب اليهود ميل واحد[٢].

وقرطبة مشتملة في الأصل علىٰ خمس مدن، بين كل مدينة ومدينة سورٌ حاجز، وفي كل مدينة ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمّامات وسائر الصناعات، والمدينة الوسطىٰ هي التي فيها القنطرة والجامع، أما المدن الأربعة الباقية فهي (الشقندة) وتقع في الجنوب عبر الوادي الكبير، و(الزاهرة) في الشرق، و(الرصافة) في الشمال، و(الزهراء) في الغرب[٣].

(١) **انظر**: المرجع نفسه ص (١٨٩).

(٢) الروض المعطار ص (٤٥٦).

(٣) **انظر**: نزهة المشتاق ٢/ ٥٧٥، والروض المعطار ص (٤٥٦)، وقرطبة في العصر الإسلامي ص (١٦٩، ١٧٠).

خِطَطها وآثارها

كانت قرطبة في بداية أمرها صغيرة، ترسم شكلًا قريبًا من المستطيل، طول قاعدته التي تمتدّ من الشرق إلىٰ الغرب، في محاذاة الضفة الشمالية للنهر حوالي كيلومتر واحد، وهي الضلع الجنوبي لهذا المستطيل، وطول الضلع المقابل له، شمالي المدينة يبلغ نحو ذلك، وطول كل من الضلعين الشرقي والغربي، الممتدين من النهر شمالًا، حوالي كيلومتر ونصف[(١)].

هذه هي حدود المدينة في عهدها الإسلامي الأول، فلما أصبحت عاصمة للدولة، وتدفّق إليها الناس، وأخذ عدد سكانها يزداد اطرادًا، أخذت تمتدّ في كل اتجاه، فتكوّنت المدينة الثانية شرقًا ثم المدينة الثالثة شمالًا، ثم الرابعة والخامسة غربًا وجنوبًا، كما تقدم بيانه[(٢)].

ثم أخذ الأمراء والخلفاء، والناس من بعدهم في تعميرها وتحسينها وتنافسوا في ذلك؛ حتىٰ بلغت الغاية في الحسن، والنهاية في التنظيم والإتقان.

فأُنشئت بها الأسوار، والأبواب، والأرصفة، والأسواق، والقناطر، والجسور، والسكك، والقصور، والمُنىٰ، والمنتزّهات، والحوانيت، والحمامات، والمكاتب، ومن قبل هذا المساجد، وأعظمها مسجد قرطبة الجامع.

---

(١) **انظر**: قرطبة في العصر الإسلامي ص (١٧٠).

(٢) المرجع نفسه ص (١٧١، ١٧٢) بتصرف.

وما زال الأمر يتنامىٰ ويطّرد حتىٰ غدت قرطبة واحدة من أعظم بلاد الدنيا جلالة وفخامة.

قال ابن سعيد المغربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن العمارة اتّصلت في مباني (قرطبة) و(الزهراء) و(الزاهرة)، بحيث إنه كان يُمشىٰ فيها لضوء السُّرُج المتصلة عشرة أميال[(١)].

وقال ابن حوقل: وأعظم مدينة بالأندلس: قرطبة، وليس بجميع المغرب لها شبيه، ولا بالجزيرة والشأم ومصر ما يدانيها في كثرة أهل، وسعة رقعة، وفسحة أسواق، ونظافة محالّ، وعمارة مساجد، وكثرة حمّامات وفنادق[(٢)].

أما أرباضها فقد اتفق المؤرّخون والرحّالة علىٰ أن عدد - التي كانت تشملها مدينة قرطبة العظمىٰ - واحدٌ وعشرون ربضًا، وقيل: ثمانية وعشرون[(٤)].

أما المساجد: فقد انتهت مساجدها في أيام عبد الرحمن الداخل - أو أمرائها - إلىٰ (٤٩٠) مسجدًا، ثم زادت بعد ذلك حتىٰ بلغت آلافًا[(٥)].

---

(١) نفح الطيب ١/ ٤٥٦، ولم أجد هذا النص في «المُغرِب» لابن سعيد.

(٢) صورة الأرض ص (١٠٧).

(٣) **الأرباض:** جمع رَبَضَ، وهو الناحية من الشيء، وما حول المدينة. القاموس المحيط، مادة: (ربض)، ص (٨٢٨)، والمعجم الوسيط ١/ ٣٢٣.

(٤) **انظر:** فتح الطيب ١/ ٥٤٠، وقرطبة في العصر الإسلامي ص (٧٢).

(٥) لقد تحدثت عن عدد المساجد وأعظمها بتوسع في الفصل الخاص بأماكن التعليم في قرطبة.

أما دُورُها وحوانيتها وحمّاماتها فقد أُحصيت الدور فبلغت (١١٣٠٧٧) دارًا، وهذه هي دُور الرعيّة، أما دُور الأكابر والوزراء والكتّاب والأجناد، وخاصة الملك فقد بلغت (٦٠٣٠٠) دارًا.

كما بلغت الحوانيت (٨٠٤٥٥) حانوتًا، أما الحمّامات المُبْرَزَة للناس، فقد ذكر المقري أن عددها كان (٧٠٠) وقيل (٣٠٠) حمّام[(١)].

هذا فضْلًا عن قصر الخلافة وما اشتمل عليه من روائع وبدائع، والمُنىٰ والمنتزهات والأسوار والأبواب والمكاتب وغيرها.

لكن الذي يستوقف المتأمل هنا، هو تلك القنطرة التي كانت تصل المدينة العتيقة بالربض القبلي وشقندة، والتي أقيمت فوق نهر الوادي الكبير.

وقد كانت قائمة قبل دخول المسلمين لكنها كانت منهارة، لا أقواس بها ولا شُرُفات، ولم يتبيّن منها غير أرجلها وأسافلها، لكنّ أمراء الأندلس ما زالت تتعاهدها بالإصلاح والتهذيب، حتىٰ انتهت علىٰ يد الحكم المستنصر في سنة (٣٦٠هـ)، وما زالت هذه القنطرة قائمة إلىٰ اليوم، ويبلغ طولها (٢٢٣) مترًا، وعرض سطحها قريبًا من (٨) أمتار، وارتفاع عقودها فوق الأرجل قريبًا من (١٥) مترًا[(٢)].

---

(١) **انظر**: نفح الطيب ١/ ٥٤٠ فما بعد، وأزهار الرياض ٢/ ٢٧٢، وقرطبة في العصر الإسلامي ص (١٨٥).

(٢) قرطبة في العصر الإسلامي ص (١٧٥).

وما زال الشعراء يذكرونها علىٰ أنها إحدىٰ مزايا قرطبة مع الجامع والزهراء. **انظر**: نفح الطيب ١/ ١٥٣.

«ولم تزل قرطبة في الزيادة منذ الفتح الإسلامي إلىٰ سنة أربعمائة، فانحطّت، واستولىٰ عليها الخراب بكثرة الفتن، إلىٰ أن كانت الطّامة الكبرىٰ عليها بأخذ العدوّ الكافر لها ثالث عشري شوال، سنة ستمائة وثلاث وثلاثين»[(١)].

(١) نفح الطيب ١/ ٤٥٨.

فتــحها

كانت شبه جزيرة إيبريا في أواخر القرن السابع الميلادي مملكة قوطية، عاصمتها طليطلة، وكانت تلك البلاد تعيش في فوضىٰ اجتماعية، وبلبلة سياسية لا حدَّ لها. إضافة إلىٰ أن التنازع والتشاحن بين الطبقات المختلفة فيها قد اعتصر قوىٰ شعبها، وعصف بمقدَّراته، وجعله عرضة للاضمحلال والزوال السياسي.

وكان يحكم البلاد حينذاك غيْطَشَة، المتوفّىٰ سنة (٩١هـ ٧١٠م)، والذي حاول ابنه (وَقْلة) أن يخلفه من بعده، إلا أن طبقة الأشراف ورجال الدين وقفوا عقبة أمام طريقه، وبادروا باستدعاء والي قرطبة في ذلك الوقت الدوق (لذريق)، ونصّبوه ملكًا في تلك السنة، فثارت ثائرة (وقْلة) وأتباعه، وأصبحت البلاد مرتعًا للصراع السياسي، إلا أن ذلك لم يفتَّ في عضد (لذريق)، بل زاده مضاءً وإصرارًا.

وفي شهر رمضان من سنة (٩١هـ يوليو ٧١٠م)، بدأت الحملات الإسلامية تدكُّ السواحل الجنوبية للجزيرة بقيادة طارف بن ملوك المعافري، ثم تلته في رجب من السنة التالية (٩٢هـ) حملة طارق بن زياد، الذي التقىٰ بجيش لذريق عند وادي لكّة، في كورة شذونة، ودارت بينهما رحىٰ معركة ضروس، كان النصر فيها حليف المسلمين، وسقطت العاصمة طليطلة بعد ذلك بأشهر قلائل.

ولكن الذي يهمّنا هنا هو أن طارقًا بثّ قواده لفتح المدن، وكان قد أوفد لفتح قرطبة مولاه المعروف بمغيث الرومي مع (٧٠٠) فارس من

الجيش. فرصدوا علىٰ الضفة اليسرىٰ للوادي الكبير، يتحيّنون فرصةً للهجوم، إلىٰ أن تمَّ لهم ذلك في ليلة مطيرة من ليالي أغسطس، فعبروا النهر وحاصروا المدينة حصارًا لم يدم طويلًا، إلىٰ أن استسلمت لهم فدخلوها ظافرين في أوائل المحرم من سنة (٩٣هـ أواخر أكتوبر سنة ٧١١م).

وبعد ذلك دخل موسىٰ بن نصير الأندلس بجيش كبير، وأخذت حصون إيبريا تتساقط الواحد تلو الآخر، ولم تنته سنة (٩٥هـ ٧١٤م) حتىٰ كانت معظم شبه الجزيرة الإيبرية قد خضعت للحكم الإسلامي.

وأصبحت حدود المملكة الإسلامية الجديدة تمتدّ شرقًا إلىٰ شواطئ البحر الأبيض المتوسط، وغربًا إلىٰ شواطئ بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) وشمالًا إلىٰ أرغونة وقشتالة وجبال البرتات[(١)].

وما كاد الأمر يَستتبّ لموسىٰ بن نصير، حتىٰ استدعاه الخليفة الأموي في المشرق - وكان وقتها الوليد بن عبد الملك - فخرج إليه وبصحبته طارق بن زياد، بعد أن اتخذا إشبيلية عاصمة للولاية الجديدة، واستعمل عليها ابنه عبد العزيز، الذي تمَّم فتح ما تبقىٰ بأيدي القوط في الأندلس.

إلا أن الأمور تطوّرت بعد ذلك، فقُتل عبد العزيز هذا، وتولّىٰ مكانه

---

(١) **انظر**: أخبار مجموعة ص (١٩ - ٢١)، وقرطبة في العصر الإسلامي ص (٩ - ١١)، وفجر الأندلس ص (٨٠ - ٨٤)، وتاريخ الدولة الأموية في الأندلس ص (٥٥، ٥٦). وعن إسبانيا قبل الفتح بقليل. **انظر**: الدولة العربية في إسبانية ص (٦٥) فما بعد.

أيوب بن حبيب اللخمي، الذي بقي متولّيًا خمسة أو ستة أشهر إلىٰ أن قدم الحُرُّ بن عبد الرحمن الثقفي في شهر ذي الحجة من سنة (٩٧هـ - ٧١٦م) عاملًا علىٰ الولاية من قِبَلِ محمد بن يزيد - والي إفريقية حينذاك - فكان أول ما عمله الحرُّ بنَ عبد الرحمن حين قدومه، أنْ نقل العاصمة من إشبيلية إلىٰ قرطبة، ومن ذلك الحين وقرطبة هي عاصمة الأندلس إلىٰ أن سقطت الخلافة في الأندلس[(١)].

قال صاعد عن القوط: ملكوا الأندلس أفخم ملك قريبًا من (٣٠٠) سنة إلىٰ أن غلبهم المسلمون عليها... واقتعد ملوكهم قرطبة وطنًا. ولم يزل مركز ملك المسلمين بها إلىٰ زمان الفتنة، وانتشار الأمر علىٰ بني أمية، فافترق عند ذلك شمل الملك بالأندلس، وصار إلىٰ عدة من الرؤساء، حالهم كحال ملوك الطوائف من الفرس[(٢)].

(١) **انظر**: الكامل ٥/ ٢٢، وقرطبة في العصر الإسلامي ص (١٢)، وتاريخ الدولة الأموية في الأندلس ص (٨٣)، وفجر الأندلس ص (١٣٣).

(٢) طبقات الأمم ص (١٥٦، ١٥٧).

ثانيًا: الحالة السياسية

بعد أن فُتحت قرطبة سنة (٩٣هـ) كانت الأحوال مستقرة حينذاك، وكان الجيش الإسلامي الظافر بقيادته الحكيمة المتمثلة في موسىٰ بن نصير، وطارق بن زياد، مبعث هدوء واطمئنان في المنطقة، ولم يحدث عقب الفتح أيُّ تنازع أو اختلاف.

ولكن ما إن ولَّىٰ موسىٰ بن نصير وطارق بن زياد وجْهَيْهِما شطْر دمشق لمقابلة الخليفة الوليد بن عبد الملك - الذي استدعاهما بعد إتمام فتح معظم البلاد القوطية - حتىٰ شبّ الصراع بين والي الأندلس عبد العزيز بن موسىٰ بن نصير وبين وجهاء قومه، الذين تألبوا عليه حتىٰ قتلوه، ونصّبوا مكانه أيوب بن حبيب اللخمي واليًا عليهم، إلىٰ أن بعث والي إفريقية: الحرَّ بن عبد الرحمن الثقفي، وكتب له عهدًا بالولاية علىٰ الأندلس، فما كان منه إلا أن نقل عاصمة الولاية من إشبيلية إلىٰ قرطبة عام (٩٧هـ).

ولكن الفترة الممتدّة بين عامي (٩٧هـ) و(١٣٨هـ) وهي إحدىٰ وأربعون سنةً كاملةً لم يكن ينعم فيها أهل الأندلس بالاستقرار المنشود، بل كانت فترة مليئة بالاضطرابات والتقلُّبات.

ولعلّ ذلك يعود إلىٰ أطماع بعض الوجهاء والكبراء في السلطة، وما تبعه من استغلالٍ لنزعات بعض العامة؛ لإثارتهم ضدّ بعض الولاة، إضافة إلىٰ ظهور بعض النعرات القومية من العصبية للجنس أو البلد أو الطائفة.

وقد حدث ذلك بعد سنة (١٢٢هـ) بين العرب والبربر من جهة، وبين العرب المستوطنين وعرب الشام الداخلين بعد الفتح من جهة أخرىٰ.

وربما كان لبعض عُشّاق السلطة دور في إثارة هذه البلبلة بين أبناء البلد الواحد، خصوصًا عندما لا يحالفهم التوفيق في الوصول إلىٰ مبتغاهم[(١)].

وهذا يفسّر لنا ذلك الكمّ الهائل من الولاة والذين بلغوا ثمانية عشر واليًا في فترة زمنية قصيرة، حتىٰ إن بعضهم كان يتولّىٰ بضعة أشهر فقط، ثم يعقبه مَنْ بعدَه وهكذا.

وقد اصطلح مؤرخو الأندلس علىٰ تقسيم هذه الفترة - المعْنيّة بالدرس - إلىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: عصر الولاية، ويمتدّ ما بين سنة (٩٢هـ) وسنة (١٣٨هـ).

القسم الثاني: عصر الإمارة، ويمتدّ ما بين سنة (١٣٨هـ) وسنة (٣١٦هـ).

القسم الثالث: عصر الخلافة، ويمتدّ ما بين سنة (٣١٦هـ) وسنة (٤٢٢هـ) وهي سنة سقوط الخلافة.

---

(١) انظر عن هذا: قرطبة في العصر الإسلامي ص (١٦) فما بعد، وفجر الأندلس ص (١٤٣) فما بعد.

فأمّا عصر الولاية: فقد تقدّم آنفًا ذكر شيء مما لابس تلك الفترة من أحداث وقلاقل، لا تختفي حينًا، إلا ريثما تظهر مرة أخرىٰ بأعنف مما كانت، إلىٰ أن قدم عبد الرحمن بن معاوية (المعروف بالداخل) من المشرق أولَ ربيع الأول سنة (١٣٨هـ).

وما إن استقر به القرار حتىٰ أتاه الشاميون وأهل البلد وطوائف من البربر مؤيّدين ومناصرين، فسار مع أنصاره إلىٰ إشبيلية حيث فتحها في شوّال، ومنها انطلق إلىٰ قرطبة، حيث التقىٰ بجيش يوسف بن عبد الرحمن الفهري علىٰ أبواب قرطبة، صباحَ الجمعة العاشر من ذي الحجة سنة (١٣٨هـ)، وكان النصر حليف عبد الرحمن الداخل، ويومَها دخل المسجدَ وخطب فيه، وبايعه الناس أميرًا علىٰ الأندلس، وكان عمره - حينذاك - خمسًا وعشرين سنة[١].

ومن بعدها دخلت الأندلس عهد الإمارة الجديدة بقيادة عبد الرحمن الداخل وأولاده من بعده، وقد ظلّ يدعو للخليفة العباسي في المشرق (أبي العباس السفاح) شهورًا عدّة في خطبة الجمعة، ثمّ أسقط الدعاء له، وصار يُدعىٰ له باسمه وحده، بعد أن اتخذ لقب الإمام أو ابن الخلائف[٢].

وقد قامت في عهده ثورات عدّة تحاول الخروج عليه، ولكنه تمكن من إخمادها جميعًا بذكاء وقوة.

---

(١) **انظر**: قرطبة في العصر الإسلامي ص (٣١)، وفجر الأندلس ص (٦٧٤) فما بعد.
(٢) قرطبة في العصر الإسلامي ص (٣١) بتصرف.

ثم تولّىٰ أبناؤه وأحفاده من بعده، يتوارثون الإمارة ويسوسون البلاد أحسن سياسة، هذا مع تعرّضهم لكثير من الثورات الداخلية، والهجمات الخارجية من النصارىٰ وأشياعهم[١]، خصوصًا الحكم بن هشام (ت٢٠٦هـ)، الذي واجه عدة محاولات كان آخرها ثورة أهل الربض المعروفة بثورة الفقهاء، حيث خرجوا عليه في شهر رمضان سنة (٢٠٢هـ)، ولكنه تمكّن من كسرهم والقضاء علىٰ ثورتهم بفظاعة كبيرة حتىٰ نُسب لتلك الحادثة، فصار يلقّب بالحَكَم الرَّبَضي[٢]. واستمرت الحال مواتية لهؤلاء الأمراء، الذين كان آخرهم وفاةً عبد الله بن محمد سنة (٣٠٠هـ).

ولما تولّىٰ من بعده حفيده عبد الرحمن بن محمد سنة (٣٠٠هـ) سار علىٰ ذات المنوال في الحكم والإدارة، كما حمل اللقبَ نفسه الذي تقلّده أسلافُه من قبل، حتىٰ دخلت سنة (٣١٦هـ) حيث أعلن فيها الأمير عبد الرحمن تنصيب نفسه خليفة علىٰ الأندلس، فهو «أول من تلقّب بأمير المؤمنين من أمراء الأندلس... لمّا بلغه ضعف أحوال الخلافة بالعراق، ورأىٰ أنه أمكن منهم وأوْلىٰ»[٣].

---

(١) للوقوف علىٰ أبرز أحداث هذه الفترة **انظر**: التاريخ الأندلسي ص (٢٢٧) فما بعد.

(٢) انظر تفاصيل هذه الحادثة في: تاريخ الدولة الأموية في الأندلس ص (١٩٠)، والدولة العربية في إسبانية ص (٢٢٢)، والتاريخ الأندلسي ص (٢٤٢).

(٣) العبر ٢/ ٨٤، ٨٥.

وانظر: جذوة المقتبس ١/ ٤٢، ونفح الطيب ١/ ٣٥٣، وتاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص (٢٨٧).

ومن يومها بدأت الأندلس عهدًا جديدًا هو عهد الخلافة، حيث توالىٰ بعد عبد الرحمن الناصر الخلفاء من أبنائه، واستمرت الأمور تجري رُخاءً حتىٰ نهاية القرن الرابع، حيث بدأت قرطبة في الضعف والتفكك، وبذل المخلصون كل ما لديهم في سبيل المحافظة علىٰ الخلافة قوية مهيبة كسابق عهدها، حتىٰ سنة (٤٢٢هـ) التي تولّىٰ فيها آل جهور مقاليد الأمور في قرطبة، وأعلنوا حينها إلغاء الخلافة.

ودخلت الأندلس وقتَها عصرًا آخر هو ما يُسمّىٰ بعصر «ملوك الطوائف»، وما زالت هذه الطوائف تتوالىٰ علىٰ حكم قرطبة، وتسيّر دفّة الأمور فيها، حتىٰ تعرَّضت آخر الأمر إلىٰ هجوم شنَّه عليها ملك النصارىٰ حين ذاك (فرناندو الثالث) - لا رحم الله فيه مغرز إبرة - وضرَب الحصار علىٰ قرطبة، فلمّا اشتد عليهم الأمر وطال بهم الانتظار، أرسلوا وفدًا لمفاوضة الخبيث في تسليم مدينتهم، وبالفعل تمّ له ذلك، فدخلها الطاغية منتصرًا في يوم الأحد الثالث والعشرين من شهر شوال سنة (٦٣٣هـ) الموافق (٢٩ يونيه ١٢٣٦م) وغادرها في ذلك اليوم الحزين معظم أهلها بنسائها وأطفالهم، وما خفّ حمله من متاعهم، وتفرقوا فيما تبقّىٰ بأيدي المسلمين من أقطار الأندلس الأخرىٰ.

وسجَّل التاريخ في ذلك اليوم نهاية عاصمة الخلافة، وانهيار الأندلس جميعًا؛ فقد كان سقوط قرطبة إعلانًا بسقوط بقية عواصم

الأندلس إذ اتخذها (فرناندو) مركزًا للغزو، وأصبحت بقية مناطق الشرق والجنوب تحت سيطرة جيوشه[١]، ولله الأمر من قَبلُ ومن بعدُ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) **انظر**: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص (٢٧٩) فما بعد، والتاريخ الأندلسي ص (٣٢٣) فما بعد، وقرطبة في العصر الإسلامي ص (١٥١، ١٦١).

الولاة الأمويون في الأندلس
من سنة (٩٢) إلى (١٣٨هـ)[١]

م	الاسم	تاريخ الولاية
١.	طارق بن زياد	(٩٢ – ٩٣هـ).
٢.	موسىٰ بن نصير	(٩٣ – ٩٥هـ).
٣.	عبد العزيز بن موسىٰ بن نصير	(٩٥ – ٩٧هـ).
٤.	أيوب بن حبيب اللخمي	(٩٧هـ).
٥.	الحرّ بن عبد الرحمن الثقفي	(٩٧ – ١٠٠هـ).
٦.	السمْح بن مالك الخولاني	(١٠٠ – ١٠٢هـ).
٧.	عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي	(١٠٢ – ١٠٣هـ) الولاية الأولىٰ.
٨.	عنبسة بن سُحيم الكلبي	(١٠٣ – ١٠٧هـ).
٩.	عُذرة بن عبد الله الفهري	(١٠٧هـ).
١٠.	يحيىٰ بن سلامة الكلبي	(١٠٧ – ١١٠هـ).

(١) اعتمدتُ في إعداد هذا الجدول علىٰ: كتاب فجر الأندلس ص (٦١١) فما بعد، وكتاب تاريخ الدولة الأموية في الأندلس ص (٨٣) فما بعد، وكتاب الدولة العربية في إسبانية ص (٤٠٣).

١١.	حذيفة بن الأحوص القيسي	(١١٠هـ).
١٢.	عثمان بن أبي نسْعة الخثعمي	(١١٠ - ١١١هـ).
١٣.	الهيثم بن عبيد الكلابي	(١١١هـ).
١٤.	محمد بن عبد الله الأشجعي	(١١١ - ١١٢هـ).
١٥.	عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي	(١١٢-١١٤هـ) الولاية الثانية.
١٦.	عبد الملك بن قطن الفهري	(١١٤-١١٦هـ) الولاية الأولىٰ.
١٧.	عقبة بن الحجاج السلولي	(١١٦ - ١٢٣هـ).
١٨.	عبد الملك بن قطن الفهري	(١٢٣هـ) الولاية الثانية.
١٩.	بَلْج بن بشر القشيري	(١٢٣ - ١٢٤هـ).
٢٠.	ثعلبة بن سلامة العاملي	(١٢٤ - ١٢٥هـ).
٢١.	حسام بن ضرار الكلبي	(١٢٥ - ١٢٧هـ).
٢٢.	ثوابة بن سلامة الجذامي	(١٢٧ - ١٢٩هـ).
٢٣.	يوسف بن عبد الرحمن الفهري	(١٢٩ - ١٣٨هـ).

أمراء وخلفاء بني أمية في الأندلس[١]
من سنة (١٣٨) إلى سنة (٤٢٢هـ)

م	الاسم	تاريخ الولاية
١.	عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك (الداخل)	(١٣٨ - ١٧٢هـ).
٢.	هشام بن عبد الرحمن بن معاوية (الرضا)	(١٧٢ - ١٨٠هـ).
٣.	الحكم بن هشام بن عبد الرحمن (الرَّبضي)	(١٨٠ - ٢٠٦هـ).
٤.	عبد الرحمن بن الحكم بن هشام (الأوسط)	(٢٠٦ - ٢٣٨هـ).
٥.	محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (الأول)	(٢٣٨ - ٢٧٣هـ).
٦.	المنذر بن محمد بن عبد الرحمن	(٢٧٣ - ٢٧٥هـ).
٧.	عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن	(٢٧٥ - ٣٠٠هـ).

(١) استفدت في إعداد هذا الجدول من كتاب: الدولة العربية في إسبانية ص (٤٠٤).

٨.	عبد الرحمن بن محمد (الناصر)	(٣٠٠ - ٣٥٠هـ).
٩.	الحكم بن عبد الرحمن (المستنصر)	(٣٥٠ - ٣٦٦هـ).
١٠.	هشام بن الحكم (المؤيد)	(٣٦٦ - ٤٠٠هـ).
١١.	محمد الثاني (المهدي)	(٣٩٩ و ٤٠٠هـ).
١٢.	سليمان بن الحكم (المستعين)	(٤٠٠هـ).
١٣.	عبد الرحمن بن محمد (المرتضىٰ)	(٤٠٧هـ).
١٤.	عبد الرحمن بن هشام (المستظهر)	(٤١٤هـ).
١٥.	محمد بن عبد الرحمن (المستكفي)	(٤١٤هـ).
١٦.	هشام بن محمد (المعتدّ)	(٤١٨ - ٤٢٢هـ).

ثالثًا: الحالة الاجتماعية

لقد كان المجتمع الأندلسي، مجتمعًا خليطًا، امتزجت فيه عناصر عديدة، لا يربط بينها رابط البتّة.

فهناك العرب، وهناك البربر، وهناك المَسالمة والمولدون، وهناك الصقالبة إلىٰ غير ذلك.

ويمكن تقسيم عناصر المجتمع الأندلسي إلىٰ قسمين رئيسين هما:

١- المسلمون.

٢- غيرُ المسلمين[(١)].

فالمسلمون يشكّلون الغالبية العظمىٰ من سكان الأندلس، والذين تعدّدت أجناسهم وتنوّعت لغاتهم، ولم يكن يجمع بينهم ويوحد صفَّهم سوىٰ الإسلام، وهم أقسام أيضًا.

١- العرب:

وهم الذين دخلوا مع جيش الفتح الأول، واستوطنوا تلك البلاد، وكان عددهم نحوًا من عشرة آلاف، وبعضهم قدم بعد تمام الفتح، وما زالت أفواجهم تتوالىٰ من جميع البلدان المغربية والمشرقية دون توقُّف.

وهم يعودون في الجملة إلىٰ قبيلتين هم: العدنانية والقحطانية.

فمن بطون العدنانية: بنو هاشم، وبنو أمية، وهم خلفاء الأندلس،

---

(١) التاريخ الأندلسي ص (٢٨٣).

وبنو زهرة، وبنو عبد الدار، وجمح، وبنو الحارث بن فهر، وقيس عيلان، وبكر بن هوازن، وربيعة بن نزار وغيرهم[١].

ومن بطون القحطانية: الأوس والخزرج، وهم كثير في الأندلس، ومذحج، وهمدان، ولخْم بن عدي، وجُذام، وحِمْيَر وغيرهم[٢].

وكثيرًا ما يقع بين القحطانية والمضريّة وسائر العدنانية الحروب بالأندلس، كما كان يقع بالمشرق، والقحطانية هم الأكثر بالأندلس، والملك فيهم أرسخ، إلا ما كان من خلفاء بني أمية، فإن القرشية واسم الخلافة لهم بالمشرق قدّمتهم علىٰ الفريقين[٣].

وكان عرب الأندلس يتميّزون بالقبائل والعمائر والبطون والأفخاذ، إلىٰ أن قطع ذلك المنصور بن أبي عامر الداهية، الذي ملك سلطنة الأندلس، وقصد بذلك تشتيتهم وقطْع التحامهم وتعصّبهم في الاعتزاء، وقدّم القواد علىٰ الأجناد، فيكون في جند القائد الواحد فِرَق من كل قبيل، فانحسمت مادة الفتن والاعتزاء بالأندلس، إلا ما جاءت علىٰ غير هذه الجهة[٤].

وكانت الطليعة العربية الأولىٰ التي قدمت مع طارق بن زياد وموسىٰ بن نصير، ثم مع الحرَّ بن عبد الرحمن الثقفي سنة (٩٧هـ)

---

(١) **انظر**: نفح الطيب ١/ ٢٩٠ - ٢٩٣.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٩٣ - ٢٩٨.

(٣) نفح الطيب ١/ ٢٩٣.

(٤) **انظر**: المصدر نفسه ١/ ٢٩٣.

يطلق عليها اسم «البلديين» أي أول من دخل البلاد واستوطنها، ومعظم هؤلاء كانوا من القحطانيين.

أما الطليعة الثانية التي جاءت مع بلج بن بشر سنة (١٢٣هـ) فقد كان يُطلق عليها اسم «الشاميين» لأن معظمهم كان من جند الشام[١].

٢- البربر:

وقد دخلوا الأندلس مع أفواج الفاتحين، قادمين من المغرب (موطنهم الأصلي)، وكان عددهم في الطليعة الأولىٰ يُقدَّر بعشرين ألفًا[٢].

٣- المسالمة والمولَّدون:

وهم الذين دخلوا في الإسلام من أهل البلد الأصليين (القوط)، ويمثّلون أكثرية المسلمين هناك، وقد أطلق المؤرخون علىٰ الذين دخلوا الإسلام من الأسبان: «الأسالمة» أو «المُسالمة»، وعلىٰ أبنائهم «المولَّدين»[٣].

٤- الصقالبة:

وهم الذين كان يؤتىٰ بهم من مختلف البلاد الإفرنجية أطفالًا، ذكورًا وإناثًا، فتتعهد الدولة برعايتهم، ويُنشّأون نشأة إسلامية برعاية الدولة، وقد كان لهم دور في بعض الأحداث، والحكم الربضي

---

(١) قرطبة في العصر الإسلامي ص (٢٤١)، وفجر الأندلس ص (٣٥٥).

(٢) قرطبة في العصر الإسلامي ص (٢٤١).

(٣) انظر: التاريخ الأندلسي ص (٢٨٣، ٢٨٤).

(ت٢٠٦هـ) هو أول من أكثر من استعمالهم[١].

هؤلاء باختصار هم أصناف المجتمع الأندلسي من المسلمين.

أما ما يتعلق بقرطبة، فقد استقر معظم العرب فيها، بينما تفرَّق معظم البربر في غيرها من بلاد الأندلس، كما اندمجت القلة من البربر التي استوطنت قرطبة مع العرب، وصارت منهم، ونسيت علىٰ مرور الأيام الفارق القبلي بينها وبين العرب[٢].

أما المسالمة والمولَّدون من القوط الذين بقوا في قرطبة بعد الفتح، فقد استعربوا كذلك، ودخل الإسلام أفواجٌ منهم عن رغبة لا عن رهبة، وأضحوا بعد جيلين أو ثلاثة مثلَهُم مثَل العرب، لا فرق ولا تفاضل بينهم إلا بالتقوىٰ، وتلاشت صِلاتهم بماضيهم المسيحي، حتىٰ لقد غيّروا أسماءهم إلىٰ أسماء عربية، أو عرّبوها علىٰ الأقلّ[٣].

أما الصقالبة الذين كانوا من أصل أوروبي، فقد كان قصر الإمارة ثم الخلافة يعجُّ بهم، وكان عملهم في البداية يقتصر علىٰ خدمة الأمير وحراسته، حتىٰ جاء الخليفة عبد الرحمن الناصر، الذي عهد إليهم بالأعمال الهامة والمناصب الخطيرة في الدولة، والتي كانت قبل ذلك حِكْرًا علىٰ خواصّ العرب.

وما لبث هؤلاء أن اندمجوا في المجتمع القرطبي، وصاهروهم،

---

(١) التاريخ الأندلسي ص (٢٨٤).

(٢) **انظر**: قرطبة في العصر الإسلامي ص (٢٤١، ٢٤٢).

(٣) المصدر نفسه ص (٢٤٣).

وملكوا القصور والضياع، وتعلّموا اللغة العربية، حتىٰ كان منهم الأدباء والشعراء والكُتّاب. وكان عددهم في قرطبة كثيرًا، فقد قيل: إنهم كانوا في أول الأمر (٣٧٥٠) فردًا، ثم زادوا بعد ذلك حتىٰ بلغوا في عهد المنصور بن أبي عامر (١٣٧٥٠) فردًا[(١)].

هذه الأخلاط جميعًا هي الغالبية التي كانت تسكن قرطبة، والتي وحَّد الإسلام بينها تحت لوائه، فتفيأت ظلاله الوارفة، ونعمت بعدْله وسماحته.

أما القسم الثاني وهم غير المسلمين من المعاهدين وأهل الذمّة، والذين كانوا من اليهود أو النصارىٰ، فقد كان منهم من يعيش داخل قرطبة، فالنصارىٰ مثلًا الذين بقوا في قرطبة واحتفظوا بديانتهم المسيحية، وأداء شعائرهم، لم يكونوا مضطهدين في دينهم من حكام قرطبة أو أهلها، بل حَظُوا بالأمان والاطمئنان كسائر أهلها، ما أدّوا الجزية، والتزموا الذِّلَّة والصَّغار.

وكان منهم المستعرِبون، الذين كانوا يتكلمون العربية، ويتذوّقون آدابها، نتيجة اندماجهم في المجتمع العربي[(٢)].

أما اليهود، فَيبدو أن عددهم كان قليلًا في قرطبة، بالرغم من أنه كان لهم حيٌّ يُعْرَف باسمهم، ولم يشتهر منهم إلا القليل - بخلاف

---

(١) قرطبة في العصر الإسلامي ص (٢٤٩، ٢٥٠).

(٢) قرطبة في العهد الإسلامي ص (٢٤٤)، ودولة الإسلام في الأندلس ١/ ٢٠٦، العصر الأول.

النصارىٰ - وكان أغلب اشتغالهم بالتجارة والتكسُّب[١].

أما ما يتعلّق بأعداد السكان في قرطبة، فلم يُنقل في ذلك عدد موثّق، وإنما هي ظنون واحتمالات لا تقدِّم، ولا تؤخِّر[٢].

وما عدا هذا مما يدور حول طبقات الناس في قرطبة، وفضائلهم أو رذائلهم، وما يتعلق بالمطاعم والمشارب والمتاجر والملابس وغير ذلك، فلا يهمّنا ذلك هنا في شيء، إذ ليس فيه كبير فائدة؛ لا في صليبة البحث، ولا في ثناياه وتضاعيفه.

(١) المصدرين السابقين ص (٢٤٦) ١/ ٢٠٦، العصر الأول، علىٰ التوالي.

(٢) **انظر**: قرطبة في العصر الإسلامي ص (٢٤٧).

رابعًا: الحالة العلمية

كانت الأندلس عامةً دارًا للعلم ومنزلًا للعلماء، ينشأ فيها الصغير ويهرم فيها الكبير علىٰ طلب العلم وحبه وحب أهله وتقديمه علىٰ غيره.

وليس أدلُّ علىٰ حبهم للعلم وتعلُّقهم به والرغبة الشديدة فيه، من أنهم «ليس لهم مدارس تعينهم علىٰ طلب العلم، بل يقرؤون جميع العلوم في المساجد بأجرة، فهم يقرؤون لأن يعلموا لا لأن يأخذوا جاريًا، ولذا فالعالم منهم بارع؛ لأنه يطلب ذلك العلم بباعثٍ من نفسه يحمله علىٰ أن يترك الشغل الذي يستفيد منه، وينفقُ من عنده حتىٰ يعلم»[(١)].

هذا مع حرصهم العجيب علىٰ التميُّز في العلوم والتقدُّم فيها، أو في غيرها من الصنائع والعمالات حتىٰ إن «الجاهل الذي لم يوفّقه الله للعلم، يجهد أن يتميّز بصنعة، ويربأ بنفسه أن يُرىٰ فارغًا عالةً علىٰ الناس؛ لأن هذا عندهم في غاية القبح»[(٢)].

أما العالم عندهم فهو معظّم من الخاصة والعامة، يُشار إليه ويُحال عليه، وينبّه علىٰ قدره وذكره عند الناس، ويُكرم في جوارٍ، أو ابتياع حاجةٍ، وما أشبه ذلك[(٣)].

---

(١) نفح الطيب ١/ ٢٢٠، ٢٢١، بتصرف يسير.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٢٠.

(٣) **انظر**: المصدر نفسه ١/ ٢٢٠.

هذا فيما يتعلق بالأندلس عمومًا، أما قرطبة علىٰ وجه الخصوص، فقد حازت قصب السبق في كل ميدان، ولا سيما ما يتعلق بالعلوم والفنون والمعارف، حتىٰ صارت معْلمًا بارزًا من معالم المغرب الإسلامي كلِّه، ولا تُذكر إلا ويُذكر معها العلم والأدب؛ لأنها معدِنه ومنبعه.

وفي هذا يقول ابن عطية المحاربي:

بـأربعٍ فاقـتِ الأمصـارَ قُرطبـةٌ وهُـنَّ: قَنطـرةُ الـوادِي، وجامِعُهـا

هاتـانِ ثِنتـانِ، والزهـراءُ ثالثـةٌ، والعِلمُ أعظمُ شيءٍ، وهو رابعُها[1]

وقال ابن حزم أثناء كلامه علىٰ الأندلس وفضلها:

«وأما في قسم الأقاليم فإن قرطبة مسقط رؤوسنا ومعَقّ تمائمنا، مع سُرّ من رأىٰ في إقليم واحد، فلنا من الفهم والذكاء ما اقتضاه إقليمنا، وإن كان الأنوار لا تأتينا إلا مغرّبة عن مطالعها علىٰ الجزء المعمور. وذلك عند المحسنين للأحكام التي تدل عليها الكواكب ناقص من قوىٰ دلائلها، فلها من ذلك علىٰ كل حال، حظ يفوق حظ أكثر البلاد، بارتفاع أحد النيرين بها تسعين درجة، وذلك من أدلة التمكن في العلوم، والنفاذ فيها عند من ذكرنا.

وقد صدق ذلك الخبر، وأبانته التجربة، فكان أهلها من التمكن في

(١) نفح الطيب ١/ ١٥٣، ٦١٦، ومقدمة فهرس ابن عطية ص (٢٣، ٢٤).

علوم القراءات والروايات، وحفظ كثير من الفقه، والبصر بالنحو والشعر واللغة والخبر والطب والحساب والنجوم، بمكان رحب الفناء، واسع العطن، متنائي الأقطار، فسيح المجال[(١)].

وقال أبو البقاء الرندي يرثيها:

وأينَ قرطبةٌ دارُ العلومِ فكمْ من عالمٍ قد سمىٰ فيها له شانُ!؟

وقال الحجاري: «كانت قرطبة في الدولة المروانية قُبّة الإسلام، ومجتمع أعلام الأنام... وإليها كانت الرحلة في الرواية إذ كانت مركز الكرماء، ومعدن العلماء، وهي من الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد»[(٢)].

ومما يُشعر بهذا المعنىٰ الذي ألمح إليه الحجاري ويَسنُده، ما ذكره ابن الفرضي عن إبراهيم بن هارون بن خلف المصمودي البربري، من أهل أشبونة (ت٣٦٠هـ)، حيث أقام بقرطبة في طلب العلم (٤٠) سنة[(٣)].

ولقد نُقل عن أهلها من حبّهم العلم والحرص علىٰ اقتناص الشاردة ما يدهش ويُعجب، من ذلك ما ذكره ابن حزمٍ قال: أخبرني

---

(١) رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي ٣/ ١٧٤، ١٧٥.

(٢) نفح الطيب ١/ ١٥٣. وقد تقدم كلام الشريف الإدريسي في مدح قرطبة وأهلها في المقدمة.

(٣) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٥١.

القاضي أبو الوليد يونس بن عبد الله عن أبيه: أنه شاهد قاضي الجماعة محمد بن أبي عيسىٰ في دار رجل من بني حُدير مع أخيه أبي عيسىٰ في ناحية مقابر فريش، وقد خرجوا لحضور جنازة، وجارية للحديري تغنيهم هذه الأبيات:

طابتْ بطِيبِ لَثاتِك الأقداحُ ... وزَهَتْ بحُمرةِ خدّكَ التفّاحُ

وإذا الربيعُ تنسّمتْ أرواحُه ... طابتْ بطِيبِ نسيمكَ الأرواحُ

وإذا الحنادسُ أُلبستْ ظلماءَها ... فضِياءُ وجهكَ في الدُّجىٰ المِصباحُ

قال: وكتبها قاضي الجماعة في يده ثم خرجوا. قال: فلقد رأيته يكبّر للصلاة علىٰ الجنازة، والأبيات مكتوبة علىٰ بطن كفّه[(١)].

كما نزع أهل العلم بقرطبة إلىٰ أن يكون لهم شيء من التميّز والاستقلال في أشياء من العلم، وحرصوا علىٰ نبذ التقليد والتبعية للمشارقة في كل شيء.

من ذلك مثلًا: أنهم لا يطلقون علىٰ رئيس القضاة عندهم (قاضي القضاة) كما هو الحال في أكثر بلاد المشرق والمغرب، وإنما يسمُّونه «قاضي الجند» أو «قاضي الجماعة» وهو اصطلاح حسن، خالٍ مما داخل الأول من إشكالات واعتراضات[(٢)].

---

(١) جذوة المقتبس ١/ ١٢٦، ١٢٧.

(٢) انظر: قضاة قرطبة ص (٤٧)، وتيسير العزيز الحميد ص (٥٣٠)، ومعجم المناهي اللفظية ص (٤٣٣).

ومن ذلك تفردهم ببعض المسائل في القضاء والفتيا وجاري العرف، حتىٰ اشتهر ذلك عنهم وذاع في الأمصار، وأصبح يتناقله العلماء تحت مسمّىٰ «عمل أهل قرطبة» قياسًا علىٰ ما اصطلح علىٰ تسميته بـ «عمل أهل المدينة».

وقد وقع الخلاف في قبوله وردّه بين العلماء فمنهم من قبله واطمأنّ إليه وركن، كما هو الحال عند معظم أهل المغرب فضلًا عن الأندلس، لعظم أمر قرطبة وجلالة شأنها عندهم(١).

ومنهم من ردّه ورفضه، وشنّع علىٰ من ارتضاه، كحال قاضي فاس أبي عبد الله المقّري، وأبي يحيىٰ الشريف التلمساني(٢).

أما مخالفة أهل الأندلس لمذهب مالك في بعض المسائل فأمر مشهور، حتىٰ لقد نظمها الإمام ابن غازي بقوله:

قد خُولِفَ المذهبُ في الأندلسِ ... في ستّةٍ منهنّ: سهمُ الفَرَسِ

وغَرْسُ الاشْجارِ لدىٰ المساجدِ ... والحكمُ باليمينِ قُلْ والشاهِدِ

وخُلْطةٌ، والأرضُ بالجُزء تَلي ... ورَفعُ تكبيرِ الأذانِ الأوّلِ(٣)

ولم يكن هذا التوجُّه لدىٰ أهل قرطبة مقصورًا علىٰ طبقة العلماء فحسب، بل كان ذلك ديدن الجميع بمن فيهم الأمراء والعامة.

---

(١) انظر: نفح الطيب ١/ ٥٥٦.

(٢) انظر: المصدر نفسه ١/ ٥٥٦، ٥٥٧، والمعيار المعرّب ٢/ ٤٨٢.

(٣) المعيار المعرّب ١١/ ١٢ والأبيات من هامشه.

فهذا الحكم بن عبد الرحمن كان من أشد ملوك الأندلس حبًا للعلم، وأكثرهم اشتغالًا به، وحرصًا عليه، حتىٰ لقد كان يراسل العلماء الكبار في المشرق، ويرغبهم في الوفود عليه، والمجيء إليه، فإذا ما قدموا تلقّاهم وقرّبهم وبالغ في الحفاوة بهم وإكرامهم، كما فعل مع أبي علي القالي البغدادي علىٰ سبيل المثال(١).

كما ذكر عن عامّتهم أشياء عجيبة في حبّ العلم والتعلّق بأهله، ومراعاة قواعد الديانة، وإقامة معالم الدين والملَّة(٢).

وقد كان لأهل قرطبة عناية عظيمة بالكتب وما دار في فلكها، وإقامة المكتبات والتنافس فيها، والتسابق في جمع الكتب واستجلابها لخزائنهم، مهما نأىٰ مصدرها، أو بلغ ثمنها(٣).

وقد فصّلتُ القولَ في هذا وبسطتُه في الفصل الأول من الباب الأول.

أمّا فيما يتعلّق بالعلوم التي اعتنىٰ بها القرطبيون، وألّفوا فيها، فهذا بحرٌ لجّيٌّ تقْصر عنه العبارة؛ إذ إن الأندلسيين بعامة، والقرطبيين علىٰ وجه الخصوص، قد برزوا في هذا الجانب، وضربوا في كل فنّ بعطنٍ. مما حدا بأحد المستشرقين - وهو ليفي بروفنسال - أن يقول: «إن العلماء الأندلسيين قد ساهموا دون توقف، علىٰ مرّ جميع عصور إسبانيا الإسلامية، في المجهود العظيم المبذول في تفسير القرآن

(١) **انظر**: جذوة المقتبس ١/ ٢٥٢.
(٢) **انظر**: نفح الطيب ١/ ٢٢٠، ٢٢١.
(٣) انظر علىٰ سبيل المثال: الصلة ١/ ٢٩.

والشروح الفقهية، ذلك المجهود الذي لم تُنكر فاعليته أبدًا لا في المغرب ولا في المشرق علىٰ حدٍّ سواء»[(١)].

ولقد لخَّص الإمام المقَّري - وهو المتعمّق في أخبار الأندلس - ما يتعلّق بالعلوم وأنواعها، وما راج منها أو ذُمّ عند الأندلسيين، في كتابه الذائع «نفح الطيب» فأتىٰ علىٰ المراد، وزاد. ولقد رأيت أن أسوق كلامه بتمامه - رغم طوله - لنفاسته، وحُسْن سياقته، مع التعليق عليه عند المُقتَضِي.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء، إلا الفلسفة والتنجيم، فإن لهما حظًّا عظيمًا عند خواصهم، ولا يُتظاهَر بهما خوفَ العامة، فإنه كلّما قيل: «فلان يقرأ الفلسفة» أو «يشتغل بالتنجيم» أطلقت عليه العامة اسم (زنديق)، وقيّدت عليه أنفاسه، فإن زلّ في شبهة، رجموه بالحجارة أو حرقوه قبل أن يصل أمره للسلطان، أو يقتله السلطان تقربًا لقلوب العامة، وكثيرًا ما يأمر ملوكهم بإحراق كتب هذا الشأن إذا وجدت، وبذلك تقرَّب المنصور بن أبي عامر لقلوبهم أول نهوضه، وإن كان غير خالٍ من الاشتغال بذلك في الباطن، علىٰ ما ذكره الحجاري، والله أعلم.

وقراءة القرآن بالسبع[(٢)] ورواية الحديث عندهم رفيعة، وللفقه

---

(١) حضارة العرب في الأندلس ص (٦١) وقد امتدح علم الحديث بعد ذلك.

(٢) **عن مدرسة التفسير في الأندلس**: ألّف مصطفىٰ إبراهيم مشني، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بهذا العنوان، وهي مطبوعة.

=

رونق ووجاهة، ولا مذهب لهم إلا مذهب مالك، وخواصّهم يحفظون من سائر المذاهب ما يباحثون به بمحاضر ملوكهم ذوي الهمم في العلوم.

وسِمَةُ الفقيه عندهم جليلة، حتىٰ إن الملثمين كانوا يسمون الأمير العظيم منهم الذي يريدون تنويهه بالفقيه؛ وهي الآن بالمغرب بمنزلة القاضي بالمشرق، وقد يقولون للكاتب والنحوي واللغوي فقيه، لأنها عندهم أرفع السّمات.

وعلم الأصول عندهم متوسط الحال، والنحو عندهم في نهايةٍ من علوّ الطبقة، حتىٰ إنهم في هذا العصر فيه كأصحاب عصر الخليل وسيبويه، لا يَزْداد مع هَرَم الزمان إلا جِدَّةً، وهم كثيرو البحث فيه وحفظِ مذاهبه كمذاهب الفقه، وكل عالمٍ في أي علمٍ لا يكون متمكّنًا من علم النحو - بحيث لا تخفىٰ عليه الدقائق - فليس عندهم بمستحق للتمييز، ولا سالم من الازدراء، مع أن كلام أهل الأندلس الشائع في الخواص والعوام كثير الانحراف عمّا تقتضيه أوضاع العربية[1]، حتىٰ لو أن شخصًا من العرب سمع كلام الشلوبيني أبي عليّ المشار إليه بعلم النحو في عصرنا الذي غرّبت تصانيفه وشرّقَت،

= كما ألّف الشيخ زيد عمر عبد الله رسالة بعنوان «المدرسة الأندلسية في التفسير»، لنيل درجة الدكتوراه في التفسير، وهي مطبوعة علىٰ الآلة الراقمة، وكلاهما عندي.

(١) **عن الدراسات اللغوية في الأندلس «في عصر المرابطين والموحّدين»**: ألّف الأستاذ رضا عبد الجليل الطيّار كتابًا متوسط الحجم في هذا، وهو مطبوع.

وهو يُقْرئ درسه لضحك بملئ فيه من شدة التحريف الذي في لسانه، والخاصُّ منهم إذا تكلم بالإعراب وأخذ يَجري علىٰ قوانين النحو استثقلوه واستبردوه، ولكن ذلك مراعىٰ عندهم في القراءات والمخاطبات بالرسائل.

وعلم الأدب المنثور من حفظ التاريخ والنظم والنثر ومستظرفات الحكايات أنبلُ علم عندهم، وبه يُتقرّب من مجالس ملوكهم وأعلامهم، ومَنْ لا يكون فيه أدب من علمائهم فهو غُفْلٌ مستَثْقَل[١].

والشعر عندهم له حظ عظيم، وللشعراء من ملوكهم وجاهة، ولهم عليهم وظائف[٢]، والمجيدون منهم يُنشدون في مجالس عظماء ملوكهم المختلفة، ويُوقَّع لهم بالصلات علىٰ أقدارهم، إلا أن يختل الوقت ويغلب الجهل في حين ما، ولكن هذا الغالبُ. وإذا كان الشخص بالأندلس نحويًّا أو شاعرًا فإنه يَعْظُم في نفسه لا محالة ويسخُف ويُظهر العُجْبَ، عادةٌ قد جُبِلوا عليها»[٣].

(١) ألّف محمد بن موسىٰ النحوي كتابًا في طبقات الكُتّاب بالأندلس. جذوة المقتبس ١/ ١٤٥. أما الدراسات المعاصرة فكثيرةٌ.

(٢) ألّف عثمان بن سعيد الكناني القرطبي كتابًا في شعراء الأندلس. تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥١٣، ٥١٤. أما الدراسات المعاصرة فكثيرةٌ.

(٣) نفح الطيب ١/ ٢٢١، ٢٢٢.

الباب الأول

مؤسسات الحديث بقرطبة ومناهجها ودور الدولة في حركة الحديث بها

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول:

أماكن تدريس الحديث ونشره.

الفصل الثاني:

كتب الحديث وعلومه، وطرق تدريس الحديث ونشره.

الفصل الثالث:

النظام الدراسي وآداب الطلاب بها.

الفصل الرابع:

دور الدولة في حركة الحديث بقرطبة.

الفصل الأول
أماكن تدريس الحديث ونشره

إن الدارس عندما يريد دراسة الحياة العلمية في أي صقع من الأصقاع، لا بد أن يولي أماكن التدريس والتعليم عناية خاصة لأسباب كثيرةٍ؛ منها: أن حجم هذه الأماكن من حيث الكمّ والكيف يعطي مؤشرات قوية تعكس حجم الحياة العلمية في ذلك الصقع، إضافة إلىٰ أن كثرة هذه المراكز - أيًا كان نوعها - يُوحي بأن هناك إقبالًا عليها وإلا لكان إنشاؤها ضربًا من العبث، أو نوعًا من الإسراف. ولهذا نجد أن بعض هذه الأماكن إنما تحدث نتيجة الحاجة إلىٰ العلم والاستزادة منه؛ لأنها لم تنشأ لذلك الغرض أصلًا.

ولم يكن في قرطبة مدارس نظامية بالمعنىٰ المعروف اليوم، خلال هذه الحقبة المعنيَّة بالدرس «فلم تكن المدارس قد أنشئت بعد، ولم يرد فيما بين أيدينا من كتب المؤرخين ذكر لمدرسة، وكانت المساجد هي مراكز الدرس والتعليم»[(١)].

اللهم إلا ما جاء عن الحكم المستنصر وما صنعه في حق أولاد الضعفاء والمساكين، حيث اتخذ لهم المؤدبين يعلمونهم في كل نواحي قرطبة، كما سيأتي قريبًا.

---

(١) قرطبة في العصر الإسلامي ص (١٨٧). قال المقّري: ليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم علىٰ طلب العلم، بل يقرؤون جميع العلوم في المساجد بأجرة. نفح الطيب ١/ ٢٢٠.

ولهذا فإن حديثي هنا سيتناول جميع الأماكن التي حصل فيها نشر للحديث وتعليم له دون النظر إلىٰ كون ذلك المكان أنشئ لهذا الغرض أم لا.

وقد تعددت هذه الأماكن وتنوعت، حتىٰ وصلتْ بحسب التتبع إلىٰ خمسة أنواع هي: **المكاتب، والمساجد، والمكتبات، ودور العلماء، ومجالس الأمراء**، إضافة إلىٰ أماكن أخرىٰ ليست قسيمة لما ذكرت ألحقتها بآخر هذا المبحث.

أولًا: المكاتب:

وأعني بها هنا أماكن التأديب عمومًا، سواءٌ أكان ذلك في أماكن خاصة للتأديب أو في بيوت المؤدبين أو في بيوت آباء الأولاد المؤدَّبين[(١)].

وقد ظهرت هذه المكاتب في الأندلس في فترة مبكرة، فقد ذكر الزبيدي أن الغازي بن قيس (ت١٩٩هـ) ممن امتهن التأديب في وقت دخول عبد الرحمن الداخل إلىٰ الأندلس سنة (١٣٨هـ)[(٢)].

ويظن الزبيدي أنه أدّب ولد عبد الرحمن الداخل، كما استأدبه الأميران هشام والحكَم لأبنائهما[(٣)].

---

(١) **ممن كتب حول موضوع التأديب في الأندلس فأجاد وأحسن**: الأستاذ كريم عجيل حسين في كتابه «الحياة العلمية في مدينة بلنسية» ص (٢٢٣ - ٢٥٠) منه.

(٢) طبقات النحويين ص (٢٥٤)، والحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف ص (٢٢٣).

(٣) طبقات النحويين ص (٢٥٥)، والحياة العلمية في مدينة بلنسية ص (٢٣٩).

أما مكانها فليس لها مكان محدد - كما سبق آنفًا -، ولكن الذي يبدو أنها كانت تقوم غالبًا حوالي المساجد، فيُكترىٰ لها غرفة في دار أو حانوت أو فناء أو نحو ذلك، وربما كان المكتب خاصًا برجل أو مؤدب من المؤدبين، أو كان عامًا ينشئه الأمير ومن في مكانته من الوجهاء.

وهذه المكاتب ليست قليلة، فقد ذكر ابن عذاري المراكشي في أحداث سنة (٣٥٦هـ) أن الحكم المستنصر بالله اتخذ المؤدبين يعلّمون أولاد الضعفاء والمساكين القرآن حوالي المسجد الجامع، وبكل ربضٍ من أرباض قرطبة، وأجرىٰ عليهم المرتبات، وعهد إليهم في الاجتهاد والنصح ابتغاء وجه الله العظيم، وعدد هذه المكاتب سبعة وعشرون مكتبًا، منها حوالي المسجد الجامع ثلاثة، وباقيها في كل ربض من أرباض المدينة[(١)].

ولم يكتف بهذا بل حبَّس عليهم حوانيت السرّاجين بقرطبة سنة (٣٦٤هـ) أي قبل وفاته بسنتين[(٢)]، حتىٰ إن ابن شخيص قد امتدح الخليفة علىٰ عمله هذا بقوله:

وساحةُ المسجدِ الأعلىٰ مُكَلَّلةٌ ... مَكاتبًا للیتامىٰ في نواحيها

لو مُكّنتْ سُورُ القرآنِ من كَلِمٍ ... نادتْكَ يا خيرَ تالِيها وواعِيها[(٣)]

---

(١) البيان المغرب ٢/ ٢٤٠، وقرطبة في العصر الإسلامي ص (١٨٧).

(٢) انظر: البيان المغرب ٢/ ٢٤٠، ٢٤٩.

(٣) البيان المغرب ٢/ ٢٤٠.

هذا عدا تلك المكاتب التي أنشأها الوجهاء أو بعض المؤدبين في بيوتهم، كما فعل محمد بن حزم المعلم القرطبي تلميذ بقي بن مخلد، حيث كان هو وأبوه وأخته تجمعهم كلهم في التعليم دار واحدة(١).

ولقد كان هؤلاء المؤدبون علىٰ درجة عالية من العلم والتحصيل، سواء في ذلك مؤدبي أولاد الخاصة، أو أولئك الذين انتدبتهم الدولة للتأديب في المكاتب العامة.

فهذا الغازي بن قيس القرطبي، ممن سمع الموطأ من مالك بن أنس مباشرة، وكان يحفظه، كما تلقىٰ العلم عن ابن أبي ذئب، وعبد الملك بن جريج، والأوزاعي، وقرأ القرآن علىٰ نافع بن أبي نعيم قارئ أهل المدينة(٢)، وهو شيخ المؤدبين بقرطبة(٣).

وغوث المعلّم القرطبي، ممن سمع الموطأ من عبيد الله بن يحيىٰ(٤).

كما أن محمد بن أحمد بن يحيىٰ الزهري القرطبي كان يجتمع إليه أهل الحسبة، والمعلمون، ويقرؤون عليه، كما كان طويل الصلاة، سمتًا وقورًا(٥).

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٦٥، والتكملة ١/ ٣٨٥.
(٢) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٧٨.
(٣) انظر القصة التي تدل علىٰ ذلك في: طبقات النحويين واللغويين ص (٢٥٦).
(٤) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٨٢.
(٥) المصدر السابق ٢/ ٦٩٦.

وقس علىٰ هذا بقية المؤدبين من أمثال محمد بن خمسين الثقفي القرطبي[١]، وشمر بن نمير مولىٰ بني أمية الذي ضمّه هشام بن عبد الرحمن إلىٰ تأديب ولده، وأنزله في الدار المعروفة - بشُبُلّار[٢] - بدار ابن الشمر[٣]، وأحمد بن محمد بن أحمد الأسلمي القرطبي الذي أدّب عند الرؤساء والجلّة من الملوك[٤]، وأحمد بن محمد بن يوسف المعافري الذي استأدبه أمير المؤمنين المستنصر بالله لولي العهد المؤيد بالله أمير المؤمنين[٥].

فقد كان هؤلاء وغيرهم من الصفوة المنتقاة والنخبة المختارة من رجال العلم وطلابه، ولهذا ظهر أثر هؤلاء النخبة من المؤدبين علىٰ طلابهم، فوُجد بين الطلاب من نبغ مبكرًا وظهرت عليه مخايل الفطنة والألمعية، وهو ما زال في الكتّاب، كما جرىٰ ليحيىٰ بن هذيل القرطبي - أحد رجال الحديث فيما بعدُ - فقد قال الشعر وهو بعدُ في المكتب، فكان معلّمه يعجب منه[٦].

وغني عن القول أن هذه الكتاتيب لم تخل من حثّ الطلاب علىٰ حفظ الحديث ودرسه؛ لأنه من العلوم السهلة التي يغلب عليها طابع

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٩٦.
(٢) هو: رَبَضٌ من الأرباض الشرقية لمدينة قرطبة. ذكر بلاد الأندلس ص (٣٣).
(٣) المصدر السابق ١/ ٣٤٧.
(٤) المصدر السابق ١/ ١٢١.
(٥) المصدر السابق ١/ ١٠٧.
(٦) ترتيب المدارك ٦/ ٢٩٤. وانظر قصةً نحوها في: الحلة السيراء ١/ ٢٠٨.

الحفظ أكثر من غيرها، فقد جرت عادة المسلمين علىٰ مدار الزمن، بتقديم العلوم التي يغلب عليها طابع الحفظ، علىٰ العلوم التي لها مساس بالفهم والاستيعاب وإدراك المعاني، فتجدهم يبدأون بالقرآن أولًا ثم بالحديث والشعر واللغة ثم سائر الفنون بعد ذلك[(١)].

«**وأول العلوم التي أدب بها المؤدبون**: القرآن الكريم والحديث الشريف، ثم الفرائض والنحو والشعر والحساب والهندسة»[(٢)].

وممن أدّب بالحديث الشريف بجانب العلوم الأخرىٰ: أحمد بن محمد القيسي، وكان قد سمع الحديث ورواه[(٣)]، ومثله محمد بن عبد الله القرشي، الذي كان مؤدبًا بالقرآن والشعر والحديث والنحو[(٤)].

ثانيًا: المساجد:

لقد حظيت المساجد في الأندلس برعاية عظيمة، وخدمة جليلة، هي بعض ما يجب نحوها.

وقد استوىٰ في هذا أمراء البيت الأموي بقرطبة وعامة الناس،

---

(١) **قال الميموني**: سألتُ أحمد: أيما أحب إليك: أبدأ ابني بالقرآن، أو بالحديث؟ قال: لا، بالقرآن القرآن. قلت: أعلّمه كله؟ قال: إلا أن يعسر عليه، فتعلّمه منه. ثم قال: إذا قرأ أوّلاَ تعوّد القراءة ولزمها. طبقات الحنابلة ١/ ٢١٤.

وقد بوّب الإمام البخاري لهذه المسألة بقوله: «باب تعليم الصبيان القرآن». **قال الحافظ ابن حجر**: كأنه أشار إلىٰ الرد علىٰ من كره ذلك. البخاري مع الفتح ٨/ ٧٠١، حديث رقم (٥٠٣٥).

(٢) الحياة العلمية في مدينة بلنسية ص (٢٤٢).

(٣) طبقات النحويين ص (٢٩٩).

(٤) المصدر نفسه ص (٣٠٣).

يُلاحظ ذلك في كثرة عدد المساجد بها، وطريقة بنائها، والإشراف عليها، وتعيين الأئمة والقَوَمة عليها... إلخ، ولا غرابة في هذا؛ لأن المساجد هي المكان الأول والرئيس لجميع شؤون المسلمين المهمة، ومنها نشر العلم وبثه في الناس.

وسوف أتناول هذا الأمر في نقطتين:

الأولىٰ: بناؤها وعددها والقيام عليها.

والثانية: عمارتها بالحديث، وسائر أنواع العلوم.

أولًا: بناؤها وعددها والقيام عليها:

أول ما يستلفت نظر الدارس للحضارة الأندلسية، ذلك الجامع الكبير الذي أصبح معلمًا من معالم الأندلس قاطبة، وليس قرطبة وحدها، حتىٰ لا تذكر الأندلس إلا ويذكر جامعها الذي تميّزت به علىٰ سائر الأمصار، والذي عُدّ أعظم مساجد الدنيا (في ذلك الوقت) علىٰ الإطلاق[(١)].

قال ابن عطية المحاربي (ت٥٤١هـ):

أســـتودعُ اللهَ أهـــلَ قرطبـــةٍ حيثُ عهدتُ الحياءَ والكرمَا

والجـامعَ الأعظـمَ العتيـقَ ولا زالَ مدىٰ الدهرِ مَأْمنًا حَرَمَا[(٢)]

---

(١) نفح الطيب ١/ ٥٤٥.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٦١٦، **وانظر**: فهرس ابن عطية ص (٢٣).

وقال أيضًا:

بـأربعٍ فاقـتِ الأمصـارَ قرطبـةٌ وهُـنّ: قَنطـرةُ الـوادي، وجامعُهـا
هاتـان ثنتـان، والزهـراءُ ثالثـةٌ، والعِلمُ أعظمُ شيءٍ، وهو رابعُها[1]

ويعتبر جامع قرطبة من أهم معالمها وآثارها الباقية حتىٰ اليوم وهو يسمّىٰ بالإسبانية Mezquita (وتنطق: ميتكيتا) وهي تحريف لكلمة (مسجد) وقد حوّله الإسبان إلىٰ (كاتدرائية) وأصبح تابعًا للكنيسة، وتحوّلت مئذنته الشاهقة إلىٰ برج تنتصب فوقه أجراس الكنيسة؛ لإخفاء طابعها الإسلامي!! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي هذا يقول محمد إقبال:

إن أرضًـــا أنـــتَ فيهـــا لســـــماءٌ للعيـــــونْ
كيـــفَ لـــم يَســـمعْ أذانًـــا أهلُهـــا منـــذُ قُـــرونْ![2]

«وكان الذي ابتدأ بنيان هذا المسجد العظيم: عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل، ولم يكمل في زمانه، وكمله ابنه هشام، ثم توالىٰ الخلفاء من بني أمية علىٰ الزيادة فيه، حتىٰ صار المثل مضروبًا به، والذي ذكره غير واحد أنه لم يزل كل خليفة يزيد فيه علىٰ من قبله،

(١) تقدم توثيقهما قريبًا.
(٢) العلم وبناء الأمم ص (٣٩٤-٣٩٧).

إلىٰ أن كمل علىٰ يد نحو الثمانية من الخلفاء»[(١)].

وقد عهد الحكم المستنصر إلىٰ أخيه المنذر بالإشراف علىٰ جامع قرطبة وأساتذته[(٢)].

وهناك مساجد أخرىٰ كثيرة في قرطبة، تباين تعدادها عند المؤرخين تباينًا شديدًا، وهذا يدل علىٰ كثرتها، ولذا لم تنضبط بعدد محدد، فقد روىٰ المؤرخون أنه كان بقرطبة (٣٨٧٧) مسجدًا، وروىٰ ابن حيان أن عدة المساجد عند تناهيها في مدة ابن عامر (١٦٠٠) مسجدٍ[(٣)].

وذهب محمد لبيب البتنوني إلىٰ أن عددها يقترب من الألفين[(٤)]، لكن الحميري - وهو المتخصص بالآثار - يذهب إلىٰ أن عددها علىٰ ما أُحصي وضُبط (٤٩١) مسجدًا[(٥)].

وقد تمكن الدكتور أحمد فكري من التعرف علىٰ أسماء خمسة

---

(١) نفح الطيب ١/ ٥٤٥.

(٢) دولة الإسلام في الأندلس ٢/ ٥٠٦.

ولمزيد من التفاصيل عن جامع قرطبة ينظر: المقتبس لابن حبان، تحقيق عبد الرحمن الحجي ص (٢٤٣) فما بعد، والروض المعطار للحميري ص (٤٥٦)، ووصف المسجد الجامع بقرطبة من كتاب «نزهة المشتاق»، تحقيق دوسيه لامار، والأندلس - كتاب مستلّ من دائرة المعارف الإسلامية - ص١٥٣، تأليف ج.س. كولان، والمساجد والقصور في الأندلس ص (٩) للسيد عبد العزيز سالم، وهو أوسعها، وتاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص (٣٧٧) له أيضًا، ورحلة الأندلس ص (٤٦) لمحمد لبيت البتنوني، وأندلسيات ٢/ ١٥٧ لعبد الرحمن الحجي.

(٣) قرطبة في العصر الإسلامي ص (١٨٦).

(٤) رحلة الأندلس ص (٥٣).

(٥) الروض المعطار ص (٤٥٨).

وخمسين مسجدًا من خلال كتاب «الصلة» لابن بشكوال وغيره[١]، قال: «وكان بعض هذه المساجد صغير الحجم، لكن بعضها كان كبيرًا مثل مسجد أبي عثمان الذين استخدمه عبد الرحمن الأوسط مسجدًا جامعًا أثناء قيامه بزيارة المسجد الأعظم في سنة (٢١٨هـ)»[٢].

وقد اتخذ القرطبيون هذه المساجد مدارس، حيث «لم تكن المدارس قد أُنشئت بعد، ولم يرد فيما بين أيدينا من كتب المؤرخين ذكرٌ لمدرسة، وكانت المساجد هي مراكز الدرس والتعليم»[٣]، كما هو الحال في جميع البلاد الإسلامية[٤].

وقد كان الناس - كما جرت العادة - يتحلَّقون في المساجد ويلتفون حول علمائهم ليقتبسوا من علمهم وهديهم، وهذا هو النمط السائد هناك كما تشير إليه الدلائل.

فقد ذُكر أن محمد بن يوسف بن مطروح القرطبي (ت٢٧١هـ) كان يحلّق في الجامع ويفتي ويُقرأ عليه العلم[٥].

ومثله عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الحميد القرطبي[٦]، وكذلك

---

(١) قرطبة في العصر الإسلامي ص (١٨٦) و(١٩٨).

(٢) تاريخ إسبانيا الإسلامية ٣/ ٣٧٦، وقرطبة في العصر الإسلامي ص (١٨٦).

(٣) قرطبة في العصر الإسلامي ص (١٨٧).

(٤) **انظر**: رحلة الأندلس ص (٥٣).

(٥) ترتيب المدارك ٤/ ٢٤٩.

(٦) المصدر نفسه ٤/ ٢٥٩.

أحمد بن بيطير القرطبي الفقيه (ت٣٠٣هـ)[١].

وكذلك سعد بن معاذ بن عثمان القرطبي[٢]، وغيرهم كثير.

بل ربما هيأ السلطان هذا الواقع وأمر به، كما فعل الأمير عبد الله بسعيد بن خمير الرعيني القرطبي الفقيه (ت٣٠٣هـ) حيث نقله إلىٰ قرب الجامع، فكان يحلّق فيه ويفتي ويعقد الوثائق[٣].

وكما فعل أمير المؤمنين مع أحمد بن خالد بن يزيد القرطبي (ت٣٢٢هـ)، حيث عزم عليه آخرًا في الانتقال إلىٰ الجامع بما لم يجد منه بدًا، وعمارته بنشر العلم بعد موت محمد بن لبابة، فأجاب إلىٰ ذلك بعد إبايةٍ شديدةٍ[٤].

ولذا نجد أن بعض هؤلاء المحدثين كانوا يسكنون بقرب الجامع حتىٰ يكونون قريبًا من طلابهم، كما فعل الأمير عبد الله مع سعيد بن خمير هذا.

وكما نقل عن طالوت بن عبد الجبار القرطبي الذي ينسب إليه المسجد بداخل مدينة قرطبة، حيث كان يسكن هناك[٥].

ولهذا فقد وجدَتْ هذه الحلْقات إقبالًا كبيرًا من الطلاب؛ لأنه تهيأ

---

(١) المصدر السابق ٥/ ١٦٤.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٣١٧.

(٣) ترتيب المدارك ٥/ ١٦٣، وتاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٩٤.

(٤) ترتيب المدارك ٥/ ١٧٧.

(٥) المصدر نفسه ٣/ ٣٤٠.

لهم المرتع الطيب الذي يتفيئون ظلاله ويتنسّمون عبقه، فقد قال ابن عفيف عن يحيىٰ بن عبد الله القرطبي: سمعنا منه الموطأ في أزيد من خمسمائة تلميذ[١].

ومثله محمد بن يحيىٰ بن زكريا التميمي، فقد كان مجلسه الذي حدّث فيه بصحيح البخاري من أجلّ المجالس في الأندلس[٢].

ثانيًا: عمارتها بالحديث وسائر أنواع العلوم:

لقد تعددت مناحي التعليم وطرائقه في مساجد قرطبة، وسعىٰ العلماء وسائر الطلاب إلىٰ عمارتها بأنواع شتىٰ من العلوم، وألوان متعددة من الفنون حيث تمّ نشرها في قوالب وأشكال متعددة.

وها أنذا أذكر بعضًا مما كان يجري في تلك المساجد باختصار:

أولًا: التحديث والإسماع:

سواء من حفظ الشيخ أو من كتابه، فقد ذكر أبو عمر ابن الحذاء أن أبا عمر الباجي لما دخل قرطبة جلس في مسجد ابن طوريل في الربض الغربي، وأنه سمع عليه من مصنف أبي بكر بن أبي شيبة... إلخ[٣].

وقال الحميدي عن أحمد بن الفضل الدينوري: حدّث عنه أبو القاسم خلف بن هانئ الأندلسي في سنة اثنين وأربعمائة ورأيت سماعه عليه سنة ست وأربعين وثلاثمائة في جامع قرطبة، وهو

---

(١) ترتيب المدارك ٦/ ١٠٨.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٩٤.

(٣) فهرسة ابن خير ص (١٣٣)، والصلة ١/ ٣٩.

يومئذ ابن ثمان وسبعين سنة[١].

ثانيًا: الإملاء:

سواء كان من حفظ الشيخ أو من كتابه - وهو أخص من التحديث - فقد ذكر الحميدي عن يحيىٰ بن مالك بن عائذ أنه كان يملي ويحدث بجامع قرطبة كل يوم جمعة[٢].

ومثل ذلك ذكر عن عبد الرحمن بن فطيس القرطبي حيث كان يملي الحديث من حفظه في مسجده، ومستمل بين يديه - علىٰ ما يفعله كبار المحدثين بالمشرق - والناس يكتبون عنه[٣].

ثالثًا: الإفتاء:

نقل عن إبراهيم بن عبد الرحمن التَّنسي المحدث، من ساكني الزهراء أنه كان يفتي في جامع الزهراء[٤].

كما كان يحيىٰ بن يحيىٰ الليثي يستفتىٰ في الجامع فيجيب السائل، وربما كتب ذلك[٥].

رابعًا: إقراء القرآن:

وكان هذا يجري في العادة عند أبواب الجامع، ولعل السبب في

---

(١) جذوة المقتبس ١/ ٢١٩.
(٢) جذوة المقتبس ٢/ ٦٠٦، وتاريخ علماء الأندلس ٢/ ٩٢٢.
(٣) الصلة ٢/ ٤٦٧.
(٤) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٥٤.
(٥) ترتيب المدارك ٣/ ٣٩٠.

ذلك - والله أعلم - هو خشية أن يتأذىٰ المصلون داخل المسجد بأصوات القارئين، كما ثبت النهي عن ذلك[١].

فهذا سليمان بن عبد الرحمن اللخمي القرطبي - وهو من المحدثين - كان يُقرأ عليه علىٰ باب المسجد الجامع، وكان أحد أئمة المسجد الجامع، وأحد المؤذنين فيه[٢].

كما أن عبد الله بن محمد المقري القرطبي كان يُقرئ القرآن علىٰ باب المسجد الجامع بقرطبة[٣].

خامسًا: المناظرة:

فقد كانت تُعقد في المسجد مجالس للمناظرة، كما نُقل عن محمد بن سعيد، وقيل: محمد بن يحيىٰ بن خليل القرطبي (ت٣٦٣هـ)، الذي كان مفتيًا في السوق بقرطبة، وحدّث، حيث كان يُجتمع إليه للمناظرة في الجامع[٤].

---

(١) **ثبت ذلك في أحاديث عدة، منها:** حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: اعتكف النبي ﷺ في المسجد، فسمعهم يجهرون بالقراءة وهو في قبّة له، فكشف المستورة وقال: «**ألا إن كلكم يناجي ربه، فلا يؤذين بعضكم بعضاً، ولا يرفعنّ بعضكم علىٰ بعض في القراءة في الصلاة**» أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل ٢/ ٨٣ (١٣٣٢)، والبيهقي في سننه الكبرىٰ ٣/ ١١ واللفظ له، وصحّحه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ١٢٩ (١٥٩٧).

(٢) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٣٣١، ٣٣٢.

(٣) المصدر السابق ١/ ٤١٤.

(٤) ترتيب المدارك ٧/ ٨، وتاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٤٤.

سادسًا: وعظ الناس وتذكيرهم:

فقد نادىٰ منادٍ عند أبواب المسجد الجامع بقرطبة عن أمر قاضي الجماعة محمد بن إسحاق بن السليم، معلنًا صوته، يحث الناس علىٰ إخراج زكاة أموالهم وكفارة أيمانهم ووصايا أمواتهم[(١)].

هذا عدا ما كان يعقد في الجامع نفسه لهذا الغرض.

سابعًا: الاستسقاء في الجامع:

فقد كان الناس يستسقون في المساجد كما ذكر ابن حيان عن القاضي محمد بن إسحاق بن السليم أنه استسقىٰ بجامع قرطبة، وكما استسقىٰ محمد بن يوسف قاضي قبْرة بجامع الزهراء، فاجتهدا في الدعاء...[(٢)].

ثامنًا: قراءة بيانات السلطان:

حيث قُرئ كتابُ الوزير القائد ذي السيفين غالب بن عبد الرحمن الذي تضمّن خبر نصره علىٰ عدوه غرسية بن فرذلند الكافر في الجامعين بقرطبة والزهراء[(٣)].

وكذا قرئ كتاب آخر بالنصر في الجامعين المذكورين في يوم الجمعة[(٤)].

---

(١) المقتبس ص (١٤٩) بتصرف، تحقيق عبد الرحمن الحجي.

(٢) **انظر**: المصدر نفسه ص (١٠١).

(٣) المصدر نفسه ص (٢٣٦، ٢٣٧).

(٤) المصدر السابق ص (٢٣٨).

تاسعًا: الملاعنة:

فقد لاعن أحمد بن سعيد بن إبراهيم الهمداني القرطبي زوجته بالمسجد الجامع بقرطبة، فعوتب في ذلك، وقيل له: مثلك يفعل هذا؟! فقال: أردتُ إحياءَ سنةٍ(١).

عاشرًا: التعزير والتأديب:

قال ابن وضاح: شهد شاهد عند محمد بن زياد بشهادة، فقال غراب لمحمد بن زياد: ومن شهد علي؟! لو كان الشاهد مثل الليث بن سعد... فأمر به - وذلك في المسجد وهو والي الشرطة - فقُمع أسواطًا(٢).

حادي عشر: مجلس القضاء:

كان المسجد من الأماكن التي يُعقد فيها مجلس القضاء، حيث: «لم يكن في قرطبة مقر خاص للقاضي كي يعقد جلساته فيه، لكن ديوان القضاة كان يعقد في المسجد الجامع بقرطبة أو في ساحة الصلاة، وأحيانًا في بيت القاضي الخاص، أو في أحد المساجد المنتشرة في المدينة»(٣).

ثالثًا: المكتبات:

لا يمكن أن تكون مدينة من المدن المرموقة خِلْوًا من المكتبات

---

(١) الصلة ١/ ٤٣.

(٢) قضاة قرطبة ص (١٢٩).

(٣) تاريخ القضاء في الأندلس ص (٢٢٤).

ودور الكتب، إذ إن من المقوّمات الأساسية لأي أمة من الأمم وجود مكتبات بها؛ وذلك حتىٰ تتوفر المرجعية العلمية اللازمة في كل وقت؛ ليستضيء بها الخاصة والعامة علىٰ حد سواء، وأرىٰ أن الباعث لوجود مثل هذه المكتبات هو المجتمع نفسه، فإذا ساد في المجتمع حبُّ التعلُّم - كما هو الحال في المجتمع القرطبي مثلًا - نشأ عنه بالضرورة ميل إلىٰ إنشاء المكتبات ودور الكتب والإكثار منها، والتنافس فيها من قِبَل الدولة، ومن قِبل الأفراد كذلك.

قد وُجد - بحمد الله - من خلفاء المسلمين من عُني بهذا الأمر أشد عناية، حتىٰ صار مضربًا للأمثال، سواء كان في المشرق أو في المغرب.

وقد ضرب أمراءُ البيت الأموي في الأندلس بعطن في هذا الأمر، حتىٰ تفوَّقوا فيه علىٰ المشارقة، وأول من عُني بهذا الشأن منهم: عبد الرحمن بن الحكم (ت٢٣٨هـ)، فقد كان شغوفًا بجمع الكتب، حتىٰ إنه أوفده شاعره عباس بن ناصح إلىٰ المشرق للبحث عن الكتب القيمة واستنساخها، فجمع له منها طائفة كبيرة، وكانت جهوده في هذا السبيل نواة لإنشاء مكتبة قرطبة العظيمة[(١)].

ثم تلاه خلفاء بني أمية حتىٰ جاء الخليفة العَلَم الفذّ الحكم المستنصر بالله (ت٣٦٦هـ) الذي «لم يُسمع في الإسلام بخليفة بلغ مبلغ الحكم في اقتناء الكتب والدواوين وإيثارها والتهمّم بها»[(٢)]، فأنشأ

(١) **ينظر**: دولة الإسلام في الأندلس ١/ ٢٨١، ٢٨٢.

(٢) الحلة السيراء ١/ ٢٠١. **وينظر**: ابن عبد البر الأندلسي وجهوده في التاريخ ص (٧٧).

مكتبة ضخمة متنوعة المعارف، جمة النفائس، لا تقدّر بثمن.

قال صاعد الطبقي عنه: «استجلب من بغداد ومصر وغيرها من ديار المشرق عيون التواليف الجليلة، والمصنفات الغريبة في العلوم القديمة والحديثة، وجمع (منها) في بقية أيام أبيه، ثم في مدة ملكه من بعده (ما كاد) يضاهي ما جمعته ملوك بني العباس في الأزمان الطويلة، وتهيأ له ذلك بفرط محبته للعلم، وبُعد همته في اكتساب الفضائل وسموّ نفسه إلىٰ التشبُّه بأهل الحكمة من الملوك»[(١)].

وقد ذكر بعض المؤرخين شيئًا عما تحويه تلك المكتبة من الكتب، حيث **قال ابن حزم:** أخبرني تليد الفتىٰ - وكان علىٰ خزانة العلوم بقصر بني مروان بالأندلس - أن عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب، أربع وأربعون فهرسةً، في كل فهرسة خمسون ورقة، ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط[(٢)]. حتىٰ إن بعضهم قدّر عدد ما تحويه من كتب بأربعمائة ألف مجلد[(٣)]، أو ستمائة ألف علىٰ قول بعضهم[(٤)].

وما زال الحكم المستنصر يدأب في جمع الكتب وتحصيلها واستنساخها حتىٰ «ضاقت أبهاء القصر الخليفي عن استيعاب العدد

---

(١) طبقات الأمم ص (١٦٢، ١٦٣). وقد صوبتُ الكلمات المقوسة، لورودها علىٰ الخطأ في المطبوع.

(٢) جمهرة أنساب العرب ص (١٠٠)، وعنه الحلة السيراء ١/ ٢٠٣.

(٣) نفح الطيب ١/ ٣٩٥.

(٤) التراتيب الإدارية ٢/ ٤٦٠.

العظيم من الكتب الواردة إليها باستمرار، فأنشأ علىٰ مقربة من القصر صرحًا عظيمًا خاصًا بالمكتبة، افتنّ المهندسون في ترتيبه وتنسيقه وإنارة أبهائه»[١]، ثم إنه نقلها إلىٰ هذا الصرح حتىٰ ذُكر أنهم «أقاموا ستة أشهر في نقلها»[٢]. وقد عهد الحكم بإدارة المكتبة الأموية العظيمة إلىٰ أخيه عبد العزيز[٣].

والسبب في تضخّم المكتبة علىٰ هذا النحو لا يعود إلىٰ اعتناء الحكم بالجمع والاستنساخ فحسب، بل إن العلماء حينما رأوا شغفه بالكتب وولعه بها صاروا يهدونه مؤلفاتهم تيمنًا برعايته للعلم والعلماء[٤].

وأعجب من هذا أن بعض ملوك الروم كانوا أول ما يهدونه لخلفاء المسلمين الكتب، كما فعل أومانيوس ملك الروم مع الخليفة الناصر[٥].

ولم يقتصر أمر جمع الكتب والتنافس في ذلك علىٰ الأمراء الأمويين فقط، بل تعدّىٰ ذلك إلىٰ عامة الناس رجالًا ونساءً، فقد ذكر ابن بشكوال عن ابن الفرضي أنه: «كان جمّاعًا للكتب، فجمع منها

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس ص/ ٥٠٦ بتصرف يسير.
(٢) نفح الطيب ١/ ٣٩٥.
(٣) دولة الإسلام في الأندلس ٢/ ٥٠٦.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٥٠٥.
(٥) **انظر**: المصدر السابق ٢/ ٤٥٣.

أكثر ما جمعه أحد من عظماء البلد»[(١)]، كما أن عائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم القرطبية (ت٤٠٠هـ) - وقد كانت من أبرع نساء عصرها علمًا وأدبًا وشعرًا - كانت خزانة كتبها من أغنىٰ وأقيم المكتبات الخاصة[(٢)].

وقد ساعد علىٰ توفُّر هذه الكتب وتغذية المكتبات منها باستمرار، تلك السوقُ الرائجة للكتب التي كانت في قرطبة، حتىٰ ذُكر أنه كان إذا مات عالم بإشبيلية جيء بكتبه فبيعت في قرطبة[(٣)].

كما أن العلماء كانوا يجلبون معهم صُنوفًا من الكتب التي سمعوها في المشرق كما صنع وهب بن نافع الأسدي القرطبي الذي أخذ كتب أبي عبيد ومنها «شرح الحديث» عن علي بن ثابت وأبي جعفر محمد بن وهب المسعري، وأدخلها الأندلس، وهو أول من أخذت عنه هناك[(٤)].

ومثله أحمد بن خالد الجذامي القرطبي التاجر الذي أدخل الأندلس كتبًا غريبة، تفرد بروايتها فسمعها الناس منه قديمًا وحديثًا[(٥)].

وحديثًا[(٥)].

---

(١) الصلة ١/ ٣٩٣.

(٢) دولة الإسلام ٢/ ٥٠٦. وانظر ترجمتها في: نفح الطيب ٤/ ٢٩٠.

(٣) **انظر**: نفح الطيب ١/ ١٥٥، وابن عبد البر الأندلسي وجهوده في التاريخ ص (٨١).

(٤) **ينظر**: تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٧٥.

(٥) المصدر نفسه ١/ ١١٧.

«ويذكر التاريخ العربي عن مدينة قرطبة بالأندلس أنها كانت أكثر بلاد الله كتبًا، وأن مسيحيي إسبانيا لما استولوا علىٰ قرطبة أحرقوا كل ما طالت إليه أيديهم من مصنفات المسلمين، وعددها مليون وخمسون ألف مجلد، وجعلوها زينة وشعلة في يوم واحد، ثم رجعوا علىٰ تسعين مكتبة في الأندلس، وصاروا يتلفون كل ما عثروا عليه في كل إقليم من مؤلفات العرب، ذكر ذلك (موندي) في تاريخه»[(١)].

وقال أيضًا: «ذكر صاحب «الوافي في المسألة الشرقية» أنه كان بمكتبة قرطبة وحدها علىٰ عهد الإسلام ستمائة ألف مجلد من الكتب المختارة»[(٢)].

ولا ريب أن هذه المكتبات لا تخلو يقينًا من كتب الحديث وعلومه، لا سيما وأن قرطبة دار حديث وإسناد، - كما لا يخفىٰ - خصوصًا مكتبة الحكم المستنصر والحافظ ابن الفرضي، الأول لسماعه من المحدثين واستجازته منهم، والثاني لأنه من حفّاظ الحديث[(٣)].

رابعًا: دُور العلماء:

كانت المساجد هي المكان الأساس للتعليم، حيث لم يكن للمسلمين مدارس نظامية بالمعنىٰ المعروف اليوم، فكان الطالب إذا

---

(١) التراتيب الإدارية ٢/ ٤٥٣، ٤٥٤.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٤٥٤.

(٣) **انظر**: نفح الطيب ١/ ٣٩٥، والصلة ١/ ٣٩١ فما بعد.

أراد أن يطلب العلم اتجه مباشرة إلىٰ المسجد فوجد فيه حلقات العلم الكثيرة، فنهل منها ما شاء الله له أن ينهل، ولهذا لم تكن دور العلماء مكانًا طبيعيًا لتعقد فيها حلقات الدرس بالأندلس، بل كانوا يلجأون إليها أحيانًا لسببٍ مّا، ولهذا فإننا لا نجد شواهد كثيرة علىٰ هذا الأمر؛ لما أسلفت، بل إن أعداد الطلاب لم تكن بتلك الكثرة في حضور مجالس العلم في دور العلماء. وأكبر عدد وجدته ممن كان يحضر هذه المجالس الخاصة يقدر بنيف وأربعين تلميذًا، كانوا يحضرون مجلس أبي عمر أحمد بن سعيد بن كوثر الأنصاري (ت٤٠٣هـ) في طليطلة، فيسمعهم ويكرمهم بأطايب الطعام[(١)].

وقد كان الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ - وبهديه عَمِلَ أهلُ الأندلس - يجلس علىٰ ضِجاعٍ ونَمارقَ مطروحةٍ في منزله يمنةً ويسرةً... وكان رجلًا مهيبًا نبيلًا، ليس في مجلسه شيء من المراء واللغط، ولا رفع الصوت، إذا سئل عن شيء فأجاب سائله، لم يقل له: من أين رأيت هذا، وكان الغرباء يسألونه عن الحديث والحديثين فيجيبهم الفينة بعد الفينة، وربما أذن لبعضهم فقرأ عليه... إلخ[(٢)].

وقد تعددت أسباب تدريس هؤلاء العلماء في بيوتهم، لكن أكثرهم إنما فعل ذلك للحاجة، كما حصل لمحمد بن أحمد الجبلي القرطبي (ت٣١٣هـ) - تلميذ بقي بن مخلد ومحمد بن وضاح - حيث أخذته

(١) الصلة ١/ ٧٢، ٧٣.
(٢) ترتيب المدارك ٢/ ١٣.

ريح فأبطلته، فلزم بيته، فكان يُجتمع إليه للمناظرة[١].

ومثله سعيد بن خمير القرطبي (ت٣٠١هـ)، فقد كان يحلّق في الجامع، ويفتي، ثم أثقله اللحم، فكان يفتي في بيته[٢].

كما كان يوسف بن عمروس المنيّي القرطبي - من تلاميذ ابن وضاح - قد انقبض قبل موته بسنين، فكان يُختلف إليه للسماع منه في داره[٣].

ويبدو أن إبراهيم بن محمد بن باز كان له درس مستمر في بيته يحْضره الطلاب، فقد ذكر يوسف ابن مطروح أنه سمع منه «جامع» ابن وهب، وأتىٰ بنفسه إليه ليقرأه عليه، فقال ابن باز: يا سيدي! كنت أمضي إليك، لو بعثت فيّ - لأنه كان من ثقة أشياخه - فقال له: لا، في بيته يُؤتىٰ الحَكَم[٤].

وقال بعض أصحابه: كنا نسمع عنده في غرفة له، إذ صعدت امرأة عجوز... إلخ القصة[٥].

خامسًا: مجالس الأمراء:

جرت عادة الأمراء في الأندلس أن لا تخلو مجالسهم من العلماء

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٧٨، وترتيب المدارك ٥/ ١٨٤.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٩٤، ٢٩٥، وترتيب المدارك ٥/ ١٦٣.

(٣) ترتيب المدارك ٦/ ١٥٣.

(٤) المصدر نفسه ٤/ ٤٤٣.

(٥) المصدر السابق ٤/ ٤٤٤.

والأدباء والشعراء، يستفيدون منهم، ويقبسون من علمهم، ويفاخرون بحضورهم، وربما شاركوا في مناظرتهم ومحاورتهم، فقد كان كثير منهم من أهل العلم؛ كعبد الرحمن بن معاوية[١]، وعبد الرحمن الناصر، والحكم المستنصر[٢]، والمنصور ابن أبي عامر[٣]، بل كان محمد بن عبد الرحمن مُؤْثِرًا لأهل الحديث[٤] مقربًا لهم ومدافعًا عنهم، كما فعل مع بقي بن مخلد القرطبي عندما ثار عليه الفقهاء[٥].

وقد طلب كثير من الأمراء علم الحديث، وقرأوا شيئًا من كتب الحديث علىٰ المحدثين، كما سيأتي بيانه في الفصل الثالث من هذا الباب، ولكن ليس من المعروف هل قرأوا تلك الكتب في مجالسهم الخاصة أم مع عامة الطلاب.

وبكل حالٍ، فلم تكن مجالس الأمراء تخلو من مناظرة، أو مدارسة حديث وتذكير به، فقد قال ابن الأثير عن المنصور بن أبي عامر: «كان عالمًا، محبًّا للعلماء، يكثر مجالستهم ويناظرهم»[٦].

كما جاء عن زياد بن عبد الرحمن أنه جلس يومًا في مجلس الأمير

---

(١) جذوة المقتبس ١/ ٣٨.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٤٣.

(٣) دولة الإسلام في الأندلس ٢/ ٥٨٤.

(٤) جذوة المقتبس ١/ ٤٠.

(٥) انظر القصة في: المصدر نفسه ١/ ٤٠. وسيأتي الكلام عليها بالتفصيل في المبحث الثاني الثاني من الفصل الرابع من هذا الباب.

(٦) الكامل ٩/ ١٧٦.

هشام بن عبد الرحمن، فغضب فيه علىٰ خاصة له أوصل إليه كتابًا كرهه، فأمر بقطع يده، **فقال زياد:** أصلح الله الأمير! فإن مالك بن أنس حدثني في خبر رفعه: «أن من كظم غيظًا يقدر علىٰ إنفاذه، ملأه الله أمنًا وإيمانًا يوم القيامة»، فسكن غضب الأمير[(١)].

سادسًا: أماكن أخرى:

هناك أماكن أخرىٰ كثيرة كان الطلاب يقصدونها لسماع الحديث من الشيوخ؛ كالبستان والأندر والطريق، وغير ذلك.

قال أحمد بن خالد عن إبراهيم بن محمد بن باز: كان متواضعًا؛ يحرث بيده، ويحصد، وينقل الزبل، وكنا نقرأ عليه في فدادينه وأندره والطريق[(٢)].

وقال ابن لبابة: كنت يومًا عند أبي وهب[(٣)] في جنته، بقرب مقبرة قريش، وكان يعتمرها بيده في نفرٍ من الطلبة يُسمعُ عليه...[(٤)].

(١) ترتيب المدارك ٣/ ١١٩. وسيأتي تخريج الحديث.

(٢) ترتيب المدارك ٤/ ٤٤٥. **والأندر:** هو البيدر. القاموس المحيط، مادة: (ندر) ص (٦١٨).

(٣) هو: عبد الأعلىٰ بن وهب بن عبد الأعلىٰ القرطبي (ت٢٦١هـ)، وهو من تلاميذ يحيىٰ بن يحيىٰ الليثي، وكان أكثر اشتغاله بالفقه. ترتيب المدارك ٤/ ٢٤٥.

(٤) ترتيب المدارك ٤/ ٢٤٨.

الفصل الثاني

كتب الحديث وعلومه،
وطرق تدريس الحديث ونشره

وفيه مبحثان:

المبحث الأول:

أشهر كتب الحديث وعلومه التي دخلت قرطبة.

المبحث الثاني:

طرق تدريس الحديث ونشره.

المبحث الأول
أشهر كتب الحديث وعلومه التي دخلت قرطبة

تعددت وسائل ضبط السُّنَّة النبوية في جيل الصحابة، وشطر من جيل التابعين، وكانت الوسيلة الشائعة في ضبطها إذ ذاك هي حفظها في الصدور، ثم حدث بعد ذلك تدوين الدواوين وتصنيف المصنفات، والذي جاء نتيجة رحلاتٍ كثيرة يجوب فيها المحدث الآفاق، ويستقصي النواحي والأمصار، متلمسًا حديث رسول الله ﷺ في مظانه، بتحرّ واسع، ودقة وتثبت شديدين، وربما سلخ أحدهم عمره كلّه أو أكثره طالبًا ومقيدًا.

وقد تعدَّدت وتنوعت مناهج تلك المصنفات، وطرق عرضها للحديث، فمن جوامع إلىٰ مسانيدٍ ومعاجمٍ وأمالٍ ومصنفاتٍ ومستخرجاتٍ ومستدركاتٍ إلىٰ غير ذلك[(١)].

وقد لاقت معظم هذه المصنفات ذيوعًا وانتشارًا في أمصار العالم الإسلامي من أدناه إلىٰ أقصاه، لا سيما الكتب الستة: الصحيحان والسنن الأربعة، بالإضافة إلىٰ موطأ مالك، ومسند أحمد، وأقبل الناس عليها نسخًا، وتحملًا وتدريسًا؛ حتىٰ ذاعت السُّنَّة، وانتشر الحديث بين القاصي والداني.

---

(١) **انظر أصنافها وتقسيماتها في**: «الرسالة المستطرفة» في مواضعها منه، والحديث والمحدّثون ص (٣٦٣) فما بعد، والعُجالة النافعة ص (٥٣)، والحِطّة ص (١١٨)، وتاريخ فنون الحديث النبوي ص (٥٦) فما بعد.

بَيْد أن هناك أمصارًا اشتهرت بالسُّنَّة أكثر من غيرها، إما لوفرة المحدثين بها، وإما لتوالي الرحلة إليها، وإما لمكانتها السياسية، وتعدادها السكاني، فبغداد والبصرة والكوفة ودمشق والقيروان ونيسابور وبخارىٰ ومرو وواسط وأصبهان وغيرها، كل هذه كانت معالم بارزة في خارطة انتشار السُّنَّة النبوية، ومن ثَمَّ ألّف علماء الحديث مصنفات مستقلة تُسمىٰ بتواريخ البلدان، رصدت حركة الحديث في تلك الأمصار عن طريق الترجمة لعلماء الحديث وطلابه بها، وهي علىٰ نوعين: خاصةٍ بمصر معين، وعامة لمعظم الأمصار.

فمن الصنف الأول: «تاريخ واسط» لبحشل (ت٢٨٨هـ)[(١)]، و«طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها» لأبي الشيخ ابن حيان الأنصاري (ت٣٦٩هـ)[(٢)]، و«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، الذي ترجم فيه لواحد وثلاثين وثمانمائة وسبعة آلاف شخص، منهم خمسة آلاف من المحدثين[(٣)] وغيرها كثير[(٤)].

---

(١) طبع بتحقيق كوركيس عواد سنة ١٩٦٧م ببغداد عن دار المعارف.

(٢) مخطوط بالظاهرية بدمشق (تاريخ ٦٥) ويوجد في دار الكتب المصرية. **انظر**: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط ص (١٠٦٥)، ومراجع محقق «تاريخ أصبهان» لأبي نعيم الأصبهاني.

(٣) بحوث في تاريخ السُّنّة المشرّفة ص (٢١١).

(٤) **للاستزادة انظر**: تاريخ بيهق ص (٢٠)، والإحاطة في أخبار غرناطة ١/ ٥، والإعلان بالتوبيخ ص (٢٣١)، وكشف الظنون ٢/ ١٠٦، والرسالة المستطرفة ص (١٣٠) فما بعد، وبحوث في تاريخ السُّنّة المشرّفة ص (١٩٧) فما بعد.

ومن الصنف الثاني: كتاب «الإرشاد في علماء البلاد» للحافظ أبي يعلىٰ الخليلي (ت٤٤٦هـ)، وكتاب «الأمصار ذوات الآثار» للحافظ شمس الدين ابن الذهبي (ت٧٤٨هـ)، وهو مقارب للأول، فقد رتبا كتابيهما علىٰ الأمصار مع الإشارة إلىٰ علمائها[(١)].

ويلتحق بهذه الأمصار العظمىٰ مدينةُ قرطبة، فقد انتشرت بها السُّنَّة، وأصبحت دار حديثٍ وإسنادٍ، خصوصًا في المائة الثالثة كما يرىٰ الذهبي، لهذا فقد عدّها من الأمصار ذوات الآثار في كتابه آنف الذكر[(٢)]، وبدأ بها حين تحدّث عن الأندلس، فقال عنها وعن بعض المدن الأندلسية الأخرىٰ: فُتحت في أيام الوليد بن عبد الملك، وجُلب العلم إليها، لكن اشتهر بها العلم والحديث في المائة الثالثة بابن حبيب ويحيىٰ بن يحيىٰ وأصحابهما، ثم ببقي بن مخلد، ومحمد بن وضاح... إلخ[(٣)].

من هذا يتبين لنا أهمية قرطبة بالنسبة لمدن الأندلس الأخرىٰ - فهي قصبة الأندلس وسرير ملكها - وقد ظهر لي بالتتبع والبحث أنها تمتاز عن غيرها بوفرة علمائها، وكثرة طلابها، والراحلين منها وإليها، وهذا كله جعل قرطبة ميدانًا خصبًا لتوارد المصنفات الحديثية إليها من

---

(١) انظر موازنة بينهما في مقدمة كتاب: الأمصار ذوات الآثار ص (١٣٠)، وكلاهما مطبوع.

(٢) الأمصار ذوات الآثار ص (١٨٤).

(٣) المصدر نفسه ص (١٨٦). ويلاحظ أن جميع من مثّل بهم من المحدثين هم من أهل قرطبة.

جميع البقاع والأمصار، سوىٰ ما ألفه علماؤها في الحديث وعلومه كما سيأتي، ولقد ساهمت رحلاتُ العلماء إلىٰ مختلف أمصار الشرق في زيادة تنافس العلماء في جلب أشهر وأعظم الكتب فائدة إلىٰ قرطبة، لروايتها وإسماعها الناس، بل ربما أغرب بعضهم فلم يوجد الكتاب إلا عنده[(١)].

وهذا بيان لجميع ما وقع لي من تلك المصنفات التي دخلت قرطبة سوىٰ الكتب الستة، فإن لها حديثًا سيأتي. وقد رتبت هذه المصنفات بحسب قِدَم وفاة مؤلفيها:

١- «الموطأ» لمحمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب القرشي العامري المديني (ت١٥٨هـ)، سمعه يوسف بن محمد بن يوسف بن عمروس المؤدب الإستجي - الذي سكن قرطبة - من أبي الطاهر محمد بن جعفر السعيدي، وهو عن ابن بادي العلاّف، عن أحمد بن صالح، عن محمد بن إسماعيل بن أبي فُديك، عن ابن أبي ذئب[(٢)].

٢- «المصنف» لحماد بن سلمة الربعي (ت١٦٧هـ)، سمعه أحمد بن خالد بن يزيد القرطبي (ت٣٢٢هـ) من علي بن عبد العزيز البغوي، الذي سمعه من حجّاج بن منهال، عن حماد بن سلمة[(٣)].

---

(١) انظر شاهد ذلك في: تاريخ علماء الأندلس ١/ ١١٧ و٢/ ٤٩٣.

(٢) جذوة المقتبس ٢/ ٥٨٥.

(٣) فهرسة ابن خير ص (١٣٤). وقد تصحّفت فيه سلمة إلىٰ سلامة، **وانظر**: الرسالة المستطرفة ص (٤٠).

٣- «الموطأ» و«الجامع» كلاهما لعبد الله بن وهب المصري (ت١٩٧هـ)، وقد تحمّلهما وأدخلهما سعيد بن عثمان الأعناقي، حيث سمعهما من ابن أخي ابن وهب بأجرة[(١)].

٤- «المصنف» لوكيع بن الجراح (ت١٩٧هـ) سمعه محمد بن وضاح القرطبي (ت٢٨٦هـ) من موسىٰ بن معاوية عن وكيع[(٢)].

٥- «المصنف» لسفيان بن عيينة (ت١٩٨هـ) رواية محمد بن أبي عمر العدني عنه، سمعها منه محمد بن عبد السلام الخشني القرطبي (ت٢٨٦هـ)[(٣)].

٦- «المصنف» لعبد الرزاق بن همّام الصنعاني (ت٢١١هـ) أخذه أحمد بن خالد بن يزيد المعروف بابن الجبّاب، عن إسحاق بن إبراهيم الدبري صاحب عبد الرزاق بن همام، واستدرك شيئًا مما فاته من مصنف عبد الرزاق من عبيد بن محمد الكشوري[(٤)] عن محمد بن يوسف الحذاقي، عن عبد الرزاق[(٥)].

---

(١) **قال سعيد بن عثمان:** لما قدمنا مصر وجدنا يونس أمره صعبًا، ووجدنا ابن أخي ابن وهب أسهل، فجمعنا له دنانير وأعطيناها إياه، فقرأ لنا موطأ عمه وجامعه. جذوة المقتبس ١/ ١٤٠.

(٢) فهرسة ابن خير ص (١٢٦).

(٣) المصدر نفسه ص (١٣٤، ١٣٥)، وتاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٤٨. وقد تصحفت فيه العدني إلىٰ: العيدني!

(٤) تصحف اسمه إلىٰ عبيد الله بن محمد في تاريخ علماء الأندلس ١/ ٧٦. **وانظر:** إتحاف الخِلّان بمعارف معجم البلدان ٢/ ٥٩٩.

(٥) جذوة المقتبس ١/ ١٩٢، ١٩٣. وانظر للتوسّع: فهرسة ابن خير ص (١٢٧).

٧- كتب أسد بن موسىٰ (ت٢١٢هـ)، ومنها «المسند». تحمّله سعيد بن عثمان الأعناقي، عن نصر بن مرزوق، عن أسد بن موسىٰ[١].

٨- «الضعفاء والمتروكون» لأبي جعفر العقيلي (ت٣٢٢هـ)، وقد أدخله قرطبة يحيىٰ بن محمد بن يوسف الأشعري القرطبي (ت٣٩٠هـ)، حيث قرئ عليه فيما بعد[٢].

٩- كتب أبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ)، ومنها «شرح الحديث»، حيث أخذها وهب بن نافع، عن علي بن ثابت، وأبي جعفر محمد بن وهب المسعري، وهو أول من أدخلها الأندلس، وأول من أخذت عنه، ثم أدخلها الخشني بعده[٣].

١٠- حديث مسدّد بن مسرهد الأسدي (ت٢٢٨هـ)[٤]، ولعله «المسند»، أدخله قرطبة قاسم بن أصبغ البياني القرطبي (ت٣٤٠هـ)، قال ابن عبد البر: قرأت علىٰ عبد الوارث بن سفيان حديث مسدّد بن مسرهد في عشرة أجزاء، أخبرني به القاسم بن أصبغ، عن بكر بن حماد، عن مسدّد[٥].

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٩٦، وفهرسة ابن خير ص (١٤١). ودخوله إلىٰ قرطبة مظنونٌ، والله أعلم.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٩٢٥.

(٣) المصدر نفسه ٢/ ٨٧٥.

(٤) تنبيه: ذكر أصحاب كتب الرجال والتراجم اسمه علىٰ أنه من الغرائب، وفيه كثير من التزيّدات! انظر: تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٢١، والباعث الحثيث ص (٣١٢)، والأعلام ٧/ ٢١٥.

(٥) جذوة المقتبس ٢/ ٥٢٧، ٥٢٨.

١١- «المسند» لأبي بكر بن أبي شيبة (ت٢٣٥هـ)، سمعه منه محمد بن وضاح القرطبي إلا الجزء الأول منه الذي فيه حديث أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[١].

١٢- «المصنف» لأبي بكر بن أبي شيبة (ت٢٣٥هـ) سمعه منه بقي بن مخلد القرطبي (ت٢٧٦هـ)[٢].

١٣- «المسند» لأحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، سمعه عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبي (ت٣٩٠هـ) من أبي بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك البغدادي عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه به[٣].

١٤- «المسند» لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سنجر الجرجاني (ت٢٥٨هـ) نزيل مصر، وقد أسمعه للناس عبيد بن محمد أبو عبد الله القرطبي، أخذه عن عبد الله بن مسرور عن عيسىٰ بن مسكين عن ابن سنجر[٤].

١٥- «المراسيل» لأبي داود السجستاني (ت٢٧٥هـ) قرأه علىٰ أبي علي محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤي - تلميذ أبي داود -، أبو القاسم مسلمة بن القاسم بن إبراهيم الزيات القرطبي (ت٣٥٣هـ)

---

(١) فهرسة ابن خير ص (١٣٧، ١٣٨).
(٢) المصدر نفسه ص (١٣١).
(٣) المصدر نفسه ص (١٣٩). **وانظر**: تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٢٣.
(٤) جذوة المقتبس ٢/ ٤٦٨، وفهرسة ابن خير ص (١٤٢).

بالبصرة في ذي القعدة سنة (٣٢٥هـ)[١].

١٦- «الزهد» لأبي داود السجستاني، وهو أحاديث مسندة مرفوعة، أخذها سماعًا أبو حفص عمر بن عبد الملك الخولاني القرطبي (ت٣٥٦هـ)، عن أبي بكر محمد بن بكر بن داسة - تلميذ أبي داود - عن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢].

١٧- «التفرد» لأبي داود السجستاني، وهو فيما تفرد به أهل الأمصار من السنن الواردة، سمعه أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبي (ت٣٩٠هـ) من أبي بكر محمد بن بكر بن داسة - تلميذ أبي داود - عن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣].

١٨- «التاريخ» لابن أبي خيثمة (ت٢٧٩هـ)، سمعه منه محمد بن عبيد بن أيوب القرطبي المعروف بالدبّاج (ت٣١٧هـ)[٤]. وقاسم بن أصبغ القرطبي (ت٣٤٠هـ)[٥].

١٩- «المسند» للحارث بن أبي أسامة (ت٢٨٢هـ)، أخذه عنه قاسم بن أصبغ القرطبي[٦].

٢٠- «المسند» لعلي بن عبد العزيز بن المرزبان البغوي (ت٢٨٦هـ)،

---

(١) فهرسة ابن خير ص (١٠٨). **وانظر**: تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٢٤.
(٢) المصدر نفسه ص (١٠٩). **وانظر**: تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٤٨.
(٣) المصدر نفسه ص (١٠٩). **وانظر**: تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٢٣.
(٤) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٨٥.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٦١١.
(٦) فهرسة ابن خير ص (١٤١)، **وانظر**: تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦١٢.

سمعه منه أحمد بن خالد بن يزيد المعروف بابن الجبّاب القرطبي (ت٣٢٢هـ)[(١)].

٢١- «المسند» لأبي محمد عبد الله بن محمد بن أبي ناجية (ت٣٠١هـ)، تحمّله أبو القاسم خلف بن قاسم القرطبي (ت٣٩٣هـ) عن أبي قتيبة بن مسلم الفضل البغدادي، عن ابن ناجية[(٢)].

٢٢- «مسند حديث الزهري بعلله والكلام عليه» لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)، أخذه عباس بن أصبغ القرطبي (ت٣٨٦هـ) عن محمد بن قاسم بن محمد عن النسائي[(٣)].

٢٣- «مسند حديث شعبة بن الحجاج بن الورد» و«مسند سفيان بن سعيد الثوري» كلاهما للإمام النسائي (ت٣٠٣هـ) أخذهما عباس بن أصبغ القرطبي (ت٣٨٦هـ) عن سعيد بن جابر، عن النسائي[(٤)].

٢٤- «مسند حديث شعبة وسفيان الثوري، مما رواه شعبة، ولم يروه سفيان، أو رواه سفيان، ولم يروه شعبة من الحديث، أو الرجال»، وهو كتاب: «الإغراب»، من تأليف النسائي أيضًا، تحمّله عباس بن أصبغ

---

(١) **انظر**: المصدر نفسه ص (١٤٤)، وتاريخ علماء الأندلس ١/ ٧٦، وجذوة المقتبس ١/ ١٩٢، والأعلام ٤/ ٣٠٠.

(٢) المصدر نفسه ص (١٤٣). **وانظر**: تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٥٠.

(٣) فهرسة ابن خير ص (١٤٥). وقد سقط منه كلمة (عن) بين النسائي ومحمد بن قاسم الراوي عنه، وتم تصويبها من الكتاب نفسه ص (١١١)، ومن ترجمة عباس بن أصبغ في تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٠٧.

(٤) فهرسة ابن خير ص (١٤٦).

القرطبي (ت٣٨٦هـ) عن سعيد بن جابر عن النسائي[١].

كما سمعه خلف بن قاسم القرطبي الحافظ (ت٣٩٣هـ) من أبي الحسن محمد بن عبد الله بن زكرياء بن حيوية النيسابوري عن النسائي[٢].

٢٥- «مسند حديث ابن جريج»، تأليف النسائي أيضًا أخذه عباس بن أصبغ القرطبي، عن سعيد بن جابر، عن النسائي[٣].

٢٦- «مسند حديث شعبة بن الحجاج» لأبي بشر محمد بن أحمد ابن حماد الدولابي (ت٣١٠هـ)، وهو في تسعة أجزاء، أخذه خلف بن قاسم القرطبي (ت٣٩٣هـ)، عن أبي بكر محمد بن الحارث بن الأبيض، عن أبي بشر الدولابي[٤].

٢٧- «المصنف» في السنن لأبي علي ابن السكن (ت٣٥٣هـ)، الذي جمع فيه سنن المصنفات الأربعة: البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي، سمعه الحافظ أبو القاسم خلف بن قاسم القرطبي (ت٣٩٠هـ) منه مباشرة[٥].

---

(١) المصدر نفسه ص (١٤٦).

(٢) المصدر نفسه ص (١٤٦)، وتاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٥٠.

(٣) المصدر نفسه ص (١٤٧).

(٤) المصدر نفسه ص (١٤٦، ١٤٧).

(٥) المصدر نفسه ص (١٢٥)، وتاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٥٠، والرسالة المستطرفة ص (٢٥).

قال ابن الفرضي القرطبي: من كان عنده «مصنف ابن السكن» لم يبق عليه من الحديث =

٢٨- أدخل أحمد بن خالد بن عبد الله الجذامي القرطبي (ت٣٧٨هـ) الأندلس كتبًا غريبة، تفرد بروايتها، فسمعها الناس منه قديمًا وحديثًا[(١)]، ولعل من هذه الكتب كتاب «شرح الحديث» لأبي عبيد[(٢)].

أما بالنسبة للكتب الستة وأعني بها: (**صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن النسائي وسنن أبي داود وسنن الترمذي وموطأ مالك**)[(٣)]، فقد لاقت ذيوعًا وانتشارًا واسعًا، خصوصًا «موطأ مالك»؛ لأن الأندلس قد تبنّت مذهبه مبكرًا.

لذا فقد دأب العلماء أثناء رحلاتهم إلىٰ أمصار الشرق - التي ذاعت فيها هذه الكتب - علىٰ أن يظفروا بالأسانيد العالية إلىٰ مؤلفي هذه الكتب لمن فاته لقاؤهم والأخذ عنهم مباشرة، وقد ساهم المحدثون بعد ذلك في نشر هذه الكتب وإسماعها للناس بعد عودتهم إلىٰ قرطبة كما هو الأصل، بل وشرحها والتأليف حولها كما سيأتي بيانه في الباب الثاني.

وسأبدأ «بموطأ مالك بن أنس» أولًا، ثم أتبعه بقية الكتب الأخرىٰ:

= كبير شيء، أو كلام هذا معناه. فهرسة ابن خير ص (١٢٥).

(١) تاريخ علماء الأندلس ١/ ١١٧.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٨٤٣. وقد تصحّف فيه أبو عبيد إلىٰ: أبي عبيدة.

(٣) لا أعني هنا ذلك الخلاف المعروف حول تعيين الكتاب السادس، أهو الموطأ أم سنن ابن ماجه أم سنن الدارمي؟ وإنما هذه الكتب هي التي وصلت الأندلس من الكتب الستة الأصول، حسبما أداني إليه البحث والتتبع.

١- «موطأ مالك بن أنس» (ت ١٧٩هـ):

لقد كانت رحلة الأندلسيين مبكرة بالنسبة لفتح الأندلس، فقد رحلوا في أواسط المائة الأولىٰ من الفتح - أي منتصف القرن الثاني الهجري - فلقي جماعة منهم الإمام مالك وأخذوا عنه «الموطأ» سماعًا، وقد كان معظم هؤلاء الأندلسيين من أهل قرطبة، فقد أحصت المصادر لنا تسعة عشر رجلًا من الأندلس كلهم لقي مالكًا وأخذ عنه، منهم أحد عشر رجلًا من قرطبة، وهذا يدل علىٰ حرص القرطبيين وشدة عنايتهم منذ البداية بطلب الحديث وتحمُّل الكتب، وإليك أسماءهم، مرتبين علىٰ حسب الوفاة:

١- يحيىٰ بن مضر القيسي، وقيل: اليحصبي (ت١٨٩هـ)، روىٰ عن مالك «الموطأ»[(١)].

٢- زياد بن عبد الرحمن اللخمي، أبو عبد الله (ت١٩٣هـ)، سمع من مالك «الموطأ»[(٢)].

٣- محمد بن سعيد بن بشير المعافري (ت١٩٨هـ)، سمع مالكًا وروىٰ عنه «الموطأ»[(٣)].

٤- الغازي بن قيس أبو محمد (ت١٩٩هـ)، سمع من مالك «الموطأ»، وهو أول من أدخله الأندلس[(٤)].

---

(١) ترتيب المدارك ٣/ ١٢٦، وجذوة المقتبس ٢/ ٦٠٤.

(٢) ترتيب المدارك ٣/ ١١٦، وجذوة المقتبس ١/ ٣٣٨، والموطآت ص (٨٢).

(٣) ترتيب المدارك ٣/ ٣٢٧.

(٤) المصدر نفسه ٣/ ١١٤.

٥- سعيد بن أبي هند الأصبحي (ت٢٠٠هـ)، روىٰ عن مالك «الموطأ»[١].

٦- محمد بن يحيىٰ السبائي (أوالسبئي) المعروف بابن أم غازية (ت بعد ٢٠٦هـ)، روىٰ عن مالك «الموطأ»[٢].

٧- قرعوس بن العباس بن قرعوس الثقفي (ت٢٢٠هـ) سمع مالكًا، وقيل: إنه سمع منه «الموطأ»[٣].

٨- يحيىٰ بن يحيىٰ الليثي (ت٢٣٤هـ) سمع من مالك «الموطأ» غير أبوابٍ من كتاب الاعتكاف شك فيها فأثبت روايته فيها عن زياد بن عبد الرحمن شَبَطُون[٤]، وهي أشهر رواية للموطأ علىٰ الإطلاق[٥].

٩- عبد الملك بن حبيب السلمي (ت٢٣٨هـ) يقال: إنه أدرك مالكًا في آخر عمره[٦].

١٠- داود بن جعفر الصغير - لم تُذكر سنة الوفاة - سمع من مالك بن أنس[٧].

---

(١) المصدر نفسه ٣/ ١٢٣، ١٢٤.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٢٩، وترتيب المدارك ٣/ ٣٤٥.

(٣) ترتيب المدارك ٣/ ٣٢٥.

(٤) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٩٨، وترتيب المدارك ٣/ ٣٨٠، ٣٨١.

(٥) قال الكتاني عن أحاديث الموطأ: وعن مؤلفها فيها روايات كثيرة، أشهرها وأحسنها رواية يحيىٰ بن يحيىٰ بن كثير الليثي الأندلسي، وإذا أطلق في هذه الأعصار موطأ مالك فإنما ينصرف لها. الرسالة المستطرفة ص (١٣، ١٤).

(٦) جذوة المقتبس ٢/ ٤٤٧، ومطمح الأنفس ص (٢٣٤).

(٧) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٥٧، وترتيب المدارك ٣/ ٣٤٦.

١١- طالوت بن عبد الجبار المعافري - لم تُذكر سنة الوفاة[١] - كان آخر من أخذ عن مالك بن أنس[٢].

وأما أولئك الذين لم يلقوا مالكًا، ولكن أخذوا عن تلامذته، أو عن غيرهم، فكثير جدًا لا يكاد يأتي عليهم ديوان؛ ذلك لأن دولة الأندلس مالكية المذهب كما سبق؛ ولأن «موطأ مالك» هو أول كتاب وضع في الفقه والحديث بعد «مصنف حماد بن سلمة»، كما قال أبو بكر محمد بن علي الأذفوي[٣].

فلا غَرْو حينئذٍ أن يلقىٰ «الموطأ» هذا الإقبال كلّه من محدّثي قرطبة.

وقد رأيت أن أصنع شجرة أسانيد لبعض روايات الموطأ التي يمر إسنادها بمحدثي قرطبة، وينتهي بعَلَم من أصحاب الفهارس والأثبات، لنتبين كيفية وصول «الموطأ» إلىٰ الذين لم يسمعوا مالكًا، ولم يأخذوا عنه مباشرة.

---

(١) جاء في ترتيب المدارك ٣/ ٣٤١، أنه توفي بعد فتنة الحَكَم الرَّبَضي بقريب، وفتنة الرَّبَض وقعت في ١٣/ ٩/ ٢٠٢هـ، **انظر**: تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، د. عبد المجيد نعنعي ص (١٩٣).

(٢) ترتيب المدارك ٣/ ٣٤٠.

(٣) فهرسة ابن خير ص (١٣٤).

(طرق ابن عبد البر للموطأ)[١]

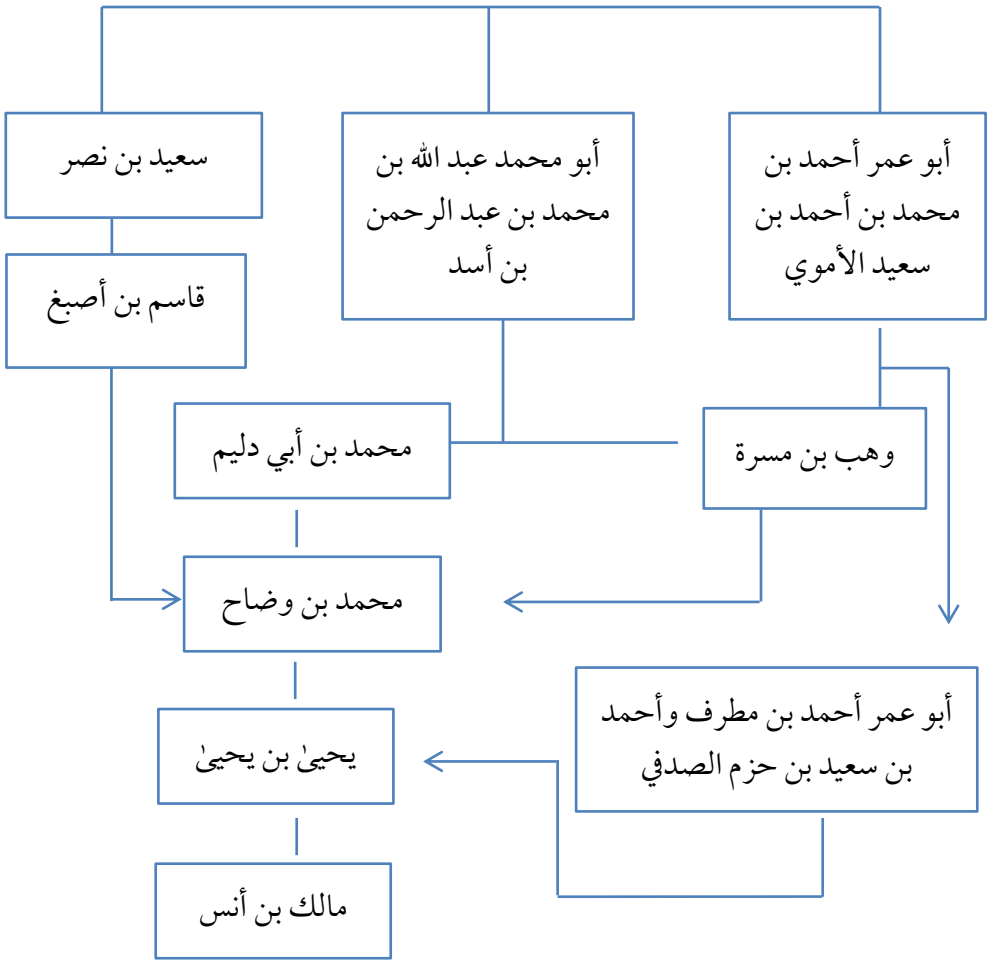

---

(١) جذوة المقتبس ٢/ ٦١١.

تنبيه: وقع في إسناد ابن مطرف والصدفي: أخبرنا أبي، قال: أخبرنا مالك به، وأظن أنه تصحيف وأن الصواب: يحيىٰ.

(طريق الحميدي للموطأ)[١]

الحميدي

أبو الوليد بن فتحون

ابن أبي درهم

أبو عيسىٰ يحيىٰ بن عبد الله ابن أبي عيسىٰ

عبيد الله بن يحيىٰ الليثي

يحيىٰ بن يحيىٰ بن كثير بن وسلاس الليثي

مالك بن أنس

(١) **انظر**: جذوة المقتبس ١/ ٣٢٤.

(سند ابن خير الإشبيلي للموطأ برواية يحيىٰ بن يحيىٰ الليثي)[١]

(١) فهرسة ابن خير ص (٧٧). ويلاحظ أن معظم الشجرة هم من محدِّثي قرطبة.

(سند ابن خير الإشبيلي للموطأ برواية القعنبي)[١]

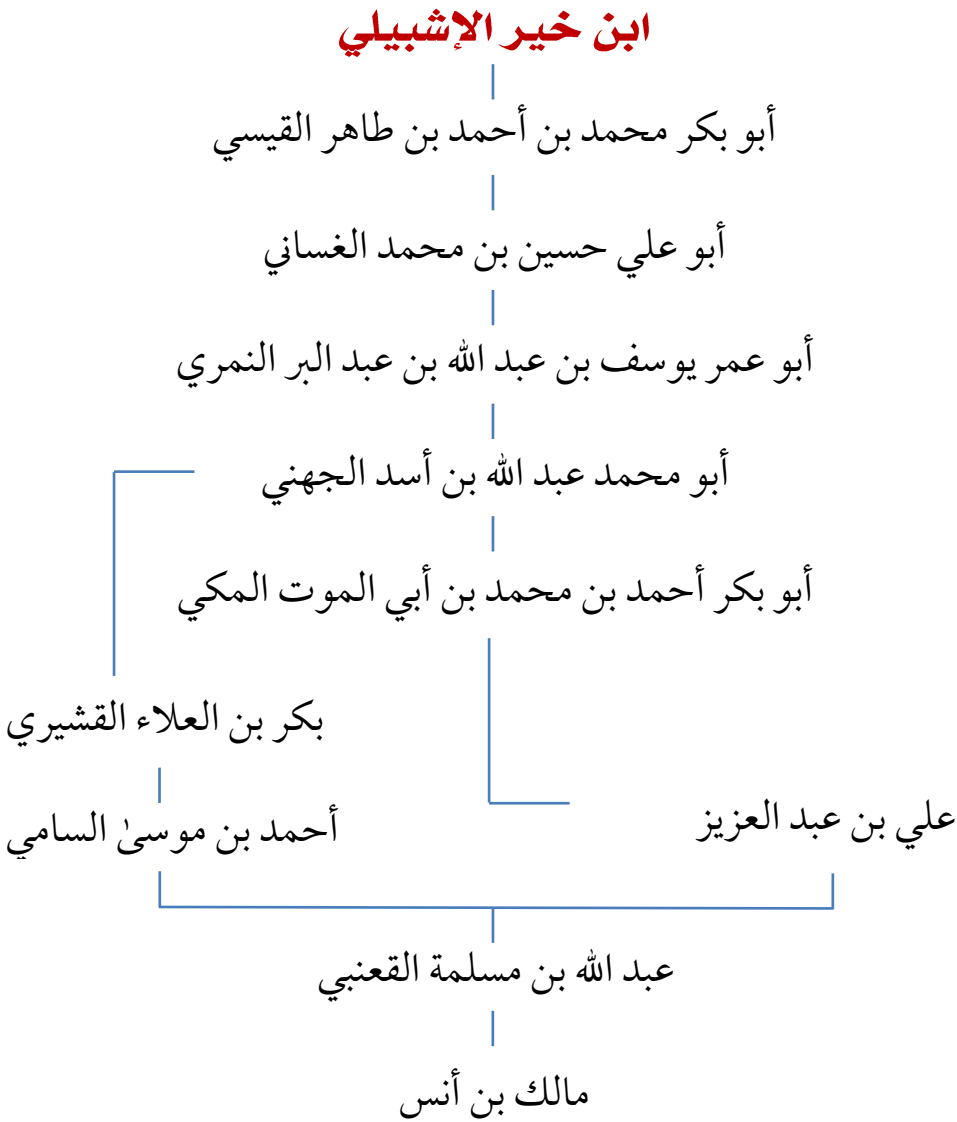

(١) فهرسة ابن خير ص (٨٥). وقد تصحَّف القعنبي في الكتاب المذكور إلىٰ القعني بالنون فقط! وما أكثر التصحيفات في هذه الطبعة.

(سند ابن خير الإشبيلي للموطأ برواية ابن بكير)[١]

ابن خير الإشبيلي

أبو بكر محمد بن أحمد بن طاهر القيسي

أبو علي حسين بن محمد بن أحمد الغساني

أبو القاسم حاتم بن محمد الطرابلسي

أبو الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي

أبو العباس عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن إسحاق الإبياني

يحيىٰ بن عمر الأندلسي

يحيىٰ بن عبد الله بن بكير

مالك بن أنس

---

(١) فهرسة ابن خير ص (٨٣، ٨٤).

٢- «صحيح البخاري»:

نال «صحيح البخاري» حظه من الشهرة أيضًا، فقد ذكرت المصادر كثيرًا من أهل قرطبة الذين سمعوا «صحيح البخاري»، وبعضهم أسمعه لطبقات الناس، أذكر منهم علىٰ سبيل المثال:

حباشة بن حسن اليحصبي، رحل من الأندلس إلىٰ المشرق فسمع كتاب البخاري من أبي زيد المروزي، وقد توفي بقرطبة عام (٣٧٤هـ)[١].

عبد الله بن إبراهيم بن محمد الأصيلي (ت٣٩٢هـ)، قرأ عليه الناس كتاب البخاري رواية أبي زيد المروزي حين مقدمه قرطبة في آخر أيام المستنصر بالله[٢].

زكرياء بن بكر بن أحمد الغسّاني القرطبي المعروف بابن الأشج (ت٣٩٣هـ)، حدّث بكتاب البخاري بقرطبة[٣].

أحمد بن إسحاق بن مروان بن جابر الغافقي القرطبي (ت٣٧٢هـ)، كتب صحيح محمد بن إسماعيل البخاري[٤].

وهناك غيرهم كثير، وإليك سند ابن خير الإشبيلي إلىٰ صحيح البخاري برواية ابن السكن:

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٣٦.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٤٢٧.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٧٦.
(٤) المصدر نفسه ١/ ١٠٩.

(سند ابن خير الإشبيلي إلىٰ صحيح البخاري برواية ابن السكن)[١]

ابن خير الإشبيلي

أبو الحسن يونس بن محمد بن مغيث

أحمد بن محمد بن الحذاء التميمي

أبو محمد عبد الله بن محمد بن أسد الجهني[٢]

أبو علي سعيد بن عثمان بن السكن

محمد بن يوسف بن مطر الفربري

البخاري

---

(١) فهرسة ابن خير ص (٩٥).

(٢) أبو محمد الجهني هذا قرطبيٌ (ت:٣٩٥هـ)، **انظر**: تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٢٤.

٣- «صحيح مسلم»:

لم تشر المصادر بشكل واضح إلىٰ انتشار «صحيح مسلم» في قرطبة كما هو الحال بالنسبة «للموطأ» و«صحيح البخاري» السابق ذكرهما، اللهم إلاّ إشارات قليلة إلىٰ أن صحيحه قد دخل الأندلس.

لكنْ من المؤكد أنه قد دخل قرطبة؛ فقد ذكر ابن الفرضي أن يحيىٰ بن محمد بن يوسف الأشعري القرطبي المعروف بابن الجياني (ت٣٩٠هـ) قد رحل إلىٰ المشرق، وسمع بمصر كتاب مسلم بن الحجاج المسند من أبي العلاء بن ماهان، وأنه قرئ عليه بعد ذلك أشياء من روايته[١].

وإليك سند ابن خير الإشبيلي إلىٰ «صحيح مسلم» برواية القلانسي:

(١) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٩٢٥.

(سند ابن خير الإشبيلي إلىٰ صحيح مسلم برواية القلانسي)[١]

ابن خير الإشبيلي

أبو محمد بن عتاب

أبو القاسم أحمد بن فتح[٢]

أبو العلاء ابن ماهان

أبو بكر أحمد بن محمد بن يحيىٰ الفقيه

أبو محمد أحمد بن علي بن الحسين القلانسي

مسلم بن الحجاج

---

(١) فهرسة ابن خير ص (١٠١، ١٠٢).

(٢) أبو القاسم أحمد بن فتح هذا هو المعافري، وهو قرطبيٌّ (ت:٤٠٣هـ). **انظر**: جذوة المقتبس ١/ ٢١٩، وبغية الملتمس ١/ ٢٤٦، والصلة ١/ ٥٧. وهو الذي نصّ علىٰ أنه قرطبي.

٤- «سنن أبي داود»:

لقيتْ «سنن أبي داود» عناية العلماء في قرطبة، فقد رحل جماعة منهم فوفِّقوا لسماع الكتاب وأخذه عن مصنِّفه مباشرة، من هؤلاء: وليد بن عمر بن بشير القرطبي (ت بعد ٣٠٠هـ) الذي رحل إلىٰ البصرة وسمع بها من أبي داود سننه[١].

وكذلك قاسم بن نجبة القرطبي (ت بعد ٣٠٠هـ) الذي دخل البصرة أيضًا، وسمع بها من أبي داود مصنَّفه[٢].

وإليك سند ابن خير إلىٰ «السنن» برواية ابن الأعرابي:

(١) **انظر**: تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٧٢.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٦٠٣.

(سند ابن خير الإشبيلي إلىٰ سنن أبي داود برواية ابن الأعرابي)[١]

ابن خير الإشبيلي

أبو بكر محمد بن أحمد بن طاهر القيسي

أبو علي الغساني

أبو العاصي حكم بن محمد الجذامي[٢]

أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن محمد بن غالب التمّار

أبو سعيد ابن الأعرابي

أبو داود السجستاني

---

(١) فهرسة ابن خير ص (١٠٣).

(٢) أبو العاصي الجذامي هذا قرطبيٌّ (ت:٣٣٣هـ) **انظر**: تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢١٩.

٥- «سنن الترمذي»:

سمع «سنن الترمذي» أهل قرطبة، فقد ذكر العلماء أن أبا زكرياء يحيىٰ بن محمد بن يوسف الأشعري القرطبي (ت٣٩٠هـ)[١]، قد سمعه في رحلته إلىٰ مكة من أبي يعقوب الصيدلاني المكي، وهو الطريق نفسه الذي يصل إلىٰ ابن خير في فهرسه.

وهذا سند ابن خير الإشبيلي إلىٰ «سنن الترمذي»:

(١) انظر ترجمته في: تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٩٢٥.

(سند ابن خير الإشبيلي إلىٰ سنن الترمذي)[١]

ابن خير الإشبيلي

أبو محمد بن عتّاب

أبو عمر ابن عبد البر النمري

أبو زكرياء يحيىٰ بن محمد بن يوسف الأشعري

أبو يعقوب يوسف بن أحمد الصيدلاني المكي

أبو ذر محمد بن إبراهيم بن محمد الترمذي

أبو عيسىٰ الترمذي

(١) فهرسة ابن خير ص (١٢١).

٦- «سنن النسائي»:

لقد سمع «سنن النسائي» عالِمٌ من علماء دولة بني أمية في الأندلس، وهو من أول من أدخلها قرطبة، واشتهرت «السنن» وذاعت براويته، ألا وهو أبو بكر محمد بن معاوية بن عبد الرحمن القرشي المعروف بابن الأحمر (ت٣٥٨هـ)[١].

قال ابن عبد البر: قرأت علىٰ أبي الأصبغ مصنّف أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي في أصل أبي بكر محمد بن معاوية القرشي المعروف بابن الأحمر، وفيه سماعه منه، أخبرنا به عنه عن النسائي[٢].

وهذا سند ابن خير الإشبيلي إلىٰ سنن النسائي برواية ابن الأحمر:

---

(١) انظر ترجمته في: تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٣٣، وجذوة المقتبس ١/ ١٤٥، وبغية الملتمس ١/ ١٦٥، والسير ١٦/ ٦٨، (لكنه قال إنها السنن الكبرىٰ)، والنجوم الزاهرة ٤/ ٢٨، وشذرات الذهب ٣/ ٢٧، والأعلام ٧/ ١٠٥.

(٢) جذوة المقتبس ٢/ ٤٥٧.

(سند ابن خير الإشبيلي إلىٰ سنن النسائي برواية ابن الأحمر)[١]

ابن خير الإشبيلي

أبو الحسن يونس بن محمد بن مغيث

أبو عبد الله زياد بن عبد الله الأنصاري الخطيب بجامع قرطبة

أبو الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث[٢]

أبو بكر محمد بن معاوية بن عبد الرحمن القرشي المعروف بابن الأحمر

النسائي

---

(١) فهرسة ابن خير ص (١١٠).

(٢) وهو قاضي الجماعة بقرطبة. **انظر**: جذوة المقتبس ٢/ ٦١٣.

المبحث الثاني
طرق تدريس الحديث ونشره

تعددت طرق تدريس الحديث ونشره في قرطبة، وأخذت أشكالًا عدة، لكنها تجتمع في النهاية علىٰ تعليم السُّنَّة، وتبليغها للناس، وإيصال الحديث إلىٰ كل راغب، وسوف أذكر هنا بعض تلك الطرق التي اتبعها القرطبيون[(١)]، معضّدًا لها بذكر النماذج التي توضحها باختصار:

أولًا: السماع من لفظ الشيخ أو العرض عليه[(٢)]:

وهذا هو الغالب، فقد كان الطالب يجلس إلىٰ الشيخ ليسمع منه الحديث، أو ينسخ لنفسه عن نسخة الشيخ أو نسخة قرينه في الطلب أو غيرهما، ثم يعرضها علىٰ الشيخ إما وحده أو مع جماعة، وأغلب ما يكون ذلك في الحلقات العلمية العامة التي تعقد في الجوامع وغيرها. وهذا هو الأصل في تحمل الحديث، ولذا فإنه لا يحتاج إلىٰ استشهاد لكثرته[(٣)].

---

(١) **ينظر**: كتاب أليس الصبح بقريب للطاهر بن عاشور ص (٧٠) فما بعد، فقد عقد فصلًا مطولًا عن التعليم في إفريقية والأندلس.

(٢) **قال النووي عن السماع من لفظ الشيخ**: «وينقسم إلىٰ إملاء وتحديث من غير إملاء، ويكون من حفظه، ويكون من كتابه، وهذا القسم أرفع الأقسام عند الجماهير... القسم الثاني: القراءة علىٰ الشيخ، وأكثر المحدثين يسمونها عرضًا؛ لكون القارئ يعرض علىٰ الشيخ ما يقرؤه كعرض القرآن علىٰ المقرئ... وهي رواية صحيحة بلا خلاف». إرشاد طلاب الحقائق ١/ ٣٤٠ فما بعد، **وانظر**: الإلماع ص (٦٩) فما بعد.

(٣) كثير من هؤلاء الطلاب كان يدوّن سماعه من الشيخ، وبعضٌ منهم كان يحفظ ما يُلقي الشيخ دون تدوين في الوقت، كما كان يصْنع زنباع بن الحارث القرطبي، فقد كان =

لكنّ مجالسَ التحديث التي يصاحبها إملاء غالبًا ما تكون أقلَّ من مجالس التحديث المجردة من الإملاء[(١)]، ولذا فإنني أورد نماذج من مجالس إملاء الحديث بقرطبة لقلتها بالنسبة للمجردة منه.

فقد نقل أن يحيىٰ بن مالك بن عائذ (ت٣٧٦هـ) كان يملي ويحدث بجامع قرطبة[(٢)]، وجاء تحديد ذلك اليوم عند ابن الفرضي بيوم الجمعة[(٣)].

كما أن الحافظ عبد الرحمن بن فطيس القرطبي (ت٤٠٢هـ) حدّث عنه من حضر مجلسه فقال: شهدت مجلس القاضي أبي مطرف ابن فطيس، وهو يملي علىٰ الناس الحديث ومستملٍ بين يديه[(٤)].

=

يحفظ مباشرةً دون تقييد. **انظر**: تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٨٦.

كما أن هناك من كان يختص بالقراءة علىٰ الشيخ، كما ذُكر عن أحمد بن عبد الله بن سعيد المعروف بابن العطار (ت:٣٤٥هـ) فقد اشتهر بالقراءة علىٰ ابن وضاح والخشني. **انظر**: ترتيب المدارك ٦/ ١٤٧.

كما لم يكن كل ما يُقرأ علىٰ الأشياخ هو علىٰ سبيل الرواية والتحمل دائمًا، وإنما كان بعضهم يُقرأ عليه ما لا رواية له فيه علىٰ سبيل التصحيح. **انظر**: ترتيب المدارك ٦/ ٢٩٧.

ولم يكن بعض المحدّثين يكتب كل ما روىٰ، فكان يُقرأ عليه في أصول شيوخه، كما كان يفعل عبد الله بن محمد بن نصر القرطبي (ت:٣٧١هـ). **انظر**: تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٠٦.

(١) لأن المحدث والطالب في حالة الإملاء يحتاجون إلىٰ تحرز أكثر، ودقة بالغة من كليهما، مع جريان العادة بالمقابلة بعد ذلك. انظر عن هذا: فتح المغيث للسخاوي ٢/ ١٥٢.

(٢) جذوة المقتبس ٢/ ٦٠٦.

(٣) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٩٢٢.

(٤) الصلة ٢/ ٤٦٧.

قلتُ: اتخاذه مستمليًا يدل علىٰ أن مجلسه كان حافلًا، ولهذا **قال ابن بشكوال**: كان =

وقال أبو عمر ابن الحذاء في كتاب رواياته: ... أملىٰ علينا مجالس من حديثه من حفظه[(١)].

ثانيًا: الإجازة:

وهي أن يجيز الشيخُ الطالبَ رواية حديثه عنه، إجازةً عامة بجميع مروياته، أو خاصةً ببعضها، والغالب أن هذه الإجازة لا يمنحها الشيخ إلا لمجتهدي طلابه، ومن يلمس فيهم العناية، وهذا كثير معروف قلما يخلو طالب من إجازة أو إجازات؛ لا سيما من أكثر منهم الطلب وواظب علىٰ الرحلة؛ لأن الطالب لا يمكنه - غالبًا - أن ينتظم كل الكتب المشهورة سماعًا في رحلته[(٢)].

وقد أكثر محدثو قرطبة من الإجازات والتحديث بواسطتها، حتىٰ كان بعضهم لا يفرق بينها وبين السماع في القوة والاعتبار؛ كبقيِّ بن مَخلد مثلًا[(٣)].

ولعلَّ السبب في هذا - والله أعلم - هو بُعد الشُّقة ونأي الدار عن مدارس الحديث في المشرق، إذ إن من الصعوبة بمكان أن يبقىٰ الواحد منهم في المشرق حتىٰ يأتي علىٰ جميع كتب الراوية سماعًا.

= يملي الحديث من حفظه في مسجده ومستمل بين يديه علىٰ ما يفعله كبار المحدثين بالمشرق والناس يكتبون عنه. المصدر نفسه ٢/ ٤٦٧.

(١) المصدر نفسه ٢/ ٤٦٩.

(٢) **انظر عن تعريف الإجازة وأنواعها:** إرشاد طلاب الحقائق ١/ ٣٦٨ فما بعد، والوسيط ص (١٠١) فما بعد.

(٣) **انظر رأيه في:** تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٤٩، وسوف يأتي تفصيل ذلك في الباب الثاني.

ونظرًا لكثرة طلاب الإجازة فإنني سوف أقتصر علىٰ أنموذجٍ واحدٍ، وهو ابن الفرضي؛ لأن له كتابًا جليلًا في التراجم، ذكر فيه من أجازه من العلماء الذين ترجم لهم وأخذ عنهم، فقد ذكر في كتابه هذا ممن أجازه:

قاسم بن محمد بن قاسم بن أصبغ القرطبي (ت٣٨٨هـ) الذي أجازه جميع ما رواه عن جده[١].

ومنهم: أحمد بن عبد الله الجذامي القرطبي الذي أجاز له جميع ما رواه[٢].

ومنهم: عباس بن أصبغ بن عبد العزيز الهمداني القرطبي (ت٣٨٦هـ)، الذي أجاز له جميع روايته[٣].

ومنهم: محمد بن أحمد بن محمد بن يحيىٰ بن مفرج القرطبي (ت٣٨٠هـ) الذي أجاز له ولأخيه جميع ما رواه غير مرة، وكتب ذلك بخطه[٤].

ومنهم: عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن التجيبي (ت٣٩٠هـ) الذي أجاز له ولابنه جميع ما رواه وكتب ذلك بخطه[٥].

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦١٨.
(٢) المصدر نفسه ١/ ١١٩.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٥٠٨.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٧٧٣.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٤٢٤.

ثالثًا: مذاكرة الحديث:

من طرق نشر الحديث أيضًا: المذاكرة، سواء أكانت بين الأقران، أو بين الشيخ والتلميذ[١]، فقد ذكر ابن الفرضي عن مخارق المعافري (ت٣٧٧هـ) أنه قلّ ما لقيه إلا ذاكره شيئًا من أسباب الحديث والرجال[٢].

وكتب أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مسرّة إلىٰ أبي بكر محمد بن أحمد اللؤلؤي تلميذه أبياتًا يستدعيه فيها للمذاكرة، وكان ذلك في بعض أيام الشتاء[٣].

رابعًا: النسخ:

كان المحدثون ينسخون لأنفسهم نُسَخًا من الكتب المشهورة المعتبرة، كي يقرؤوها علىٰ مؤلفيها أو علىٰ العلماء الأثبات قراءة ضبط وتحقيق، وقد انتفع بهذا مَنْ بعدهم، وانتشرت السُّنَّة في الأنحاء، فهذا أحمد بن إسحاق بن مروان الغافقي القرطبي (ت٣٧٢هـ) كتب «صحيح محمد بن إسماعيل البخاري»، وغيره من الكتب[٤]، وكان محمد بن خليفة بن عبد الجبار البلوي القرطبي (ت٣٩٢هـ) يُؤتىٰ

---

(١) وغالبًا ما يُعبّر عنها بقال وذكر. **انظر**: المقنع ١/ ٢٩٥، وإرشاد طلاب الحقائق ١/ ٣٤٣، ٣٤٤.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٥٧.

(٣) ترتيب المدارك ٦/ ١١٣، وجذوة المقتبس ١/ ١١٠. وسوف تأتي هذه الأبيات في الباب الثاني، وعلىٰ هامشها تعليق مطوّل.

(٤) **انظر**: تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٠٩.

بالكتاب فينسخه، ثم يحدّث به[١].

ولقد كان أمراء البيت الأموي بقرطبة يخصّصون دُورًا للنسخ والمقابلة، تُنسخ فيها الكتب المهمَّة لخزائنهم كما سيأتي في الفصل الرابع - المبحث الثالث.

كما كان للحافظ عبد الرحمن بن محمد بن عيسىٰ القرطبي (ت٤٠٢هـ) ستة وراقين ينسخون له دائمًا، وكان قد رتب لهم علىٰ ذلك راتبًا معلومًا، وكان إذا سأله أحدٌ كتابًا من أصوله لم يُعره إياه، وربما دفعه للناسخ فنسخه وقابله، ودفعه إلىٰ المستعير[٢].

ويظهر أن هذا الأمر - أعني النسخ - كان عندهم بمنزلةٍ، فكثيرًا ما ترد عبارة: «كان حسن الكتاب، صحيح القلم» أو «كان ضعيف الكتاب» أو «كان ضعيف الخط»، ونحوها للدلالة علىٰ هذا[٣].

خامسًا: الفتاوى:

وهي من الطرق المهمة لنشر الحديث والعمل به، وذلك لأن المفتي يجب عليه أن يحتاط عند الفتوىٰ في صحة ما يستدل به من الأحاديث، وفي صحة استدلاله بتلك الأحاديث علىٰ الواقعة أو النازلة المسئول عنها.

فهذا الحافظ إسماعيل بن إسحاق بن إبراهيم القرطبي (ت٣٨٤هـ)،

---

(١) المصدر نفسه ٢/ ٧٩٠.

(٢) انظر: الصلة ٢/ ٤٦٧، ٤٦٨.

(٣) انظر العبارات السابقة علىٰ التوالي: تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٩٢٢، ١/ ٢٤٩، ٤١٧.

كان يعقد الشروط ويفتي، وكانت فتياه بما ظهر له من الحديث[١].

كما أن ابن الفرضي كان يُسأل عن أشياء تشكل من معاني الحديث فيجيبهم عنها[٢].

بل كان بعضهم يخالف مذهب مالك؛ إذا رأىٰ أنه يخالف الحديث. **قال خالد بن سعد:** سمعت محمد بن عمر بن لبابة يحتج بحديث النبي ﷺ الذي فيه: «**أولئكَ الذينَ نهاني اللهُ عنهم**»[٣]، ويذهب إلىٰ أن لا يقتل الزنديق حتىٰ يستتاب، وكان ابن لبابة يخالف قول مالك في ذلك[٤].

وربما وردت استفتاءاتٌ من قبل السلطان لأحد المحدثين عن معنىٰ أمرٍ من الأمور فيجيب السلطانَ عنها[٥].

سادسًا: المناظرات:

فقد كانت تُعقد المناظرات في الجوامع ومجالس الأمراء، فتدور خلالها المناقشات والمباحثات حول مختلف العلوم، ومنها الحديث.

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٣٦.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٧٨٤.

(٣) هذا طرفٌ من حديثٍ أخرجه بطوله: مالك في الموطأ، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة ١/ ١٧١ مرسلًا، وأحمد في المسند ٣٩/ ٧٣ (٢٣٦٧٠)، والدارمي في السنن، كتاب السير، باب في القتال علىٰ قول النبي ﷺ: «أُمرتُ أن...» ٢/ ٢١٨، والبيهقي في السنن الكبرىٰ ٨/ ١٩٦ ، كلهم من طرقٍ عن عبيد الله بن عدي بن الخيار عن رجل من الأنصار مرفوعًا، وإسناده صحيح.

(٤) جذوة المقتبس ١/ ١٠٣، ١٠٤.

(٥) الصلة ١/ ٦٢.

وكان المنصور بن أبي عامر - كما وصفه ابن الأثير -: «عالمًا محبًا للعلماء، يكثر مجالستهم ويناظرهم»[(١)].

كما أن محمد بن سعيد العصفري (ت٣٦٣هـ) - أحد المحدثين - كان يُجتمع إليه للمناظرة في الجامع[(٢)].

سابعًا: الخُطب:

وهذا أمر لا يحتاج لبيان، فإن الخطبة لم تشرع إلا لتذكير الناس وتوعيتهم بالكتاب والسُّنَّة وما جاء فيهما، وأكتفي بنموذج واحد لأحد خطباء قرطبة في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (ت٣٥٠هـ) هو أحمد بن مطرف بن عبد الرحمن الأزدي القرطبي (ت٣٥٢هـ)، فقد خطب مرة بحضرة الخليفة الناصر بجامع قرطبة فترسّل في منطقه، واحتفل في افتتاحه وتحميده، والصلاة علىٰ رسوله، ثم أخذ في الوعظ فقال: عباد الله! روي في الحديث: **أنه يُحشرُ يومَ القيامةِ أنعمُ الناسِ في الدنيا وأشدُّهم بلاءً، فيُغمسُ المتنعِّمُ في نهرٍ من أنهارِ جهنمَ، ثم يُخرجُ منه فيُقالُ له: هل رأيتَ خيرًا قَطُّ؟ فيقولُ: لا، ما رأيتُ خيرًا قَطُّ! ويُؤتَىٰ بالمبتلَىٰ فيُغمسُ في نهرٍ من أنهارِ الجنةِ، ثم يُخرَجُ فيقالُ له: هل رأيتَ**

---

(١) الكامل ٩/ ٦١. **وانظر**: دولة الإسلام في الأندلس ٢/ ٤٨٥.

(٢) ترتيب المدارك ٧/ ٨.وقد ذُكر عن عبد الله بن أحمد بن عثمان الطليطلي (ت:٤١٧هـ) أنه كان يبدأ المناظرة بذكر الله ﷻ، والصلاة علىٰ محمد ﷺ، ثم يورد الحديث والحديثين والثلاثة والموعظة، ثم يبدأ بطرح المسائل من غير الكتاب الذي كانوا يناظرون عليه فيه. الصلة ٢/ ٤٠٤.

بُؤسًا قَطُّ؟ فيقولُ: لا، ما رَأيتُ بُؤسًا قَطُّ[١].

وحشد أمثالَ هذا، وطوّل وزاد، فبكىٰ، وأبكىٰ الناس، حتىٰ قام في الجامع شبه المأتم من البكاء والشهيق[٢].

ثامنًا: تأليف الكتب:

وهذا من أعظم الطرق نفعًا وأكثرها فائدة في نشر الحديث وبثّه؛ لأن التأليف يبقىٰ أثره حتىٰ بعد وفاة مؤلفه.

وقد شارك محدثو قرطبة في هذا الجانب بجهد علمي كبير، حيث ألفوا الكتب الحديثية المتنوعة من مسانيد، وسنن، ومستخرجات... إلخ، إضافة إلىٰ كتب شروح الحديث وكتب الدراية وكتب تراجم الرواة والطبقات وغيرها.

وسوف يأتي الكلام عليها في مبحث مستقل يغني عن إيرادها في هذه العجالة[٣].

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار، وصبغ أشدهم بؤسًا في الجنة ٤/ ٢١٦٢ (٢٨٠٧).

(٢) ترتيب المدارك ٦/ ١٣٧، ١٣٨.

(٣) انظر الفصل الثاني من الباب الثاني.

الفصل الثالث

النظام الدراسي وآداب الطلاب بها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول:

النظام الدراسي للطلاب.

المبحث الثاني:

آداب الطلاب وسلوكياتهم.

توطئة

لقد تميزت قرطبة بوجود نهضة علمية كبيرة بها، شملت شتىٰ العلوم والمعارف، سعىٰ فيها الصغير قبل الكبير للنهل من نمير العلم والارتشاف من زلاله، وكان أكثر ميل طلاب العلم في تلك الحقبة إلىٰ علمين عظيمين، تنافس فيهما المتنافسون، وسعىٰ في طلبهما المجدون، ألا وهما: الحديث والفقه.

ولقد كان من فضل الله تعالىٰ علىٰ ذلك الصقع، أن بكّر فيه العلماءُ الأوائلُ بالرحلة في طلب الحديث إلىٰ محدثي المشرق، فكان لذلك أعظم الأثر علىٰ الحركة الحديثية بقرطبة فيما بعد، كما انعكس ذلك بدوره علىٰ طلاب الحديث بها.

ولست أدعي أن هناك تميّزًا ملحوظًا تفردت به تلك البقعة عن غيرها من بلاد الأندلس أو المشرق، لكنّ الذي ظهر لي - بعد الدرس - أن هناك حركة حديثية ناشطة، تعطي صورة، ولو جزئية عن واقع علميٍّ منظّم، كما تكشف عن قدرات وسلوكيات ناضجة لدىٰ طلابها.

ولقد كان **من ثمرات هذه الحركة الحديثية المباركة**: ظهورُ أنماط جيدة في التعامل، وصور أخلاقية متميزة في سلوك الطلاب أنفسهم، كما ظهرت أيضًا في علاقتهم بشيوخهم من المحدثين.

كما كان **من ثمراتها أيضًا**: بروز محدثين كبار، وحفاظ بارعين، قادوا مسيرة المدرسة، وشكلوا ملامح وجودها في بداياتها المبكرة، كما ساهموا في نمائها ودعمها فيما بعد.

وقد حاولت هنا أن أضع خطوطًا عامة عن صورة الواقع الدراسي للطالب، وعن آداب الطالب وسلوكياته في نفسه.

لأن هذه الأمور مجتمعة هي اللّبنات الأولية، والمكونات الأساسية، التي تبين قدرات الطلاب ومواهبهم، ومدىٰ استعداداتهم ومؤهلاتهم، والتي ستثمر فيما بعد حفّاظًا ونقّادًا ذوي قدم راسخة في الفن.

المبحث الأول
النظام الدراسي للطلاب

لا بد إذا ما أردنا أن نرسم صورة عن واقع قرطبة العلمي في الحديث وعلومه، من الربط بين قضايا متعددة، قد تبدو لأول وهلة منبتَّة الصلة فيما بينها، بينما هي في الحقيقة مترابطة أشدَّ ما تكون، فعمرُ الطالب، وجنسُ الطلاب، وأعدادهم، وأوقات التدريس، ونحو ذلك، أمر لا بد منه كمقدمة لمعرفة خط سير طالب الحديث العلمي والمسلكي، سواء في نفسه، أو مع غيره.

فأما بالنسبة لسن الطلاب: فالذي يبدو أن الطالب بقرطبة كان يُعلَّم الحديث في فترة مبكرة من حياته، وربما اقترن ذلك بتعليمه القرآن الكريم، الذي درج الناس غالبًا علىٰ الابتداء به في التعليم، بعد أن يكون الطالب قد عرف شيئًا من مبادئ القراءة والكتابة[(١)]. وهذا يدل علىٰ المكانة العظيمة التي تبوّأها علم الحديث عند أهل قرطبة، من خلال السلّم التعليمي للطالب.

فقد ذُكر أن الخليفة عبد الرحمن الناصر (ت٣٥٠هـ) قد دَرَس القرآن والسُّنَّة، وهو طفل لم يتجاوز العاشرة[(٢)].

---

(١) **انظر حول مراحل التعليم عند المسلمين**: مقدمة ابن خلدون ص (٥٣٨)، ضحىٰ الإسلام ٢/ ٦٦، تاريخ التعليم في الأندلس ص (٢١١)، الفكر التربوي عند الخطيب البغدادي ص (٥٢).

(٢) دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول ص (٣٧٣).

كما أمر الحكم المستنصر (ت٣٦٦هـ) المحدث يحيىٰ بن عبد الله بن يحيىٰ القرطبي بتعليم ابنه هشام المؤيد الحديث وعمره عشر سنوات[١].

وجاء أن سليمان بن حسان المعروف بابن جُلْجُل، سمع الحديث بقرطبة سنة (٣٤٣هـ) - وهو ابن عشر سنين - وذلك مع أخيه محمد بن حسان، بمسجد أبي علاقة، وبجامعها وبالزهراء وغيرها[٢].

بل ربما ارتحل بعضهم - رغم صغر سنه - لسماع الحديث من الشيوخ في الأمصار الأخرىٰ، كما فعل يحيىٰ بن مالك بن عائذ، الذي ارتحل إلىٰ قرطبة وعمره عشر سنين، فسمع بها من كبار الشيوخ[٣].

ثم يأتي بعد ذلك دور المواظبة والاستمرار في السماع علىٰ الشيوخ والرحلة، حتىٰ يتأهل الطالب ويشتد عوده في الحديث.

أما بالنسبة لجنس الطلاب: فلا شك أن أغلب طلبة الحديث بقرطبة هم من الذكور، ولكن لا يمنع أن يكون هناك طالبات من النساء يتعلمن الحديث ويتفقهن فيه، ولا يمكن أن يخلو من ذلك مِصرٌ من الأمصار - غالبًا - بل إن كتب التراجم زاخرة بذكر مئات التراجم من النساء المحدثات، اللائي أسمعن الحديث وتفردن بالروايات، منهن علىٰ سبيل المثال: كريمة بنت أحمد المروزية راوية صحيح البخاري،

---

(١) المرجع نفسه ص (٥٠٣).

(٢) الذيل والتكملة، تحقيق إحسان عباس ٤/ ٦٢.

(٣) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٩٢١.

ودردانة بنت إسماعيل النيسابورية شيخة الحافظ السمعاني، وأنيسة بنت عبد الواحد بن أحمد راوية حديث أبي الطاهر السلفي، وشهدة بنت أحمد شيخة الحافظ ابن الجوزي، وحلة بنت حسن بن محمد تلميذة الحافظين المزي والبرزالي، وغيرهن كثير(١).

لكن المصادر الأندلسية وغيرها مما وقفت عليه لم تساعد علىٰ معرفة ذلك بالتفصيل، فلم تذكر تلك المصادر من نساء قرطبة إلا أقل القليل، منهن غدا بنت عبد الله بن حمدون القرطبية، التي حدثت من كتابها عن سعيد بن عثمان الأعناقي، وسُمع منها(٢).

أما أعداد الطلاب: فتذكر المصادر أن قرطبة قد شهدت إقبالًا كبيرًا من أهلها علىٰ حلقات الحديث، ومؤسسات التعليم بها، فإذا كان بعض أولئك يرسلون أبناءهم وهم في هذا السن المبكر - كما مرّ آنفا - فلا شك أن هذا سيؤثر إيجابيًا علىٰ نماء تلك الحلقات الحديثية، وكثرة أعداد المتحلِّقين فيها، وهذا ما حدث بالفعل، فقد غصّت حلقات الحديث بقرطبة بطلاب كثيرين حرصوا علىٰ سماع الحديث وتحمّله.

قال ابن الفرضي عن مجلس يحيىٰ بن عبد الله بن يحيىٰ الليثي القرطبي (ت٣٦٧هـ): لم أشهد بقرطبة مجلسًا أكثر بشرًا من مجلسنا في

---

(١) **انظر**: دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولىٰ ص٤٥ فما بعد، وعناية النساء بالحديث النبوي ص (٤٩) فما بعد، وأعلام النساء.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٨١. **وانظر**: مبحثًا قيمًا عن المرأة والتعليم في الأندلس، في كتاب الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس ص (٢٢٥ - ٢٢٧).

«الموطأ»، إلا ما كان من بعض مجالس يحيىٰ بن مالك بن عائذ[١].

وقد جاء تقدير عدد الذين حضروا ذلك المجلس من التلاميذ بأزيد من خمسمائة تلميذ[٢]. هذا عدد التلاميذ فقط فضلًا عن الحاضرين طبقات الناس المختلفة، وكذا أمير المؤمنين المؤيد بالله، الذي سمع منه الموطأ قبل وفاته بسنتين تقريبًا؛ أي: سنة (٣٦٤هـ)[٣].

وقد قال ابن الفرضي عن يحيىٰ بن مالك بن عائذ القرطبي (ت٣٧٥هـ) - سابق الذكر -: قدم الأندلس في رجب سنة (٣٦٩هـ) فسمع منه ضروب من الناس وطبقات طلاب العلم، وأبناء الملوك، وجماعة من الشيوخ والكهول[٤].

كما أن محمد بن يحيىٰ بن زكريا التميمي (ت٣٩٤هـ) كان مجلسه من أجل المجالس التي شوهدت بالأندلس[٥].

أما بالنسبة لأوقات التدريس: فهذا يختلف من شيخ إلىٰ آخر، كما يخضع لعامل المكان أيضًا، فقد لا يتهيأ للشيخ الوقت والمكان الملائم له نظرًا لكثرة الدروس في ذلك اليوم، أو لعدم خلوّ المكان أو لغير ذلك من الأسباب.

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٩٢٠.
(٢) ترتيب المدارك ٦/ ١٠٨.
(٣) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٩٢٠.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٩٢٢.
(٥) المصدر السابق ٢/ ٧٩٤.

فهذا يحيىٰ بن مالك بن عائذ القرطبي، كان يملي في المسجد الجامع كل يوم جمعة[١].

كما أن عبد الرحمن بن هارون الأنصاري القرطبي، كان يُسمع الحديث في يوم الخميس والجمعة من كل أسبوع؛ لأنه كان مشغولًا في باقي الأيام بالإمامة والتعليم[٢].

وكذا الحال بالنسبة **للجدول اليومي للتدريس**، فإنه يختلف باختلاف الظروف الملابسة، كما أن الشيوخ أيضًا يختلفون في هذا بحسب القوة والنشاط، وبحسب تعدد الفنون والمعارف التي يطرقونها قلةً وكثرةً، وقد ذكر ابن بشكوال عن عبد الله بن سعيد الشنتجالي القرطبي أنه قرئ عليه «صحيح مسلم» بجامع قرطبة في نحو أسبوع، في موعدين طويلين حفيلين، كل يوم موعد غدوة وموعد عشية[٣].

(١) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٩٢٢.
(٢) ترتيب المدارك ٧/ ٢٩٣.
(٣) الصلة ٢/ ٤١٧.

المبحث الثاني
آداب الطلاب وسلوكياتهم

لقد تميّز طالب الحديث بقرطبة بمزايا حسنة، وصفات حميدة، سواء في مظهره الخارجي، أو في أخلاقه وسلوكياته، وعانىٰ كثيرًا في سبيل العلم، وبذل كل ما يستطيع من مال وجهد وجاه، كيما يتحصل علىٰ العلم.

وفي ظني أن الطالب القرطبي كان يتمتع بعناية فائقة، سواء من قبل البيت، أو الدولة، أو المجتمع، إضافة إلىٰ عامل الموقع والهواء والطبيعة، وهي عوامل مؤثرة ولا شك[١]، وبهذا يكون قد تهيأت له الظروف المواتية للانصراف إلىٰ العلم بكلّيته.

لكن هذا كله - وإن كان عاملًا مساعدًا - لم يكن ليؤتي ثماره لو لم يصادف طلابًا رغبوا في العلم، فأقبلوا عليه سماعًا وعرضًا، ودراسة وحفظًا، حتىٰ برعوا فيه، وتسنّموا ذروته السامقة.

وقد اتصف أولئك الطلاب بصفات عظيمة مكّنتهم من بلوغ غايتهم، والوصول إلىٰ مطلوبهم، وهي كثيرة، وسوف أقتصر في بحثي هنا علىٰ أبرز تلك الخلال مدلّلًا عليها وشارحًا لها.

❊ ❊ ❊

(١) **انظر**: تذكرة السامع والمتكلم ص (٧٩)، ووفيات الأعيان ٥/ ١٥٦، ونفح الطيب ٣/ ١٦٣.

أولًا: الزي واللباس:

يبدو أن هناك رسومًا متعارفًا عليها بين طلاب العلم بقرطبة من حيث الزي واللباس، تختلف عن سائر طبقات المجتمع الأخرىٰ.

يقول الرازي: «كان سبب طلب يحيىٰ بن يحيىٰ للعلم، أنه كان يمر بزياد - شبطون - وهو يحدث أصحابه، فيميل إليه ويقعد عنده، فأعجب ذلك زيادًا، وأدناه يومًا، وقال له: يا بني! إن كنت عازمًا علىٰ التعلم، فخذ من شعرك، وأصلح زيّك - وكان بزي الخِدْمة - ففعل يحيىٰ ذلك، فسُرّ به زياد، واجتهد في تعليمه، حتىٰ برع تلاميذَه»[(١)].

ومن هذا الزي: لباس القلنسوة علىٰ الرأس، فقد كانت عندهم بمثابة التيجان، كما قال عبد الملك بن حبيب القرطبي[(٢)].

ولا غرو في هذا، فإن مالك بن أنس - الذي تقلّد هؤلاء مذهبه - كان هذا ديدنه منذ الصغر، فقد قال لأمه ذات يوم: «أذهبُ فأكتبُ العلم؟ فقالت له: تعال فالبس ثياب العلماء، ثم اذهبْ فاكتبْ. قال: فأخذتني والبستني ثيابًا مشمّرة، ووضعت الطويلة علىٰ رأسي، وعممتني فوقها، ثم قالت: اذهب الآن فاكتب»[(٣)].

وقال أيضًا: «لا ينبغي أن تُترك العمائم، ولقد اعتممتُ وما في وجهي شعرة، ولقد رأيت في مجلس ربيعة بضعة وثلاثين رجلًا مُعْتمًّا»[(٤)].

---

(١) انظر: ترتيب المدارك ٣/ ٣٨٠.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٦٠.

(٣) انظر: المحدث الفاصل ص (٢٠١)، والجامع لأخلاق الراوي ١/ ٣٨٤.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي ١/ ٣٨٤.

=

ومن عجبٍ أن طلاب قرطبة ومحدثيها كانوا يحافظون علىٰ هذا الزي - لباس القلنسوة - مع أنهم نشأوا في بيئة أعجمية، تخالف العرب في عاداتها، كما قال مالك: «العمائم والانتعال من عمل العرب الماضين، ولا تكاد تعمله الأعاجم»[(١)].

❊ ❊ ❊

ثانيًا: الدافع وراء طلب العلم:

كثيرٌ من طلاب العلم - خصوصًا صغارُ السن منهم - لا يكون لديه هدف محدد منذ بداية طلبه العلم، لكن هذا الهدف يتحَدّد بعد ذلك تدريجيًا، فيزداد وضوحًا مع مرور الأيام وطول الطلب، والتعمّق في العلم، وقد صوّر هذا المعنىٰ **الإمام يزيد بن هارون حينما قال:** «طلبنا العلم لغير الله فأبىٰ أن يردّنا إلا إلىٰ الله»[(٢)].

وقد اختلفت الدوافع لدىٰ طلاب الحديث بقرطبة من شخص لآخر، فهذا **يحيىٰ بن يحيىٰ الليثي يقول:** «لقد طلبت هذا الأمر - يعني العلم - يوم طلبته وما أريد به إلا نفسي، حتىٰ هيأ الله ما هيأ، فعلمت أن الناس يحتاجون إليّ...»[(٣)]. ولكن الدافع يختلف عند طالب آخر،

=

وقال أبو حنيفة لأصحابه: عظِّموا عمائمَكم ووسِّعوا أكمامَكم. تعليم المتعلم طريق التعلم ص (٦٩).

(١) الجامع لأخلاق الراوي ١/ ٣٨٤، ونفح الطيب ١/ ٢٢٣.

(٢) الآداب الشرعية ٢/ ٣٩، وغذاء الألباب ٢/ ٥١٩.

(٣) ترتيب المدارك ٣/ ٣٨٦.

وهو أحمد بن خالد القرطبي (ت٣٢٢هـ) - وكان في أول أمره قد طلب العبادة - حيث **يقول عن نفسه:** نظرت إلىٰ قوم يتهارشون علىٰ الدنيا - يعني الفقهاء - فقلت: متىٰ احتجت في شيء من ديني رجعت إلىٰ هؤلاء؟!! فكان ذلك مما حملني علىٰ الجد في الطلب، والنظر في الفقه والعلم[(١)].

❊ ❊ ❊

ثالثًا: الإنفاق والبذل في سبيل طلب الحديث:

هذا الأمر لا يفعله إلا من بلغ حب العلم عنده مبلغًا عظيمًا، ولذلك ربما بذل أحدهم مبلغًا كبيرًا ينفقه في الطلب والتحصيل، مقيمًا وظاعنًا، وأغلب ما يكون ذلك في أثناء الرحلة لطلب الحديث، فهذا يوسف بن يحيىٰ الدوسي المغامي القرطبي (ت٢٨٨هـ) سافر إلىٰ المشرق، فأقام أحد عشر عامًا، ومضىٰ بألفي دينار، فأتىٰ وعليه الدين، أنفقها في طلب العلم[(٢)].

وقال سعيد بن عثمان: لما قدمنا مصر، وجدنا يونس أمره صعبًا، ووجدنا ابن أخي ابن وهب أسهل، فجمعنا له دنانير، وأعطيناها إياه، فقرأ لنا «موطأ» عمّه و«جامعه»[(٣)].

وربما ضحّىٰ أحدهم بماله لرفيقه في الطلب، ممن له نفاذ في العلم،

---

(١) المصدر نفسه ٥/ ١٧٦.

(٢) المصدر نفسه ٤/ ٤٣٣.

(٣) جذوة المقتبس ١/ ١٤٠.

حتىٰ يشركه معه في سماعه، كما حصل لدواد بن عيسىٰ بن جبويه الكلائي القرطبي، الذي اجتمع في المشرق - إبّان رحلته في طلب الحديث - ببقي بن مخلد، وساعده بماله، علىٰ أن يكون سماعهما واحدًا، ففعل[(١)].

والذي يظهر أن هذا من مال الطالب الخاص؛ لأن الرحلة عادة لا تكون إلا بعد أن يكبر الطالب، ويصبح لديه القدرة المالية علىٰ تحمل أعبائها وتكاليفها.

أما من لم توجد لديه القدرة علىٰ ذلك إما لصغر، أو لعوز، أو غير ذلك، فإنه لا يَعدم من يساعده ويمدّ له يد العون، كما حصل لبقي في القصة آنفة الذكر.

ومثله ما حصل ليحيىٰ بن يحيىٰ الليثي الذي خرج من الأندلس للقاء مالك وغيره، بعد أن استسلف زياد له مالًا يتبلغ به، إذ رغب عن مال أبيه[(٢)].

وقال أحمد بن خالد القرطبي (ت٣٢٢هـ) عن نفسه: كانت أمي تغزل وأبيع غزلها، فأشتري به الرَّقّ والكتب[(٣)].

❊ ❊ ❊

(١) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٥٩.
(٢) ترتيب المدارك ٣/ ٣٨٠.
(٣) المصدر نفسه ٥/ ١٧٧.

رابعًا: الحرص على الطلب والتلهُّف على السماع:

كان الواحد منهم شديد الحرص علىٰ السماع، محافظًا علىٰ وقته، يملؤه الأسىٰ والحزن إن فاته شيء من ذلك.

قال ابن الفرضي في ترجمة عثمان بن وكيل القرطبي: قال لي إسماعيل: سمعت خالدًا يثني علىٰ عثمان بن وكيل، وكان يأسف إذ لم يسمع منه[(١)].

وقال عن عبد الله بن داود القرطبي: كتب عنه بعض أصحابنا وفاتني![(٢)].

بل وبلغ الأمر بأحدهم - وهو قاسم بن أصبغ القرطبي - أنه كان يدعو علىٰ أصبغ بن خليل، ويقول: هو الذي حرمني أن أسمع من بقي بن مخلد؛ كان يحضّ أبي علىٰ نهيي عن الاختلاف إليه، وكان لنا جارًا[(٣)].

هذا عدا أولئك الذين اشتهروا بكثرة الطلب وشدة العناية بالسماع، وهم كثيرٌ جدًا.

وهنا قصة لطيفة تصوّر هذا المعنىٰ المشار إليه، وهي قصة يحيىٰ بن يحيىٰ الليثي في مجلس شيخه الإمام مالك، فقد كان جالسًا عند مالك في جملة أصحابه، إذ قال قائل: قد حضر الفيل، فخرجوا كلهم

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥١٦.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٤١٢.

(٣) تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٥١.

لينظروا إليه، فقال له مالك: مالَكَ لم تخرج فتراه، إذ ليس بأرض الأندلس؟! فقال له يحيىٰ: إنما جئت من بلدي لأنظر إليك، وأتعلّم من هديك وعلمك، لا إلىٰ النظر إلىٰ الفيل، فأعجب به مالك، وسماه العاقل[(١)].

وهذا ناتجٌ عن شدة محافظة الطالب علىٰ وقته، وصرفه ساعات عمره في طلب العلم، والتزود منه ما أمكنه ذلك.

ومن الطريف هنا أن يحيىٰ هذا ذكر قول يحيىٰ بن أبي كثير: «**لا يُستطاع العلمُ براحةِ الجسمِ**»[(٢)]، فقال معقّبًا: «إن رجلًا ممن بلغه هذا الحديث من طلبة العلم، ذكره وهو علىٰ بطن امرأته قبل أن يُفضي إليها، فأخذ دفترًا من العلم ينظر فيه!!»[(٣)].

❊ ❊ ❊

خامسًا: المصاحبة والمرافقة أثناء الطلب:

وهذا أمر لا بدّ منه في الطلب؛ لأن الطالب محتاج إلىٰ رفيق يساعده ويعينه علىٰ التحصيل والمذاكرة، وهذا أمر تشتد إليه الحاجة كثيرًا عند الرحلة للسماع، والأخذ عن الشيوخ، خصوصًا إذا كانت الرحلة إلىٰ خارج الأندلس.

---

(١) ترتيب المدارك ٣/ ٣٨٢، ٣٨٣.

(٢) هذه المقولة ذكرها الإمام مسلم في الصحيح ١/ ٤٢٨. وانظر بقية مراجعها في الإبداع العلمي للمؤلف ص (٨٥) من طبعة مكتبة دار المنهاج.

(٣) بتصرف من ترتيب المدارك ٣/ ٣٨٦. ولعله يقصد نفسه!

وقد كانت هذه العادة جارية في قرطبة وغيرها من بلاد الأندلس، فكثيرًا ما تذكر كتب التراجم شيئًا عن هذه الصحبة[١].

قال ابن الفرضي عن عيسىٰ بن سعيد بن سعدان القرطبي (ت٣٩٠هـ): صاحبنا من أهل قرطبة... أجاز لي جميع ما رواه، وكان لنا صديقًا[٢].

وقال عن مخارق المعافري (ت٣٧٧هـ): سمع معنا من محمد بن أحمد بن يحيىٰ، وعبد الله بن محمد بن القاسم، وإسماعيل بن إسحاق النصري، وكان من خيار أصحابنا... قلّ ما لقيني إلا ذاكرني شيئًا من أسباب الحديث والرجال[٣].

وقال عن رفيقه عيسىٰ بن أحمد بن محمد القرطبي: صاحبنا... سمع معنا... وكان نبيلًا لقنًا، جيد الفهم، متصرفًا في فنون العلم، صحبته مدة طلبه، وكان لِدَتي[٤].

❊ ❊ ❊

سادسًا: طول الطلب والإكثار من السماع:

وهذا أمر لا بدّ منه، خصوصًا في علم الحديث، فإن كثرة الأحاديث،

---

(١) سوف يأتي بيان هذه النقطة في الباب الثالث.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٦٤، ٥٦٥.

(٣) المصدر نفسه ٢/ ٨٥٧.

(٤) المصدر السابق ٢/ ٥٦٣، واللِّدة - كعِدَة -: التِّرْب جمع لِدَات. القاموس المحيط، مادة: (لدي).

وتعدّد طرقها ومخارجها، أمر بالغ الأهمية في تأكيد الروايات، وحلّ الإشكالات، وتوضيح المبهمات، وغير ذلك، ولذا صرّح جماعة من المحدثين بعدم فقههم للحديث إذا لم يكتبوه من أوجه متعددة، منهم ابن معين، وأبو حاتم الرازي، وإبراهيم بن سعيد الجوهري وغيرهم[١].

قال الخطيب البغدادي: علم الحديث لا يعلق إلا بمن قصر نفسه عليه، ولم يضم غيره من الفنون إليه[٢].

ولقد وُجد من طلاب الحديث بقرطبة من سلخ شطرًا من عمره في السماع والتقييد، كما وُجد منهم من اختص بصحبة شيخ مدة طويلة حتىٰ يحوي جميع ما عنده، خصوصًا إذا كان واسع الرواية، وهذه نماذج أسردها للتدليل:

- محمد بن محمد بن عبد السلام الخشني. قال ابن الفرضي: سمع من أبيه أكثر علمه، ولا أعلمه روىٰ عن غيره... وانفرد عن أبيه برواية كتب لم يروها غيره، فسمعها الناس منه[٣].

- أحمد بن عبد الله الجذامي القرطبي. تحقّق بخالد بن سعد، وتردّد عليه، وانتفع به[٤].

---

(١) منهج النقد عند المحدثين ص (٩٦، ٩٧).
(٢) الرسالة المستطرفة ص (٢٢١).
(٣) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٠٩.
(٤) المصدر نفسه ١/ ١١٩.

- عبد الملك بن حبيب. كان كثير الحديث والمشايخ[١].

- أسلم بن عبد العزيز بن هاشم القرطبي. سمع من بقي بن مخلد وصَحِبَه طويلًا[٢].

- أحمد بن زياد اللخمي القرطبي. سمع من ابن وضاح، وكان مختصًّا به وبإبراهيم بن محمد بن باز[٣].

- مالك بن يحيىٰ القرشي القرطبي. سمع من بقي بن مخلد كثيرًا وصحبه[٤].

- أصبغ بن مالك بن موسىٰ - نزيل قرطبة - سمع من ابن وضاح كثيرًا، وصحبه نحوًا من (٤٠) سنة[٥].

- عبد الوراث بن سفيان بن حبرون. قال ابن عبد البر: كان من ألزم الناس لأبي محمد قاسم بن أصبغ، ومن أشهر أهل قرطبة بصحبته، حتىٰ يقال: إنه قلّما فاته شيء مما قُرئ عليه[٦].

أما أولئك الذين نُصَّ علىٰ سماعهم كثيرًا فهم جمٌّ غفير لا يُحصون كثرة.

وما من شك أن هذه حلية زكية تحلّىٰ بها طلاب العلم بقرطبة -

---

(١) جذوة المقتبس ٢/ ٤٤٧.
(٢) تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٦٧.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٧٩.
(٤) المصدر السابق ٢/ ٦٢٨.
(٥) المصدر السابق ١/ ١٥٣.
(٦) جذوة المقتبس ٢/ ٤٦٦، ٤٦٧.

أعني: الصبر والجلد علىٰ الطلب - سواء في صقعهم، أو في مهاجَرهم من البلاد.

أسند ابن الفرضي إلىٰ ابن مريم قال: كان ابن حبيب - يعني: عبد الملك - عندنا نازلًا بمصر، وما كنت رأيت أدوم منه علىٰ الكتاب...[١].

❊ ❊ ❊

سابعًا: فحص الشيوخ والتدقيق في مروياتهم:

لم يكن طلاب الحديث القرطبيون مجرد زوامل، يتحمّلون الحديث كيفما اتفق، دون فحص للمرويات، وتَوثّق من الرواة، بل كانوا يقظين في ذلك، متنبهين له. وربما اكتشفوا كذب شيخٍ، أو زيف كتابٍ، في دقةٍ عجيبةٍ، غير آبهين بمكان من حصل منه ذلك، أو مكانته.

فهذا محمد بن خليفة بن عبد الجبار البلوي القرطبي (ت٣٩٢هـ) لما انصرف إلىٰ الأندلس بعد رحلته، كان لا يؤتىٰ بشيء من الكتب إلا ذكر أنه سمعه، قال ابن الفرضي: ولقد بلغني أن أحداثًا تنقّلوه بكتاب أحمد بن الحسين البرجلاني الزاهد، شيخ أبي بكر بن أبي الدنيا، فذكر أنه سمعه، وظنه محمد بن الآجري[٢].

ويقول ابن الفرضي: قال لي محمد بن أحمد [عن محمد بن عيسىٰ

---

(١) الخبر بطوله في تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٦٠.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٧٩٠.

بن رفاعة الخولاني - من أهل رية -]: هو كذاب، رحلت إليه من قرطبة، ورحل معي أبو جعفر - يعني: أحمد بن عون الله - فذهبنا إلىٰ أن نقرأ عليه كتب أبي عبيد - وكان يزعم أنه سمعها من علي بن عبد العزيز - فأخرج إلينا كتبًا انتسخها بالأندلس في رقّ، فسألناه عن أصول الكاغد التي سمع فيها، فحكىٰ أن ماء الجرّ وصل إليها، وتشرم بعضها، فنقلها وقابلها، فقبلنا ذلك منه.

وكان أبو جعفر يسأله عن العوالي من الحديث، فلما استُقدم إلىٰ قرطبة، أخرج كتابًا مختلفًا من حديث سفيان بن عيينة، جُلّه: سفيان عن الزهري، عن أنس، عن النبي ﷺ وليس لسفيان عن الزهري عن أنس، من المسند إلا ستة أحاديث أو سبعة!

واجتمع به أبو جعفر فأحرجه، وقال له: هذا من ذلك العالي الذي كنت تسألني عنه بريّة، أو كما قال، فافتضح في هذا الكتاب، وشُهر بالكذب.

وكان محمد بن يحيىٰ، وأحمد بن عون الله، قد أسقطا روايتهما عنه[(١)].

وهناك حادثة أخرىٰ مشابهة لهذه ذكرها أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي قال: سمعنا أبا محمد قاسم بن أصبغ يقول: سمعت إبراهيم بن موسىٰ بن جميل [نزيل مصر] يقرأ الجزء السادس من

(١) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧١٣، ٧١٤.

«المعارف» لابن قتيبة، وقد قلبه بالتصحيف واللحن والخطأ، فشقّ ذلك عليه حين رآنا أشدّ المشقة[١].

وهذا يدل علىٰ فَرَق العلماء من طلاب قرطبة، وتحفّظهم عند إسماعهم.

ومن قَبْل هذا، فقد كان الطلاب ينتقون شيوخهم ويميّزون بين النابه منهم والخامل، ويعرفون مواطن الضعف والقوة عند كل شيخ، وما ينبغي أن يُؤخذ عنه، وما ينبغي أن يُترك بأمانة وإنصاف، وهذا مبثوث في كثير من عباراتهم النقدية[٢].

❊ ❊ ❊

ثامنًا: اهتمامهم بحفظ الحديث:

لا بدّ لطالب العلم الشرعي من الحفظ والإكثار منه، خصوصًا في حال صغر السنّ، وريعان الشباب؛ لأن الذهن صَافٍ، والهمّ جميع، والطبع حاد، ولا ينتابه ما ينتاب الكبير عادة من مشاغل وصوارف.

وطالب الحديث هو أحوج ما يكون إلىٰ الحفظ، وبقدر محفوظه يعلو قدره أو يسفل، حتىٰ إن الحافظ أبا شامة: عدّ حفظ متون الحديث ومعرفة غريبها وفقهها أشرف أنواع علوم الحديث[٣].

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٤٣.

(٢) **انظر**: تاريخ علماء الأندلس ترجمة رقم (٤١٣ - ٤٢٥ - ٤٣٧ - ٧٤٦ - ١٢٤٣، وغيرها).

(٣) تدريب الراوي ١/ ٤٤. **وانظر عن أهمية حفظ الحديث**: الحث علىٰ حفظ العلم =

وعند تأمل ألقاب المحدثين نجد أنها تدور جميعها في الجملة علىٰ الحفظ[١]. لذا فقد اهتم طلاب العلم بقرطبة بحفظ الحديث، ثم استذكاره ومذاكرته حتىٰ يثبت ويرسخ، خصوصًا «الموطأ»؛ لأن عليه مدار الفتوىٰ عندهم.

وقد نقل عن الغازي بن قيس أنه كان يحفظ «الموطأ» ظاهرًا[٢].

كما أن يحيىٰ بن إبراهيم بن مزين كان حافظًا له أيضًا[٣].

وقد كان بعض هؤلاء الطلاب من أصحاب الملكات القوية في الاستظهار والاستحضار، منهم زنباع بن الحارث القرطبي، الذي كان يحفظ عشرين حديثًا في ساعة، وقد حصلت له حادثة لطيفة في مجلس شيخه محمد بن وضاح يرويها محمد بن قاسم، قال: شهدت محمد بن وضاح وعنده زنباع، وقد أملىٰ ابن وضاح أحاديث علىٰ من كان عنده، وزنباع يتشاغل عن ذلك، ويتحدث مع من كان يجاوره، فلما أكثر الحديث، وتشاغل عما كان يمليه الشيخ، قال له ابن وضاح: يا مشؤم - وحرَّج[٤] عليه - تدع أن تكتب سنن النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ وتشتغل بالحديث.

=

لابن الجوزي ص (١٣) فما بعد، وترتيب المدارك ٣/ ٢١٣.

(١) **انظر**: هدية المغيث في أمراء المؤمنين في الحديث ص (٣٤) فما بعد، وتدريب الراوي ١/ ٤٣ فما بعد، والوسيط ص (١٩، ٢٠).

(٢) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٧٨.

(٣) المصدر نفسه ٢/ ٩٠١.

(٤) في المطبوع: «خرج»، ولعل ما أثبتُّ الصواب.

فقال له: أصلحك الله! لم أشتغل عما أمليته، وقد حفظته! وكان ابن وضاح أملىٰ اثني عشر حديثًا فحفظها زنباع، ونصَّها كما أملاها ابن وضّاح، فعجب منه، وكان يدنيه بعد ذلك[(١)].

وقد ذكر خالد بن سعد القرطبي عن نفسه أنه حفظ عشرين حديثًا من سَمْعةٍ واحدةٍ[(٢)].

كما كانوا يتذاكرون فيما بينهم الحديث والرجال والعلل وغيرها، خوفًا علىٰ المحفوظ، وقد سبق ذكر شيء من هذا عن مخارق المعافري وصديقه ابن الفرضي في النقطة (الخامسة).

وربما ذاكر أحدُهم من لا يفهم الحديث ولا يدريه، رغبة في شحْذ الهمة وإتقان المحفوظ. فقد ذكر ابنُ الفرضي بسنده إلىٰ الحارث بن يزيد الحضرمي قال: دخلت علىٰ علي بن رباح، وهو في الشمس، وعنده جارية، لا أعلم إلا أنه قال: عِلْجة. وهو يقول: قال عمرو بن العاص، قال فلان، قال فلان، قلت له: تحدث هذه بهذه الأحاديث؟! فقال: ليست هي بي، إنما أستذكر حديثي[(٣)].

ولست مسرفًا في الادعاء إذا قلت: إن حفاظ الحديث بقرطبة

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٨٦.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٣٩، والسير ١٦/ ١٩، وفيه: أحدًا وعشرين حديثًا، والذي يظهر أنه سبْقُ قلمٍ من المؤلف أو خطأٌ من المحقق، فقد جاء في تذكرة الحفاظ ٣/ ٩١٩ علىٰ الصواب. **وانظر**: العبر ٢/ ٩٠.

(٣) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٢٧.

كثيرون جدًا، حتىٰ ذكر المقري: أن بخارج قرطبة ثلاثة آلاف قرية، في كل واحدة منها منبرٌ وفقيهٌ مقلِّصٌ[(١)].. وكان لا يَجعل القالصَ عندهم علىٰ رأسه إلا من حفظ «الموطأ»، وقيل: من حفظ عشرة آلاف حديث عن النبي ﷺ وحفظ «المدوَّنة»[(٢)].

فإذا كان هؤلاء الذين هم أهل القرىٰ التي هي خارج قرطبة، فما بالك بمن في الداخل من الأئمة الكبار، والحفاظ الأثبات، وطلابهم الملازمين لهم!! ثم من أين تخرجت هذه الأعداد الغفيرة من حَفَظة السُّنَّة ممن كان يسكن القرىٰ؟!

(١) بالصاد أو بالسين، وهو الذي يلبس القَلَنْسوة. **وانظر**: القاموس المحيط ص (٧٣١) وشرحه تاج العروس ٤/ ٢٢١، مادة (قلس).

(٢) نفح الطيب ١/ ٤٥٨، وذكر بلاد الأندلس ص (٣٤) لمؤلف مجهول.

الفصل الرابع

دور الدولة في حركة الحديث بقرطبة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:

دخول الأمراء والخلفاء وأتباعهم في طلب الحديث.

المبحث الثاني:

اهتمام الدولة بالمحدثين.

المبحث الثالث:

اهتمام الدولة بأماكن التدريس وكتب الحديث.

المبحث الأول

دخول الأمراء والخلفاء وأتباعهم في طلب الحديث

لقد قامت الدولة في الأندلس يوم أن قامت، علىٰ أيدي جنود الفتح وقواده، الذين كان فيهم علماء كثيرون، بل كان فيهم صحابيٌّ واحدٌ - كما قيل - وبضعةٌ وعشرونَ تابعيًا[(١)]، وجمٌّ كبير من العلماء.

وكان من الطبيعي أن تعتضد الدولة بالعلماء منذ البداية، وتستنير بعلمهم ورأيهم في كافة شئون الحياة، بل إن الأمراء أنفسهم قد درجوا - في الجملة - علىٰ تعليم أنفسهم وتثقيفها، فقد حرص كل أمير من أمراء الأندلس علىٰ مختلف الأزمنة وتباين الدول، علىٰ أن يكون في مستوىٰ من الثقافة الدينية تسمح له بمجالسة الفقهاء الذين كانوا في العادة زينة مجالس الأمراء ومستشاريهم، وكانت ثقافة هؤلاء الملوك والأمراء تدفع بهم علىٰ الأغلب، إلىٰ احترام العلماء، وإجلالهم، ووضعهم الموضع الكريم الذي يليق بهم[(٢)].

هذا فضلًا عن تعليم أولادهم وأتباعهم معظم العلوم المطروقة في عصرهم، بل إن مواليهم - علىٰ كثرتهم - قد ضربوا في هذا الأمر

---

(١) **انظر**: نفح الطيب ١/ ٢٧٧، ٢٧٨ و٣/ ٦ ، ورياض النفوس ١/ ١٢١ و١٢٥.

(٢) الأدب الأندلسي ص (٩٧).

وانظر قصة الخليفة عبد الرحمن بن هشام - وقد كان أديبًا - حيث اتُّهم بسرقة الأشعار والرسائل التي كتبها، حتىٰ وقعت له حادثة فجأة، فارتجل خطابًا أجاد فيه وزاد. **انظر**: جذوة المقتبس ١/ ٥٧.

بعطن، وبما أن مدار بحثي حول الحديث، فإنني سأقتصر علىٰ اهتمام الأمراء ومواليهم بهذا العلم دون العلوم الأخرىٰ[١].

فهذا أمير المؤمنين الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد (ت٣٥٠هـ) سمع قبل ولايته الخلافة - وكذا ولي عهده الحكم ابنه - من الحافظ المعمر قاسم بن أصبغ البياني القرطبي (ت٣٤٠هـ) صاحب «المستخرج» علىٰ أبي داود[٢].

كما سمع الحكم المستنصر (ت٣٦٦هـ) من أبي عمر أحمد بن دحيم بن خليل القرطبي (ت٣٣٨هـ) جُلّ ما عنده، قد كان - أعني ابن دحيم - معتنيًا بالآثار، جامعًا للسنن، من أهل الحفظ والرواية[٣].

وقد ذكر ابن الفرضي أن أمير المؤمنين هشام بن الحكم المؤيد بالله (ت٤٠٣هـ) أخذ عن أبي عمر أحمد بن نصر بن خالد القرطبي «موطأ مطرف» سماعًا[٤].

كما سمع هشام من أبي عيسىٰ يحيىٰ بن عبد الله بن يحيىٰ القرطبي (ت٣٦٧هـ) في حياة أبيه الحكم، الذي كانت الرحلة إليه من جميع

---

(١) كان لعلم الحديث بدايات متواضعة بدأت منذ عهد عبد الرحمن الداخل، لكنها لم تزدهر وتنتشر إلا في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (ت ٢٣٨ - ٢٧٣ هـ). **انظر**: تاريخ التعليم في الأندلس ص (٩٧).

(٢) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦١٣، ترتيب المدارك ٥/ ١٨١.

(٣) ترتيب المدارك ٦/ ١٢٠. وانظر ترجمته في: تاريخ علماء الأندلس ١/ ٣١، وجذوة المقتبس ١/ ٤٢، وبغية الملتمس ١/ ٤٠.

(٤) تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٠٧، ١٠٨.

الأندلس لسماع «الموطأ»[١].

وكان هشام هذا يؤثر مجالس العلم والأدب ولا سيما الحديث والفقه علىٰ غيرها[٢].

كما ذكر الحميدي أن أمير الأندلس في دولة هشام المؤيد - محمد بن أبي عامر - سمع الحديث في شبابه وتميّز في ذلك[٣].

وكان عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن (ت٣٠٠هـ) يبجّل بقيًا ويزوره في داره ويقتبس منه، ويستمع لنصحه[٤].

ومن قبله عبد الرحمن بن الحكم (ت٢٣٨هـ)، فقد كان ذا حظ من الأدب والفقه وحفظ القرآن ورواية الحديث[٥].

كما كان الحكم المستنصر (ت٣٦٦هـ) واسع الاطلاع شديد النهم بالقراءة والتصحيح، فقد كان كما قال عنه ابن الأبار «كثير التهمّم بكتبه، والتصحيح لها، والمطالعة لفوائدها، وقلّما تجد له كتابًا كان في خزانته إلا وله فيه قراءة ونظر من أي فن كان من فنون العلم، يقرؤه ويكتب فيه بخطه - إما في أوله أو آخره أو في تضاعيفه - نسبَ المؤلف ومولده ووفاته والتعريف به، ويذكر أنساب الرواة له، ويأتي من ذلك

---

(١) ترتيب المدارك ٦/ ١٠٨.

(٢) دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول ١/ ٢٢٩.

(٣) جذوة المقتبس ١/ ١٣١.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) الحياة العلمية في مدينة بلنسية ص (١٨٠).

بغرائب لا تكاد توجد إلا عنده، لكثرة مطالعته وعنايته بهذا الفن، وكان موثوقًا به مأمونًا عليه، وصار كل ما كتبه حجة عند شيوخ الأندلسيين وأئمتهم، ينقلونه من خطه ويحاضرون به»[(١)].

قال القاضي عياض: «وكان الحكم ممن طالع الكتب ونقّر عن أخبار الرجال تنقيرًا لم يبلغ فيه شأوَه كثيرٌ من أهل العلم»[(٢)].

وقد استَقدَم زكريا بن خطاب الكلبي من أهل تطيلة - وهو ما زال وليًا للعهد - فسمع منه أكثر رواياته، ولعل منها «الموطأ»؛ لأن زكريا سمعه من إبراهيم بن سعيد الحداد[(٣)].

كما سمع الحديث أيضًا نفر غير قليل من سلالة بيت الخلافة الأموي، أذكر منهم للتمثيل: أحمد بن عبد الله بن محمد بن مبارك بن حبيب بن عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين (ت٣٣٣هـ) من أهل قرطبة، الذي سمع من بقي بن مخلد والخشني وابن وضاح، كما حدث بعد ذلك[(٤)].

وكذلك محمد بن معاوية بن عبد الرحمن بن معاوية بن إسحاق بن عبد الله بن معاوية بن هاشم بن عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين من أهل قرطبة، يُعرف بابن الأحمر، الذي أخذ الحديث عن

---

(١) الحلة السيراء ١/ ٢٠٢، **وانظر**: البيان المغرب ٢/ ٢٣٤.

(٢) ترتيب المدارك ١/ ٢٢.

(٣) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٧١.

(٤) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٨١.

عبيد الله بن يحيىٰ، وأحمد بن شعيب النسائي، وأبي بشر الدولابي في جماعةٍ كثيرةٍ سواهم، وسمع الناس عليه الحديث أكثر من ثلاثين سنة، وهو أول من أدخل «سنن النسائي» إلىٰ الأندلس وحدّث به وانتشر عنه، وتوفي سنة (٣٥٨هـ)[١].

ومنهم أيضًا محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، وينتهي نسبه إلىٰ عبد الملك بن مروان أيضًا، فقد كتب الحديث وسمعه وأسمعه، وكان يُضعَّف في الحديث من قِبَل ضبطه[٢].

كما حرص الأمراء علىٰ تعليم أولادهم السُّنَّة والحديث علىٰ أيدي المحدثين منذ نعومة الأظفار، إمّا في مجالس الحديث العامة أو الخاصة[٣].

فقد أمر عبد الرحمن الداخل ابنه هشام وأخاه الأكبر سليمان بحضور مجلس القاضي في المسجد الجامع حيث أظهر الأميران نباهة ونجابة في كل مناسبة من المناسبات[٤].

وقال ابن وضاح: لما قدم الشمر بن نمير في أيام الأمير هشام بن عبد الرحمن ضمّه إلىٰ تأديب ولده، وأنزله الدار المعروفة –

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٣٣ فما بعد، جذوة المقتبس ١/ ١٤٥ فما بعد، وبغية الملتمس ١/ ١٦٥، والأعلام ٧/ ١٠٥.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٠٦ – ٨٠٨.

(٣) **انظر**: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول ص (٥٠٣).

(٤) تاريخ التعليم في الأندلس ص (٨٨).

بشُبُلاّر[١] - بدار ابن الشمر. اهـ[٢].

وقد كان الشمر بن نمير هذا من المحدثين، فقد روىٰ عنه الحديث نافع وعبد الله بن وهب[٣].

وقد ندب الحكم المستنصر بالله يحيىٰ بن عبد الله بن يحيىٰ ليقوم بإسماع ولده هشام المؤيد الحديث، وكان يومئذ عمدة المحدثين بقرطبة، وكان عُمْر هشام وقتها أحد عشر عامًا[٤].

كما كان من معلّمي هشام المؤيد: أبو القاسم أحمد بن يوسف، وهو ممن اعتنىٰ بالحديث تقييدًا ورحلة[٥].

وهذا الأمير عبد الرحمن بن الحكم: قد عني أبوه بتعليمه وتخريجه في العلوم الحديثة والقديمة[٦]، وكان من أهل التلاوة للقرآن والاستظهار للحديث[٧].

كما ذكر ابن الفرضي: أن يحيىٰ بن مالك بن عائذ بن كيسان القرطبي (ت٣٧٥هـ) - الحافظ الجوال الذي سمع ببغداد وحدها من (٧٠٠)

---

(١) شُبُلاّر: ربض من الأرباض الشرقية لمدينة قرطبة. ذكر بلاد الأندلس ص (٣٣).

(٢) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٣٤٧.

(٣) المصدر نفسه ١/ ٣٤٧. ويظهر أن صواب العبارة: روىٰ الحديث عن نافع وابن وهب.

(٤) المقتبس ص (١٣٣، ٢١٦)، وانظر: دولة الإسلام في الأندلس ص (٥٠٣).

(٥) ترتيب المدارك ٦/ ٢٨٥. قلتُ: لعل أحمد بن يوسف هو ابن إسحاق بن إبراهيم الإستجي (ت:٣٧٢هـ). تاريخ علماء الأندلس ١/ ١١١، ١١٢.

(٦) المغرب في حلىٰ المغرب ١/ ٤٥ وما بعدها.

(٧) المصدر نفسه.

رجل ونيف، وتردد بالمشرق نحوًا من (٢٢) سنة - لما قدم قرطبة سمع منه أبناء الملوك في جملة من سمع من ضروب الناس[(١)].

أما أتباع الخلفاء والأمراء - من الموالي وأضرابهم - فإنهم من الكثرة بحيث لا يكاد يأتي عليهم كتاب، ولا يحويهم ديوان؛ لكثرتهم وذلك لأن أكثر حملة العلم هم من الموالي كما هو معلوم[(٢)].

وليس وَكْدي هنا تقديم إحصاء شامل لهؤلاء، وإنما هي أمثلة أضربها للبيان والتوضيح، ذاكرًا الاسم والولاء[(٣)] والشهرة العلمية وسَنَة الوفاة إن وجدت، ومن هؤلاء:

١ - يحيىٰ بن عمر بن يوسف بن عامر من موالي بني أمية، أخذ عن أبي المصعب أحمد بن أبي بكر الزهري وكان يروي «الموطأ» عن يحيىٰ بن بكير، مات بسوسة (٢٨٥هـ)، وقيل: (٢٨٩هـ)[(٤)].

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٩٢١، ٩٢٢.

(٢) يتجلَّىٰ هذا لمن طالع كتب الرجال والتواريخ والمشْيَخات، ومما يُعزز هذا بعض الأخبار التي ساقها علماء الحديث. **انظر**: فتح المغيث ٤/ ٤٠٢، ومعرفة علوم الحديث ص (٢٤٥)، ومقدمة ابن الصلاح ص (٣٦٠)، والسير ٥/ ٨٥، ومقدمة ابن خلدون ص (١٢٥٧)، وقد أفرد لهم علماء مصطلح الحديث بابًا في مصنفاتهم، بل ومنهم من أفردهم بالتصنيف؛ كأبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكِندي، والسخاوي - وكتابه مطبوع وهو خاص بموالي النبي ﷺ -.

(٣) إذا أُطلق الولاء فالغالب أنه ولاء العتاقة كما قال النووي. **انظر**: التقريب مع التدريب ٢/ ٣٨٢، وإرشاد طلاب الحقائق ٢/ ٨٠٠.

(٤) جذوة المقتبس ١/ ٦٠١، ٦٠٢.

٢- أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد مولىٰ الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام من أهل قرطبة، سمع ابن وضاح، ومحمد بن يوسف بن مطروح والخشني وغيرهم، (ت٣٣٥هـ)[١].

٣- أحمد بن محمد بن يحيىٰ بن مفرج القرطبي مولىٰ الإمام عبد الرحمن بن الحكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ سمع ابن وضاح، وعبيد الله بن يحيىٰ وسواهم.

قال ابن الفرضي: لا أعلم أحدًا حدث عنه إلا ابنه، وأخبرني أنه توفي في المحرم سنة (٣٣٦هـ)[٢].

٤- خلف بن أحمد القرطبي يُعرف بابن أبي جعفر من موالي بني أمية، سمع من أحمد بن سعيد «تاريخه الكبير» في التعديل والتجريح[٣].

٥- محمد بن العباس بن يحيىٰ بن العباس مولىٰ أمير المؤمنين ودهقانه[٤]، كان عنده إسناد الشام، وحدّث وكُتب عنه[٥].

٦- عبد الله بن مسرّة بن نجيح من أهل قرطبة - قيل: إنه من موالي بني أمية - سمع بالبصرة من بندار محمد بن بشار وعمرو بن علي

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٨٢.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٨٣.

(٣) جذوة المقتبس ١/ ٣٢١.

(٤) الدّهْقان - بالكسر والضم -: القويُّ علىٰ التصرف مع حِدّة، والتاجر، وزعيم فلاّحي العجم ورئيس الإقليم، معرَّبٌ. القاموس المحيط، مادة: (دهق)، ومادة: (دهن).

(٥) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٠٥، ٨٠٦.

الفلاّس، توفي بمكة سنة (٢٨٦هـ)[١].

٧- قاسم بن أصبغ بن محمد مولىٰ أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان من أهل قرطبة، صاحب «المستخرج» علىٰ سنن أبي داود (ت٣٤٠هـ)[٢].

٨- أحمد بن محمد بن عبد البر القرطبي، من موالي بني أمية، وكان ممن طلب العلم كثيرًا وبحث عنه، فاتسع في الرواية والدراية، وكان بصيرًا بالحديث، عالي الرواية (ت٣٣٨هـ)[٣].

٩- دوّي الصقلبي، مولىٰ أمير المؤمنين الناصر عبد الرحمن بن محمد، من أهل قرطبة، رحل إلىٰ المشرق حاجًا فسمع بمكة من ابن الأعرابي وغيره، حدَّث وكُتب عنه[٤].

١٠- سعيد بن حسان، مولىٰ الأمير الحكم بن هشام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، من أهل قرطبة، وصفه ابن الفرضي بأنه حافظ، وقد حدّث عنه إبراهيم بن محمد بن باز وغيره[٥]. وقد توفي سنة (٢٣٦هـ).

وقد اهتم أمراء البيت الأموي وخلفاؤه في الأندلس، بالعمل بالسنة، والأخذ بالآثار، واهتموا لها، ورجعوا إليها، ووقفوا عندها، سواء في أنفسهم خاصة، أو مع الناس عامة.

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٣٧٦، ٣٧٧.
(٢) المصدر السابق ٢/ ٦١١.
(٣) ترتيب المدارك ٦/ ١٢١ بتصرف.
(٤) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٦٣.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٩٠.

فهذا هشام بن عبد الرحمن بن معاوية (ت١٨٠هـ) قال عنه ابن عذارىٰ: كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ... حاكمًا بالسُّنَّة والكتاب... إلخ[١].

وقال القاضي أبو معاوية: كان يحضر الجنائز ويزاحم فيها، كأنه أحد من الناس تواضعًا[٢].

وقد غضب يومًا علىٰ خاصة له، أوصل إليه كتابًا كرهه، فأمر بقطع يده، فقال زياد - وهو ابن عبد الرحمن الملقب بشبطون - أصلح الله الأمير، فإن مالك بن أنس حدثني في خبر رفعه: «**أنَّ من كظمَ غيظًا يقدرُ علىٰ إنفاذه ملأَهُ اللهُ أمنًا يومَ القيامةِ**»[٣]. فسكن غضب الأمير، وقال له: آلله إن مالكًا حدثك بهذا؟ قال زياد: آلله إن مالكًا حدثني به، فأمر الأمير أن يمسك عن يد الخادم وعفا عنه[٤].

وقد ذُكر أن زيادًا هذا رَاكَبَ الأميرَ الحكم بن هشام (ت٢٠٦هـ)، وقد أردف زيادُ ولدَه خلفه، منصرفين من جنازة، ووصل محادثة الأمير إلىٰ أن وصل «القنطرة»، فسمع المؤذن، فقطع زياد حديثه وقال: معذرة

---

(١) البيان المغرب ٢/ ٦٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الحديث أخرجه بهذا اللفظ أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب من كظم غيظًا ٥/ ١٣٧، ١٣٨ (٤٧٧٧، ٤٧٧٨) بسنده إلىٰ سويد بن وهب، عن رجل من أبناء أصحاب النبي ﷺ، عن أبيه، قال: قال رسول ﷺ، فذكره.
وهو حديث ضعيف بهذا اللفظ؛ لأن فيه راويًا مجهولًا وهو ابن الصحابي. **انظر:** مشكاة المصابيح ٣/ ١٤١٠، والحديث ليس في «الموطأ».

(٤) ترتيب المدارك ٣/ ١١٩، ونفح الطيب ١/ ٣٤٠، ٣٤١. وزيادٌ هذا هو أول من أدخل «الموطأ» الأندلس فيما قيل.

إلىٰ الأمير أصلحه الله! إنا كنا في حديث عارَضه هذا المنادي إلىٰ الله تعالىٰ، ولا يجوز الإعراض عنه، فهو أحق بالإجابة،وإن اجتمعنا قدرنا علىٰ تتميم الحديث إن كانت بنا إليه حاجة، وسلّم عليه، فدخل الجامع من باب «القنطرة»، واستقام الأمير إلىٰ القصر فلم يُنكر عليه شيئًا، بل زاده حُظوة[(١)].

وكذلك فعل الأمير محمد بن عبد الرحمن (ت٢٧٣هـ)، فقد أمر خازن كتبه أن يستنسخ له «مسند ابن أبي شيبة»، وقال: هذا كتاب لا تستغني خزانتنا عنه، فانظر في نسخه لنا[(٢)].

وقد بلغ التأثر ببعضهم مبلغه حينما سمع حديث رسول الله ﷺ؛ كعبد الرحمن الناصر، فقد «أخذته الجمعة يومًا بقرطبة - أيام تولّي ابن المشّاط الخطبة، وكان مطيلًا لها، فلما خرج الناصر للصلاة، دعا وزيره أبا عثمان بن إدريس، وأوعز إليه أن يذكر لابن المشّاط في تخفيف الخطبة ففعل، وألطف له القول وقال له: إن الناصر يجد صداعًا في رأسه، هو الذي أمسكه عن الحركة إلىٰ «الزهراء»، ورأىٰ أنه في حرج عن التخلف عن الجمعة، فهو يريد عونه عليها بالتخفيف عنه والرفق به. فقال له: سمعت قولك، والله الموفق لما يزلف منه.

---

(١) ترتيب المدارك ٣/ ١١٩، ١٢٠، والمغرب في حلىٰ المغرب ١/ ٣٩.

(٢) نفح الطيب ٢/ ٥١٩، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٨٨، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٣٠. **وانظر**: تاريخ الفكر الأندلسي ص (٤٠٨)، وشيوخ العصر في الأندلس ص (٤٨)، وبقيّ بن مخلد القرطبي ص (٥٤)

فلما انقضىٰ الأذان، وخرج الناصر إلىٰ مصلاه - جانب المنبر، قام ابن المشّاط للخطبة، فترسّل في منطقة واحتفل في افتتاحه وتحميده، والصلاة علىٰ رسوله، ثم أخذ في الوعظ فقال: عباد الله: روي في الحديث: «أنه يُحشر يوم القيامة أنعمُ الناس في الدنيا، وأشدُّهم بلاءً، فيُغمس المتنعِّم في نهر من أنهار جهنم، ثم يُخرج منه فيقال له: هل رأيتَ خيرًا قط؟ فيقول: لا، ما رأيتُ خيرًا قط، ويُؤتىٰ بالمبتلىٰ فيُغمس في نهرٍ من أنهار الجنة، ثم يُخرج فيقال له: هل رأيتَ بؤسًا قط؟ فيقول: لا ما رأيتُ بؤسًا قط»[(١)]، وحشد أمثال هذا، وطول وزاد فبكىٰ وأبكىٰ الناس، حتىٰ قام في الجامع شبه المأتم من البكاء والشهيق. قال ابن إدريس: وقد أبلست، وامتلأت غيظًا، فلا أدري أكثر ما قال، وخفت أن يظن الناصر أني لم أؤد الرسالة، فلما تمت الصلاة، ودخل الناصر إلىٰ مكانه بالساباط، وأذن للوزراء فدخلوا - وأنا معهم - ودعا بصاحب الصلاة، استربت، فلما وقعت عينه عليه، بشّ له ورفع منزلته، فسُرِّي عني، فأقعده الناصر في مقعده، وأقبل يثني عليه، ويكبر مشهده، وأنه ما شهد قط مثله، وأنه يرجو بركته، لما أدركه من الخشوع والبكاء والندم، وأنه متقرب إلىٰ الله بألف دينار من طيب ماله - شكرًا لحضور هذا المشهد، وأنه يرسل بها إلىٰ ابن المشاط يجعلها حيث يرىٰ من سبيل الخير[(٢)].

---

(١) الحديث تقدم تخريجه.

(٢) ترتيب المدارك ٦/ ١٣٧، ١٣٨. وقد أوردتُ الخبرَ بتمامه - رغم طوله - لما فيه من الفائدة والدلالة علىٰ المقصود.

وكان الحكم المستنصر (ت٣٦٦هـ) «قد رام قطع الخمر من الأندلس، وأمر بإراقتها وتشدّد في ذلك، وشاور في استئصال شجرة العنب من جميع أعماله، فقيل له: إنهم يعملونها من التين وغيره، فتوقف عن ذلك»[(١)].

وقال ابن الفرضي في عبيد الله بن يحيىٰ بن إدريس القرطبي (ت٣٥٢هـ) - وكان عارفًا بالآثار جامعًا للسنن -: ولي أحكام الشرطة، ثم ولي الوزارة فما زادته هذه الخِطط الرفيعة إلا تواضعًا وفضلًا، وكان يؤذن في مسجده وهو وزير، أخبرني بهذا من سمعه مرّات[(٢)].

وقد كان لبعضهم قدم صدق في محاربة أهل البدع والأهواء، كما فعل المستنصر بالله مع أتباع ابن مسرة الذي كان يُتهم بالاعتزال والاشتغال بالفلسفة[(٣)].

(١) جذوة المقتبس ١/ ٤٣.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٣٠، ٤٣١. **وانظر** ٢/ ٦٢١، ٦٢٢ فقد ذكر قصة عن عباس بن قُرعوس الثقفي مع الحكم أو هشام وقف فيها الأمير عند حُكمه.

(٣) **انظر**: تاريخ التعليم في الأندلس ص (١١٨).

المبحث الثاني
اهتمام الدولة بالمحدثين

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:

رِفعة منزلتهم في الدولة والصدور عن رأيهم.

المطلب الثاني:

حماية الدولة للمحدثين.

المطلب الثالث:

عطاء المحدثين وصلاتهم.

توطئة

لقد اهتمت الدولة بالمحدثين، ورفعت منزلتهم، ومكّنت لهم، ووفرت لهم الحماية، بل واستقدمت نخبة ممتازة منهم لبث ونشر ما لديهم من علم.

وبناءً عليه؛ فقد بلغ المحدثون في تلك الحقبة الغاية في الرفعة، والنهاية في المنزلة، خصوصًا بعد عودة بقي بن مخلد، ومحمد بن وضاح من المشرق، اللذين صارت الأندلس بهما دار حديث ورواية بعد جمودها المذهبي علىٰ مذهب مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1].

ولقد تبوَّأ المحدثون هذه المكانة في كثير من فترات الحكم الأموي في الأندلس، وهذا ناتج عن حب هؤلاء الأمراء لهذا العلم، وطلبهم له كما سبق الحديث عنه في المبحث السابق.

وحديثي هنا سيكون ضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:

رفعة منزلتهم في الدولة والصدور عن رأيهم.

المطلب الثاني:

حماية الدولة للمحدثين.

المطلب الثالث:

عطاء المحدثين وصلاتهم.

---

(١) **قال ابن الفرضي** - في **تدريس بقيّ للحديث** -: فمن يومئذ انتشر الحديث بالأندلس، ثم تلاه ابن وضاح، فصارت الأندلس دار حديث وإسناد، وإنما كان الغالبُ عليها قبل ذلك حفظَ رأي مالك وأصحابه. تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٧٠، ١٧١.

المطلب الأول

رفعة منزلتهم في الدولة والصدور عن رأيهم

ذكر القاضي عياض أن الأمير هشام بن عبد الرحمن (ت١٨٠هـ) كان يؤثر زيادًا ويكرمه، ويستنيم إليه، ويخلو به، ويسائله عما يعرض له من أمور دينه، فيأخذ برأيه، ويبالغ في برّه، ويدفع إليه المال يتصدق به، وربما اجتاز به ليلًا فيخرج إليه ويسلّم عليه ويحادثه[١].

وكان لبعض رجال هشام خصومة في دارٍ عند القاضي مصعب بن عمران القرطبي - وكان راويةً عن الأوزاعي وغيره من الشاميين، وروىٰ عن المدنيين[٢] - فسجل عليه القاضي، وأخرجه منها، فنهض الرجل إلىٰ هشام، وقال له: إن القاضي سجل علىٰ داري التي كنت أسكنها، وأخرجني عنها، فقال له: وماذا تريد مني؟ لو سجل علي القاضي في مقعدي هذا لخرجت عنه انقيادًا للحق، رحمة الله عليه[٣].

وهذا عبد الرحمن بن الحكم (ت٢٣٨هـ) كان يلتزم من إعظام يحيىٰ بن يحيىٰ الليثي وبرّه ما لا يلتزم الابن البار بالأب الحاني، وكان لا يولّي القضاء أحدًا إلا عن رأيه[٤]، حتىٰ صار يحيىٰ بن يحيىٰ محدث

---

(١) ترتيب المدارك ٣/ ١١٩. وزيادٌ هذا هو زياد بن عبد الرحمن الملقب بشبطون كما تقدم قريبًا.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٣١.

(٣) البيان المغرب ٢/ ٦٦.

(٤) تاريخ افتتاح الأندلس ص (٧٥).

قرطبة الأول[(١)]، ولهذا لما وُلي يحيىٰ بن معمر اللّاهاني الإشبيلي القضاء عزله الوالي لرفع يحيىٰ بن يحيىٰ عليه[(٢)].

ولقد كان محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (ت٢٧٣هـ) يحب أهل الحديث، وليس من اقتصر علمهم علىٰ «موطأ مالك» فحسب كما كان مَنْ قبله من الأمراء، وكان يؤثرهم علىٰ غيرهم، منهم بقيّ بن مخلد[(٣)].

كما أن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن (ت٣٠٠هـ) كان يبجل بقي بن مخلد ويزوره في داره، ويقتبس منه، ويستمع لنصحه[(٤)].

وقد وُجد بخط الحكم بن عبد الرحمن المستنصر (٣٦٦هـ) قوله في أبي بكر بن السليم القرطبي - وهو عالم بالحديث ضابط لما رواه[(٥)] -: هو فقيه بمذهب مالك، حافظه، مقدم، من أهل المعرفة بالحديث والرجال، له حظ من الأدب، لم يل القضاء بقرطبة أفقه منه ولا أعلم، إلا منذر بن سعيد، لكنه أرسخ في علم أهل المدينة من منذر[(٦)].

---

(١) **انظر**: المقتبس ص (٤١) تحقيق: د. محمود علي مكي، ونفح الطيب ٢/ ٩ وما بعدها.

(٢) تاريخ افتتاح الأندلس ص (٧٥).

(٣) **انظر**: المصدر نفسه ص (٨٧). **وانظر أخبار هذا الأمير في** أخبار مجموعة ص (١٢٦)، والحلة السيراء ١/ ١١٩، والعقد الفريد ٤/ ٤٩٣، وجذوة المقتبس ١/ ٤٠.

(٤) **انظر**: دولة الإسلام في الأندلس ص (٣٥١)، وتاريخ التعليم في الأندلس ص (١٠١).

(٥) ترتيب المدارك ٦/ ٢٨٠.

(٦) المصدر نفسه ٦/ ٢٨١.

كما كان الحَكَم المستنصر يرفع بخالد بن سعد القرطبي ويقول: إذا فاخَرَنا أهل المشرق بيحيىٰ بن معين فاخرناهم بخالد بن سعد[١].

وقد كان خالد هذا: إمامًا في الحديث، حافظًا له، بصيرًا بعلله، عالمًا بطرقه، مقدمًا علىٰ أهل وقته في ذلك، كما قال ابن الفرضي[٢].

وقال أحمد بن خالد: كان أول ما نفّذه ابن بشير - وهو من رواة «الموطأ» عن مالك - من نافذ أحكامه، التسجيل علىٰ الأمير الحكم في أرْحاء القنطرة بباب قرطبة، إذ ثبت عنده حق مدعيها، ولم يكن عند الأمير مدفع، فسجّل فيها وأشهد علىٰ نفسه، فلما مضت مُديدة، ابتاعها له ابتياعًا صحيحًا، فَسُرّ بذلك الحكم بعد مساءة، وجعل يقول: رحم الله ابن بشير، فقد أحسن فيما فعل بنا علىٰ كرهٍ منا، إذ كان في أيدينا شيء مُشتبه، فصحَّح ملكَه لنا[٣].

كما أن الحكم بن هشام قد عفا عن طالوت بن عبد الجبار المعافري القرطبي - وهو أحد من روىٰ عن مالك ونظرائه من أهل العلم - وكان طالوت ممن استخفىٰ من أعلام قرطبة في ثورة أهل قرطبة علىٰ أميرهم الحكم بن هشام، وكان استخفاؤه عند رجل من اليهود من جيرانه، ثم ظفر به الخليفة عن طريق وزيره أبي بسَّام، فعفا عنه لصدقه؛ لأنه إنما خرج عليه بُغضةً لله وحده، ولم يزل طالوت بعدُ

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٣٩.

(٢) المصدر السابق، الجزء والصفحة.

(٣) ترتيب المدارك ٣/ ٣٣٧.

لديه مبرورًا إلىٰ أن توفي عن قريب، فأسىٰ له الحَكَم، وحضر جنازته، وأثنىٰ عليه بصدقه(١).

كما كان المحدثون يجلّون ولاة أمرهم، ويعرفون لهم حقهم من الطاعة والهيبة والتقدير، انطلاقًا من مبدأ وجوب طاعة ولاة الأمور في غير معصية وتحريم طاعتهم في المعصية، كما تقرّر في النصوص الكثيرة، منها قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء:٥٩].

وكما في حديث ابن عمر مرفوعًا: «**علىٰ المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»(٢)، وغيرها من النصوص الشريفة. لذا فقد كان يحيىٰ بن يحيىٰ الليثي يلبس الوشي الرفيع - يريد القطني - ثمنه المال العظيم في الأعياد والدخول علىٰ الأمراء(٣).

وكان سعيد بن أبي هند القرطبي - أحد الرواة عن مالك - يقول:

---

(١) تاريخ افتتاح الأندلس ص (٧٠) فما بعد، وترتيب المدارك ٣/ ٣٤٠، ٣٤١.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ٤/ ٣٢٩، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ٣/ ١٤٦٩، حديث (١٨٣٩)، وأبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في الطاعة ٣/ ٩٣، ٩٤، حديث (٢٦٢٦)، والترمذي في سننه، كتاب الجهاد، باب ما جاء لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ٤/ ١٨٢، حديث (١٧٠٧)، والنسائي في سننه، كتاب البيعة، باب جزاء من أُمر بمعصية فأطاع ٧/ ١٦٠، حديث (٤٢٠٥).

(٣) ترتيب المدارك ٣/ ٣٩١.

ما هبت أحدًا هيبتي عبد الرحمن بن معاوية حتىٰ حججت فدخلت علىٰ مالك، فهبته هيبةً شديدة، حتىٰ صغرتْ عندي هيبة عبد الرحمن لهيبته[١].

(١) المصدر نفسه ٢/ ٣٣، وتاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٨٨.

المطلب الثاني
حماية الدولة للمحدثين

قامت الدولة أيضًا بالدفاع عن المحدثين، وتأمين الحماية لهم ضد سطوة بعض الفقهاء والمقربين من السلطة، وتظهر هذه الحماية جليًا في قصة بقي بن مخلد القرطبي (ت٢٧٦هـ)، وكان قد رحل إلىٰ المشرق، فلقي جماعة من أئمة المحدثين وكبار الحفاظ، حتىٰ قال عبد الله بن يونس (راوية بقي بن مخلد): إن عدة الرجال الذين لقيهم بقي، وسمع منهم: مائتا رجل وأربعة وثمانون رجلًا... ولشدة حرصه علىٰ العلم سماه أهل بغداد (المكنسة)! وكان مما انفرد بقي بن مخلد بإدخاله إلىٰ الأندلس، ولم يدخله سواه: «المصنف» لأبي بكر بن أبي شيبة بتمامه، وكتاب «التاريخ»، لخليفة بن خياط، وكتابه في «الطبقات»، وكتاب «سيرة عمر بن عبد العزيز» للدورقي[(١)].

وشرع بقيٌّ بعد عودته في تعليم الناس، «ولم يكن بقي بن مخلد رجلًا هادئًا مسالمًا مثل صاحبه ابن وضاح؛ أي: أنه لم يكتف بالدعوة لدراسة الحديث كما فعل ابن وضاح، بل مضىٰ يبين فضائل الرجوع إلىٰ الآثار بدلًا من الاكتفاء بتقليد مالك، وأخذ يقرأ علىٰ الناس «مسند ابن أبي شيبة»، ويشرحه إثباتًا لرأيه، وقرأ كتاب «الأم» للشافعي، وأقبل الناس علىٰ دروسه، وتبين الأذكياء من الطلاب أنهم أمام مستوىٰ من العلم جديد[(٢)].

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٦٩ - ١٧١ بتصرف.

(٢) شيوخ العصر في الأندلس ص (٤٧).

وهذا الذي «غاظ فقهاء قرطبة، أصحاب الرأي والتقليد، الزاهدين في الحديث، العارين من علوم التحقيق، المقصرين عن التوسع في المعرفة، فحسدوه، ووضعوا فيه القول القبيح، حتىٰ ألزموه البدعة، وشنئوه إلىٰ العامة، وتخطّىٰ كثير منهم برميه إلىٰ الإلحاد والزندقة، وتشاهدوا عليه بغليظ الشهادة، داعين إلىٰ سفك دمه، وخاطبوا الأمير محمدًا في شأنه، يعرفونه بأمره، ويكثرون عليه بكل ما يرجون من الوصول إلىٰ سفك دمه، ويسألونه تعجيل الحكم فيه، فاشتد خوف بقي جدًا، واستتر خوفًا علىٰ دمه، وعمل علىٰ الفرار من الأندلس إن أمكنه ذلك، فأرشده الله إلىٰ التعلق بحبل هاشم بن عبد العزيز، وسؤاله الأخذ بيده، وكتب إلىٰ الأمير محمد، ينشده الله تعالىٰ في دمه، ويسأله التثبت في أمره، والجمع بينه وبين خصومه، وسماع حجته، فيأتي في ذلك بما يوفقه الله له، فألقىٰ الله في نفس هاشم الاحتفاء بشكواه، والاعتناء بأمره، فشمّر له عن ساعده، وأوصل كتابه إلىٰ الأمير محمد، يشرح حاله، فعطف عليه، واتهم الساعين به إليه، فأمر بتأمين بقي بن مخلد، وإحضاره مع الطالبين له، فتناظروا بين يديه، فأدلىٰ بقي بحجته، وظهر علىٰ خصومه، واستبان للأمير حسدهم إياه، لتقصيرهم عن مداه، فدفعهم عنه، وتقدم إليه بمطأطأة قدمه ونشر علمه، وأمر بإيصاله إليه في زمرة الفقهاء، والرفع من منزلته، فاعتلىٰ درة العلم، ولم يزل عظيم القدر عند الناس، وعند الأمير محمد، إلىٰ أن مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1].

(١) البيان المغرب في أخبار المغرب ٢/ ١٠٩، والمقتبس ص (٢٦٣) فما بعد، تحقيق د. محمود علي مكي.

وكان الأمير محمد بن عبد الرحمن (ت٢٧٣هـ) - كما يقول ابن القوطية - «من أهل الأناة، وقلة العجلة، والتنزه عن العقوبة، مكرمًا لأعلام الناس من أهل العلم والموالي والأجناد...»[(١)].

وبالرغم من هذا الموقف القاسي الذي وقفه فقهاء عصره منه، إلا أن بقيًا التزم الإنصاف والعدل معهم، بعد أن تبوأ منزلة عظمىٰ في الدولة، حيث اتخذه الأمير المنذر بن محمد (ت٢٧٥هـ) مشيرًا له فيمن يولّي القضاء[(٢)]. فمن ذلك أنه لما سئل مع الفقهاء عن ما يجب علىٰ القاضي عمرو بن عبد الله القرطبي[(٣)]؛ لأنه كان قد وضع مالًا لبعض الأيتام، وكان ثلاثة آلاف دينار... فأوجب عليه الفقهاء اليمين حاشا بقي بن مخلد، فإنه قال: إن من الشماتة بنا عند اليهود والنصارىٰ أن نستحلف قاضينا، والمأمونَ علىٰ فروج نسائنا وأحباسنا وأيتامنا، أرىٰ للأمير - أصلحه الله - أن يجبر هذا من بيت المال، فصار إلىٰ رأيه

---

(١) تاريخ افتتاح الأندلس ص (٨٦)، **وانظر**: المقتبس ص (٢٤٥) تحقيق محمود علي مكي.

(٢) **انظر**: قضاة قرطبة ص (٣٥، ٣٦).

(٣) كان هذا القاضي هو الذي أقام الفقهاءُ عنده الدعوىٰ علىٰ الانتقام من بقيّ بن مخلد وسفك دمه، وكان له شهوةٌ في إنفاذ ما شهد به الفقهاء علىٰ بقيّ. **انظر**: قضاة قرطبة ص (١٥٣، ١٧٥، ١٧٦).

وهذا القاضي هو أول من تسمّىٰ بقاضي الجماعة في قرطبة. **انظر**: تاريخ افتتاح الأندلس ص (٨٨)، كما أن أول من تسمّىٰ بقاضي القضاة عند المشارقة أبو يوسف صاحب أبي حنيفة، وقاضي الجماعة عند الأندلسيين في مرتبة قاضي القضاة عند المشارقة. **انظر**: تاريخ بغداد ١٤/ ٢٤٢.

وأمر بعزله... ولهذا لمّا لامه أسلم بن عبد العزيز وأكثر عليه قال له بقي: أصلحك الله، كنت ترضىٰ لشيخ مثلي أن يفتي بغير ما يعتقده من الحق، والله ما أفتيته في أمره إلا بما اعتقدت أنه الحق فلا تلمني[١].

كما تدخلت الدولة أيضًا لحماية محمد بن عبد السلام الخشني (ت٢٨٦هـ)[٢]، حيث لحقه ما لحق بقي بن مخلد من الأذىٰ من مقلدة الفقهاء... **قال أحمد بن محمد الرازي:** لما سُعي بالفقيه أبي عبد الله الخشني إلىٰ ما نسب إليه، فأدرج في طيّ المطالبة معه، وأخيف علىٰ سجنه إخافة بقيّ التي أدته إلىٰ الاستخفاء، لم يقتد به في ذلك لصرامته، وإباء نفسه ومناقبه، وأبىٰ أن يستخفي، وقال: ما كنت أستخفي لقول الحق، ولا أخشىٰ في الله أحدًا، وإن أصب في الله فطريق الخير سلك بي، فميل في الطلب عليه، وأسيئ القول فيه.

وكُثِّر علىٰ السلطان في شأنه حتىٰ أمر محمد بن حارث متقلّد أحكام السوق بإحضاره، ووقْفِه علىٰ ما يُنسب إليه، ومعرفة ما عنده، وكان ابن حارث متقلد أحكام السوق، موصوفًا بالأفن والجهالة، فأحضر الخشني معنوتًا به، فلما مثل بين يديه خشّن في سؤاله، وقال له: إيه عدو الله وعدو نفسه! أنت القائل: إن في القرآن ناسخًا ومنسوخًا؟ فقال

---

(١) **انظر**: تاريخ افتتاح الأندلس ص (٨٧)، وقضاة قرطبة ص (١٧٦).

(٢) كانت له رحلة إلىٰ المشرق لقي فيها أحمد بن حنبل ونظراءه، وأقام خمسًا وعشرين سنة متجوِّلًا في طلب الحديث، وأدخل الأندلس كثيرًا من حديث الأئمة. **انظر**: تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٤٨، ٦٤٩، وجذوة المقتبس ١/ ١١٨.

الخشني: إن الله تعالىٰ يقول في محكم كتابه: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة:١٠٦]، فسطىٰ عليه سطوةً غشومًا، فعلم بذلك وليد بن عبد الرحمن بن غانم، متولي المدينة، فدخل إلىٰ الأمير محمد، فأعلمه بما أحدثه صاحب السوق محمد بن حارث علىٰ محمد بن عبد السلام، وحكىٰ له قوله له: فضحك الأمير محمد حتىٰ وضع كمه علىٰ وجهه، ثم قال: يا وليد، لقد لقي الخشني من ابن حارثنا عنتًا، لكأني أنظر إليه أعرابيًا في شملته، بدويًا في لهجته، يكلمه بما لا يفهمه. اخرج الساعة إلىٰ الجاهل المائن ابن حارث، فعنّفه أشد التعنيف وأعلمه أنه لولا عذرنا إياه؛ لجهله بهذا الشأن الذي ليس بعذر لنا في تولية مثله؛ لعاقبناه علىٰ فعله، ومُر بإطلاق محمد بن عبد السلام، ثم اعتذر عنا إليه لما نيل منه، وقل له: فليُطأْمِن جأشه، ويعمر مجلسه، وينشر علمه[(١)].

وكذا الحال بالنسبة لقاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيار (ت٢٧٨هـ)[(٢)] الذي كان يذهب مذهب الحجة والنظر وترك التقليد، ويميل إلىٰ مذهب الشافعي[(٣)]، فقد اصطدم بعقلية فقهاء المالكية المتمسكة بالتقليد والحفاظ علىٰ آراء من سبقهم، وعدم قبولهم

(١) المقتبس ص (٢٥٠ - ٢٥٢) تحقيق د. محمود علي مكي، **وانظر**: تاريخ التعليم في الأندلس ص (٩٨).

(٢) ذكر ابن الفرضي أنه ألّف كتابًا في خبر الواحد، تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٩٩.

(٣) المصدر نفسه ٢/ ٥٩٨.

التجديد... ولقد تمكن أن يحصل علىٰ حماية الأمير الذي عيّنه وثائقيًا خاصًا به[١].

وقد تحامل الفقهاء أيضًا علىٰ عبد الملك بن حبيب لتقدمه عليهم بعلوم لم يكونوا يعلمونها ولا يشرعون فيها[٢] لكن لم يصبه من هؤلاء ما أصاب سابقيه حتىٰ يحتاج لحماية الدولة؛ لأنه كان ذو مكانة عالية عند الدولة.

(١) تاريخ الفكر الأندلسي ص (٤٣١)، وتاريخ التعليم في الأندلس ص (١٠٠).
(٢) ترتيب المدارك ٤/ ١٢٩.

المطلب الثالث

عطاء المحدثين وصلاتهم

لا شك أن الدولة ستفرض للمحدثين عطاءات وأرزاقًا، كحال غيرهم من العلماء، هذا عدا الصلات والهبات المقطوعة من الأمراء ورجال الدولة، بل ربما وضع الأمير في يد بعضهم قدرًا من المال ينفقه في الوجوه التي يراها، حتىٰ ولو علىٰ نفسه، ثقةً منهم بهؤلاء المحدثين، وبحسن تصرفهم.

كما فعل الأمير هشام بن عبد الرحمن (ت١٨٠هـ) مع زياد بن عبد الرحمن - الملقب بشبطون - فقد كان يؤثر زيادًا ويكرمه، ويبالغ في بره ويدفع إليه المال يتصدق به فيأبىٰ ذلك.

وحدث أن أتاه ليلًا - ذات مرة - في خاصته، فقرع عليه الباب، فخرج فزعًا، ففتح له وسلّم عليه، وسأله عن سبب مجيئه، فقال: طلب التفرد بك، وهذا المال طيب، وأشار إلىٰ مال يحمله الفتىٰ أردت التزلّف به، فأتيتك به لتضعه حيث تراه، فقال له زياد: تجد من هو أقوم لك بذلك، وأعرف بأهله، وسمّىٰ له قومًا من صلحاء الناس، فأبىٰ هشام إلا إياه، فلم يقدر عليه، إلىٰ أن حلف ألاّ يفعل، فاستحياه هشام، وخرج بماله وهو يقول: اللهم أعنّي علىٰ طاعتك بمثل هذا[1].

ويبدو أن تلك العطاءات كانت كبيرة ومجزية، قد تصل إلىٰ ألف

---

(١) ترتيب المدارك ٣/ ١١٩، ١٢٠.

دينار ذهبًا كما صرّح بذلك عبد الملك بن حبيب في أبياته الذائعة:

صلاحُ أمري والذي أبتغي ... سهلٌ على الرحمنِ في قُدرتِهْ

ألفٌ من الحُمْر وأَقْلِلْ بها ... لعالمٍ أوفى على بُغْيتِهْ

زِرْيابُ قد يأخُذُها دَفعةً ... وصنعتي أشرفُ من صنعتِهْ[١]

وإن كان يراها هو قليلة بالنسبة لما يأخذه زرياب[٢]، وحُقَّ له ذلك!![٣]

ولم يقتصر الأمر على أهل البلد فقط، بل شمل ذلك أيضًا الوافدين إلى الأندلس، سواء من مدن الأندلس الأخرى، أو حتى من بلدان المشرق، كما حصل لجماعة كبيرة، منهم: يحيى بن مزين الطليطلي - الذي روى «الموطأ» عن مطرف بن عبد الله وكان يحفظه - لما انتقل

---

(١) الأبيات في طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص (٢٦٠، ٢٦١)، وجذوة المقتبس ٢/ ٤٤٩، وبغية الملتمس ٢/ ٤٩٢، والمغرب ٢/ ٩٦ وفيه بعض الاختلاف، والديباج المذهب ص (١٥٦) وهي من بحر الرجَز.

(٢) زرياب: هو علي بن نافع أبو الحسن، مولى المهدي العباسي، كان شاعرًا مطبوعًا، وصاحب صوت حسن، أدخل بعض التجديدات في علم الموسيقى، رحل من المشرق إلى المغرب حتى انتهى به المطاف إلى أمير الأندلس عبد الرحمن بن الحكم، فركب إليه بنفسه لتلقِّيه، وفرض له في كل شهر مائتي دينار، واستغنى به عمَّن عداه من الندماء. **انظر**: نفح الطيب ٣/ ١٢٢، والعقد الفريد ٦/ ٣٤، وتاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ٢/ ٤١٤، والأعلام ٥/ ٢٨.

(٣) من أخبار زرياب أنه غنّى الخليفةَ عبد الرحمن بن الحكم يومًا صوتًا استحسنه، فقال: يُؤمر الخُزّان أن يدفعوا إليه ثلاثين ألف دينار...!! تاريخ افتتاح الأندلس ص٨٣، ٨٤.

إلىٰ قرطبة، فقد أقطعه الأمير عبد الرحمن قطائع شريفة، وابتنىٰ له دارًا ووصله صلة جزلة[١].

ومثله حكم بن محمد بن هشام القرشي - من أهل القيروان - الذي كتب عنه الحديث - فقد قدم الأندلس في أول ولاية المستنصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فوصل إليه وأكرمه، ثم استأذنه في الجواز إلىٰ بلده، وألح في ذلك، فأذن له، فجاز إلىٰ القيروان، فامتحن مع عبيد الله الشيعي... ثم رجع إلىٰ الأندلس مرة ثانية، فأكرمه أمير المؤمنين، وأجرىٰ عليه العطاء في ديوان قريش إلىٰ أن مات سنة (٣٧٠هـ)[٢].

وكذا محمد بن أحمد بن محمد - من أهل مصر - الذي كُتب عنه جزء من حديثه - حيث وصل إلىٰ الأندلس سنة (٣٤٩هـ) فأمر المستنصر بالله بإنزاله، وتوسّع له في العطاء وأثبته في ديوان قريش[٣].

وكذلك محمد بن أحمد بن إبراهيم الشافعي البغدادي - من بغداد الذي سمع الحديث من أبي القاسم البغوي وغيره - فقد وصل إلىٰ الأندلس سنة (٣٦١هـ) فأكرمه أمير المؤمنين المستنصر، وأمر بإجراء النُّزُل عليه[٤].

ومن هؤلاء أيضًا عبد الملك بن محمد بن عبد الملك المعروف

---

(١) ترتيب المدارك ٤/ ٢٣٨.
(٢) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٢٢، ٢٢٣.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٨٠٦، ٨٠٧.
(٤) المصدر السابق ٢/ ٨٠٤.

بالسليماني - من أهل المقدس - قدم الأندلس نحو سنة (٣٦٠هـ)، فتوسع له المستنصر بالله وأجرىٰ عليه العطاء مع قريش، قال ابن الفرضي: كتبنا عنه جزءًا من حديثه[(١)].

ومثله عبد الله بن عمر بن أحمد القيسي الشافعي من أهل بغداد، الذي قدم الأندلس في المحرم سنة (٣٤٧هـ)، وكان قد كتب الحديث عن جماعة منهم: عبد الله ابن أبي داود السجستاني - فقد أنزله الحكم وتوسع له في الجراية، ولم يزل يؤلف له إلىٰ أن مات سنة (٣٦٠هـ) بقرطبة[(٢)]، وغيرهم كثير[(٣)].

(١) المصدر السابق ١/ ٤٦٧.

(٢) المصدر السابق ١/ ٤٣٣ - ٤٣٥.

(٣) يُلاحظ هنا أن أكثر الرحلات كانت في النصف الأخير من القرن الرابع، ويظهر أن الأندلس قد اكتسبت شهرةً علميةً في ذلك الحين، كما يبدو أن الحكم المستنصر كان ينفق علىٰ العلماء بسخاء.

المبحث الثالث
اهتمام الدولة
بأماكن التدريس وكتب الحديث

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:

اهتمامها بأماكن التدريس.

المطلب الثاني:

اهتمامها بكتب الحديث.

المطلب الأول
اهتمامها بأماكن التدريس

لقد أوْلَت الدولة أماكن التدريس عناية فائقة، سواء بالاهتمام ببنائها، أو تفقدها، أو بالنفقة عليها، أو بجلب المدرسين إليها، كشأن خلفاء الدولة الإسلامية - غالبًا - في كل زمان ومكان[(١)]؛ إذ ليس الغرض من بناء المساجد إقامة الصلاة فحسب، بل إن هنالك أدوارًا متعددة يمثل المسجد منطلقها الأول، ومصدرها الأقوىٰ، ومن أهمها جانب التعليم، فقد كانت المساجد منذ بداية إنشائها في عهد النبي ﷺ مكانًا رحبًا للتعليم والتدريس[(٢)].

ولذا فقد اهتم أمراء الأندلس بأماكن التدريس - خصوصًا المساجد - فهذا جامع قرطبة الكبير، الذي تتابع عليه الأمراء والخلفاء بدءًا من عبد الرحمن الداخل الذين وضع اللبنة الأولىٰ فيه، حتىٰ غدا من أكبر مساجد الدنيا، والذي كان يرتاده العلماء والطلاب من شتىٰ بقاع المعمورة، وكذا في جميع مساجد الأندلس.

ولم يقتصر الاهتمام علىٰ بناء المساجد فحسب، بل قام الحكم

---

(١) لأن حكام الدولة الإسلامية هم من أفراد المجتمع، والمجتمع المهتم بالعلم يكون حكامه في الغالب من العلماء أو المهتمين بالعلم، أو علىٰ أقل تقدير ممن تزوّدوا بقسطٍ منه، كما مرّ سابقًا في المبحث الأول. **وانظر**: الحياة العلمية في مدينة بلنسية ص (١٧٩).

(٢) **يُراجَع عن المسجد ودوره**: محمود عبد الحليم: المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي، وأحمد شلبي: التربية الإسلامية ص (١٠٢)، ومحمد غنيمة: تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرىٰ ص (٣٠)، وناجي معروف: مدارس قبل النظامية ص (٨).

المستنصر (ت٣٦٦هـ) بإقامة سبعة وعشرين مكتبًا لتعليم الأطفال القرآن وغيره[١]، ومنها علوم السُّنَّة كما سيأتي قريبًا.

كما كانوا يتولّون التعيين في هذه المدراس بما يحقق مصالح تلك المدراس، فقد ذكر ابن عبد البر عن أحمد بن خالد بن يزيد القرطبي (ت٣٢٢هـ) - وقد كان إمام وقته غير مدافع في الفقه والحديث والعبادة - حيث «عزُم عليه آخرًا في الانتقال إلىٰ الجامع بأمر أمير المؤمنين، بما لم يجد منه بدًا، وعمارته بنشر العلم بعد موت محمد ابن لبابة، فأجاب إلىٰ ذلك بعد إبايةٍ شديدةٍ»[٢].

كما لم تتدخل الدولة تدخلًا مباشرًا في فرض مناهج معينة يلتزم بها الطالب، بل كانت في كثير من الأحيان تشجع علىٰ التدريس في أي كتابٍ كان من كتب الحديث، حتىٰ ولو خالف العرف السائد بين العلماء والطلاب[٣]... كما حدث لبقي بن مخلد عند تدريسه ل «مسند ابن أبي شيبة» في القصة المتقدمة[٤].

(١) البيان المغرب ٢/ ٢٤٠، **وانظر**: قرطبة في العصر الإسلامي ص (١٨٧).

(٢) ترتيب المدارك ٥/ ١٧٥.

(٣) **انظر**: موسوعة التاريخ الإسلامي ١/ ٥٣، وتاريخ التربية الإسلامية ص (٢١٢)، وشيوخ العصر في الأندلس ص (٥)، وابن عبد البر الأندلسي وجهوده في التاريخ ص (٨٤).

(٤) في المبحث السابق.

المطلب الثاني
اهتمامها بكتب الحديث

كما اهتمت الدولة بكتب الحديث أيضًا، ومكنت لها في قرطبة وغيرها من مدن الأندلس، سواء بنسخها لمكتباتها الخاصة، أو باستجلابها من المشرق والمدن الأخرىٰ، أو بجعلها منهاجًا لها ولعلمائها وطلابها.

ومن أهم كتب الحديث التي دخلت الأندلس علىٰ الإطلاق هو «الموطأ» للإمام مالك بن أنس؛ إذ من المعلوم أن الدولة في الأندلس كانت تتبنىٰ مذهب مالك بعد أن انحسر مدُّ المذهب الأوزاعي، الذي عاش فترة محدودة في البداية.

ويعزو الدارسون سبب انتشار المذهب المالكي إلىٰ هشام بن عبد الرحمن (ت١٨٠هـ)، وابنه الحكم (ت٢٠٦هـ)، حيث دخل «الموطأ» الأندلس في عهدهما - كما سيأتي بيانه بالتفصيل - فهما اللذان ساعدا علىٰ انتشار «الموطأ» في الأندلس[(١)].

قال ابن حزم: «مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان: مذهب أبي حنيفة، فإنه لما وُلّي قضاء القضاة أبو يوسف، كانت القضاة من قِبَلِه، فكان لا يُولِّي قضاء البلاد من أقصىٰ المشرق إلىٰ أقصىٰ أعمال إفريقية إلا أصحابه والمنتمين إلىٰ مذهبه. ومذهب مالك بن أنس عندنا،

(١) انظر: تاريخ التعليم في الأندلس ص (٨٤).

فإن يحيىٰ بن يحيىٰ كان مكينًا عند السلطان، مقبول القول في القضاة، فكان لا يلي قاضٍ في أقطارنا إلا بمشورته واختياره، ولا يشير إلا بأصحابه، ومن كان علىٰ مذهبه، والناس سراع إلىٰ الدنيا والرياسة فأقبلوا علىٰ ما يرجون بلوغ أغراضهم به»[(١)].

لذا فقد اهتم أمراء الأندلس «بالموطأ» وأولوه عناية فائقة تدريسًا وشرحًا وحفظًا... إلخ.

كما كان الأمراء يهتمون باستنساخ كتب الحديث وإيداعها خزاناتهم ومكتباتهم الخاصة كما مرّ في قصة بقي بن مخلد، حيث استنسخ الأمير محمد بن عبد الرحمن (ت٢٦٣هـ) «مصنف ابن أبي شيبة»، **وقال لخازن الكتب:** هذا كتاب لا تستغني خزانتنا عنه، فانظر في نسخهِ لنا[(٢)].

وكذا الحال في جمع الكتب الحديثية وتأليفها بأمرهم، فهذا الحكم المستنصر يأمر يعيش بن سعيد بن محمد الوراق بتأليف مسند حديث أبي بكر محمد بن معاوية القرشي - المعروف بابن الأحمر - الذي أخذ عنه حديثه، وكان من أروىٰ الناس عنه[(٣)].

وألّف محمد بن أحمد بن يحيىٰ بن مفرج القاضي مسند حديث قاسم بن أصبغ للحكم المستنصر[(٤)].

---

(١) جذوة المقتبس ٢/ ٦١٠، ٦١١.
(٢) جذوة المقتبس ١/ ٤٠.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٦١٦، والأعلام ٨/ ٢٠٦.
(٤) جذوة المقتبس ١/ ٧٦.

كما ألّف خالد بن سعد القرطبي - أمثل أهل وقته في الحديث - كتابًا في رجال الأندلس للحكم المستنصر بالله، وهو أحد مصادر ابن الفرضي في كتابه «تاريخ علماء الأندلس»[(١)].

كما ألّف أبو محمد قاسم بن أصبغ رَحِمَهُ ٱللَّهُ «المجتنىٰ في السنن المسندة» وهو مصنف علىٰ أبواب الفقه، ألفه لأمير المؤمنين الحكم المستنصر[(٢)].

كما اهتمّ الأمراء باستجلاب الكتب - ومنها كتب الحديث - من أمصار ومدن المشرق، كما قال صاعد الطبقي (ت٤٦٦هـ): «ثم لما مضىٰ صدر من المائة الرابعة، انتدب الأمير الحكم المستنصر بالله ابن عبد الرحمن الناصر لدين الله، وذلك في أيام أبيه، إلىٰ العناية بالعلوم، وإيثار أهلها، واستجلب من بغداد ومصر وغيرهما من ديار المشرق، عيون التواليف الجليلة، والمصنفات الغريبة في العلوم القديمة والحديثة، وجمع فيها في بقية أيام أبيه، ثم في مدة ملكه من بعده، ما كاد يضاهي ما جمعته ملوك بني العباس في الأزمان الطويلة وتهيأ له ذلك بفرط محبته للعلم، وبُعد همته في اكتساب الفضائل، وسموّ نفسه إلىٰ التشبه بأهل الحكمة من الملوك»[(٣)].

---

(١) انظر منه ١/ ٢٤٠. **وانظر**: جذوة المقتبس ١/ ٣١٩.

(٢) الفهرست ص (١٢٥).

(٣) طبقات الأمم ص (١٦٢، ١٦٣).

الباب الثاني

أشهر المحدثين بقرطبة،
وبيان جهودهم العلمية والتربوية

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول:

التعريف بأشهر المحدثين في قرطبة.

الفصل الثاني:

جهود المحدثين العلمية.

الفصل الثالث:

جهود المحدثين التربوية وعلاقاتهم مع طلابهم.

الفصل الأول

التعريف بأشهر المحدثين في قرطبة

توطئة

لما قام جيش الفتح الإسلامي الظافر بالهجوم علىٰ الأندلس، تحت إمرة موسىٰ بن نصير وقيادة طارق بن زياد، كان عدد الجيش الذي دخل به تلك البلاد قادمًا من المغرب (سبعة آلاف) علىٰ أقل تقدير[(١)] وكان فيهم العرب والبربر والموالي، بيد أن الغالبية العظمىٰ كانوا من غير العرب[(٢)].

وكان ضمن هؤلاء الفاتحين عدد من التابعين، بل وصحابيٌّ واحد هو (المنيذر الأسلمي المذْحَجي)[(٣)] إن صحت الرواية بدخوله.

لكن هذه الرواية تفرد بها عبد الملك بن حبيب ولم يتابعه عليها غيره، قال المقري: وزعم ابن حبيب: أنه دخل الأندلس رجل واحد من أصغر الصحابة، وهو المنيذر[(٤)].

---

(١) وهو الرأي الأقل في عدد جيش الفتح كما في أخبار مجموعة ص (١٧). **وانظر**: في تاريخ المغرب والأندلس ص (٥٦).
وفي بعض الروايات أنه كان نحو ثلاثمائة من العرب وزهاء عشرة آلاف من البربر. **انظر**: نفح الطيب ١/ ٢٣٣.

(٢) **انظر**: نفح الطيب ١/ ٢٣٣.

(٣) **هو**: صحابي دون شك، لكنه من صغارهم، وقد نصّ علىٰ صحبته جمهور أهل العلم، منهم: البخاري وعبد الملك بن حبيب، وأبو علي ابن السكن، وابن قانع، وابن عبد البر، وأبو جعفر أحمد بن رشدين، وابن بشكوال، والحجاري، وابن الأبار، وابن يونس، وابن حجر وغيرهم. **انظر**: الاستيعاب ص (٧٠٨، ٧٠٩)، والإصابة ٦/ ٢٢٧، ونفح الطيب ١/ ٢٧٩ و٣/ ٥.

(٤) نفح الطيب ١/ ٢٧٧.

والذي يظهر - والله أعلم - أنه لم يدخل الأندلس، بل استقر في إفريقية ولم يتجاوزها، حتىٰ لقد نسب إليها، فسمي المنيذر الإفريقي، كما سماه ابن عبد البر في «الاستيعاب»[(١)].

وقد استبعد هذا الخبر ابن الأبار في «التكملة» حيث قال بعد نقله لكلام ابن حبيب: ولم يذكره أحد غيره[(٢)].

وقال الحافظُ ابنُ حجر: ولم يُتابع عبدُ الملك علىٰ ذلك، فإنه لم يتجاوز إفريقية[(٣)].

أما التابعون فقد دخل الأندلس منهم جماعة، اختلف العلماء في عددهم:

فجاء عن عبد الملك بن حبيب قوله: «دخلها من التابعين ثلاثة: موسىٰ الأمير، وعلي بن رباح اللخمي، وحيوة بن رجاء التميمي، وقيل: إن ثالثهم إنما هو حنش بن عبد الله الصنعاني، صنعاء الشام...»[(٤)]. وجاء عنه أيضًا أنهم عشرون رجلًا سوىٰ من لا يُعرف[(٥)].

قال المقَّري: وقيل: إن التابعين أربعة بأبي عبد الرحمن الحُبلي الأنصاري، واسمه عبد الله بن يزيد، والله أعلم، وخمّسهم بعضهم

---

(١) انظر: ص٧٠٨.
(٢) انظر: نفح الطيب ٣/ ٥.
(٣) الإصابة ٦/ ٢٢٨.
(٤) نفح الطيب ١/ ٢٧٨.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٨٨.

بحبان بن أبي جبلة مولىٰ بني عبد الدار...[١].

وذكر ابن سعيد أسماءهم فبلغ بهم ستة عشر رجلًا[٢].

وفي كتاب ابن بشكوال أنه دخل الأندلس من التابعين ثمانية وعشرون رجلًا، وهم أسسوا قبلة المسجد الجامع بقرطبة[٣].

لكن المقَّري عاد بعد أن ذكر أسماء بعض هؤلاء التابعين **فقال:** وقد عرفتَ بما ذكرناه التابعين الداخلين الأندلس، علىٰ أن التحقيق أنهم لم يبلغوا ذلك العدد، وإنما هم نحو خمسة أو أربعة، كما ألمعنا به في غير هذا الموضع[٤].

والمسألة فيها خلافٌ طويل الذيل بين النقلة، إنْ في أسمائهم، أو في أعدادهم، أو في بقائهم بالأندلس بعد الفتح من عدمه، والله أعلم.

ولما توطّد للناس الملك في الأندلس، اتخذوا قرطبة دارًا للإمارة منذ البداية، وبالتحديد سنة (٩٥هـ) أو قبلها بقليل[٥].

وذاع هذا الفتح العظيم وما تبعه من غنائم كثيرة جدًا في الأمصار، إضافة إلىٰ حاجة تلك البلاد إلىٰ دخول المسلمين إليها واستيطانهم فيها بعد جلاء أهلها عنها، فأخذ الناس يتواردون إليها من فجاج

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٢٧٨.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٨٨.

(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٨٨. **وانظر**: رياض النفوس ١/ ١٢١ فما بعد.

(٤) المصدر نفسه ٣/ ١٢، والموضع الذي أشار إليه هو ١/ ٢٧٨ من الكتاب نفسه.

(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٣٤.

الأرض، لا سيما من بلاد المغرب المجاورة لهم، وكان في هؤلاء الداخلين العلماء والنبهاء وغيرهم من ذوي المعرفة والخبرة، وهم كثيرون جدًا، حتىٰ إن ابن الفرضي كان يفرد لهم بابًا علىٰ كل حرف من حروف المعجم في كتابه «تاريخ علماء الأندلس» بعد أن يستوفي ذكر من يريد ذكره من أهل الأندلس الأصليين.

قال المقَّري: «اعلم أن الداخلين للأندلس من المشرق قوم كثيرون لا تُحصر الأعيان منهم، فضلًا عن غيرهم، ومنهم من اتخذها وطنًا، وصيّرها سكنًا، إلىٰ أن وافته منيته، ومنهم من عاد إلىٰ المشرق بعد أن قضيت بالأندلس أمنيته»[(١)].

وقد برز من بين هؤلاء القادمين ومن ذرياتهم فيما بعد، وممن أتىٰ بعدهم كذلك، من اشتغل بطلب الحديث وسماع المرويات، وتقييد الأخبار حتىٰ صلب عوده، واشتدت قناته، فصار أهلًا للتصدر والتدريس والفتيا ونفع الطلاب، وساهم مساهمة عظيمة في بناء ملامح «مدرسة الحديث بقرطبة».

وقد اخترتُ من هؤلاء الحفاظ نماذج قليلة، وترجمت لهم بإيجاز، مع التركيز في الترجمة علىٰ مكانتهم العلمية بعامة، والحديثية علىٰ وجه الخصوص.

كما حاولتُ أن أختار منهم أمثلة من جميع الطبقات، ابتداءً من

---

(١) المصدر نفسه ٣/ ٥.

القرن الأول إلىٰ نهاية القرن الرابع الهجري، مرتبًا إياهم علىٰ السنين حسب وفياتهم، حتىٰ تشمل النماذج أغلب الفترة الزمنية المحددة للبحث.

وأودّ أن أشير هنا إلىٰ أن هؤلاء الحفاظ الذين اخترتهم ليسوا هم كل حفاظ ذلك العصر، بل إن هناك من يساميهم في هذه المنزلة، وهم كثير، وإنما أردتُ التمثيل فقط.

كما أن بعضهم قد قصر همَّه علىٰ جانب معين من علوم الحديث كنقد الرجال أو العلل أو حفظ المتون... إلخ، اشتغل بتدريسه ونشره، حتىٰ لا يكاد يُعرف إلا به بين حفاظ الحديث، وهذا لا يخرجه عن دائرة مشاهير الحفاظ، وإن كانت شهرته مقيَّدة بلون خاص من الفنّ.

زياد بن عبد الرحمن شبطون (ت٢٠٤هـ)

نسبه وولادته:

هو زياد بن عبد الرحمن بن زهير بن ناشرة بن لودَان بن يحيىٰ بن أحطب بن الحارث بن وائل اللخمي[(١)].

قيل: إنه من ولد حاطب بن أبي بلتعة، يكنىٰ أبا عبد الله، ويعرف بشبطون، وهو لقبٌ له[(٢)].

وهو من أهل قرطبة، ولم يعرف تاريخ ولادته، ولم تذكر المصادر عن ذلك شيئًا.

منزلته وصفاته:

هو فقيه الأندلس في وقته ومفتيها علىٰ مذهب مالك بن أنس، والحافظ المتقن الجامع بين الزهد والورع، وأول من أدخل الأندلس فقه مالك وموطأه[(٣)]. قال عنه الذهبي: كان إمامًا، عالمًا، ورعًا، ناسكًا، مهيبًا، كبير الشأن[(٤)].

---

(١) هكذا جاء في ترتيب المدارك ٣/ ١١٦. وفي بغية الملتمس ١/ ٣٧٢ لوذان - بالذال المعجمة - بن حيي بن أخطب بن عبد ربه بن عمرو بن الحارث بن وائل بن راشدة بن جديلة بن لخم بن عدي، وقريبًا منه في جذوة المقتبس ١/ ٣٣٨، وفي البغية والجذوة وتاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٧٩ وسير أعلام النبلاء ٩/ ٣١٢ زيادة: زياد بن عبد الرحمن، بعد زياد بن عبد الرحمن الأولىٰ.

(٢) جذوة المقتبس ١/ ٣٣٨.

(٣) **انظر**: ترتيب المدارك ٣/ ١١٧، ونفح الطيب ٢/ ٤٥، وشجرة النور الزكية ١/ ٦٣.

(٤) سير أعلام النبلاء ٩/ ٣١٢.

وقال عنه تلميذه وصنيعة يده يحيىٰ بن يحيىٰ الليثي: زياد أول من أدخل الأندلس علم السنن، ومسائل الحلال والحرام، ووجوه الفقه والأحكام، وهو أول من عرف بالسنة في تحويل الأردية في الاستسقاء[١].

وقال الشيرازي: كان أهل المدينة يسمون زيادًا فقيه الأندلس[٢].

ومع هذا الفقه والعلم فقد كان زياد واحد زمانه زهدًا وورعًا ونسكًا، **قال الأمير هشام بن عبد الرحمن** (ت١٨٠هـ): بلوت الناس فما رأيت رجلًا يكتم من الزهد أكثر مما يظهر إلا زيادًا[٣]. ثم إن الأمير هشام راوده علىٰ القضاء فأبىٰ عليه، وخرج هاربًا بنفسه، فقال هشام: ليت الناس كلهم مثل زياد، حتىٰ أُكفىٰ أهل الرغبة في الدنيا، ثم أمّنه، فرجع إلىٰ قرطبة[٤].

وذكر أنه لما ألحَّ عليه هشام في القضاء قال لوزرائه الذين أشاروا به: أما إذا عزمتم فأخبركم بما أبدأ به، عليّ المشي إلىٰ مكة إن ولّيتموني إن جاءني أحد متظلمًا منكم إلا أخرجت من أيديكم ما يدعيه، ورددته عليه، وكلفتكم البينة؛ لما أعرف من ظلمكم، فتركوه فأُعفي[٥].

---

(١) ترتيب المدارك ٣/ ١١٧.

(٢) المصدر نفسه ٣/ ١١٧.

(٣) المصدر نفسه ٣/ ١١٨، وتاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٨٠.

(٤) المصدر نفسه ٣/ ١١٨، وتاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٨٠، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٣١٢، وجذوة المقتبس ١/ ٣٣٨، وبغية الملتمس ١/ ٣٧١.

(٥) ترتيب المدارك ٣/ ١١٨، ١١٩.

وقيل: بل قال للوزراء: «أما إن أكرهتموني علىٰ القضاء فزوجتي فلانة طالق ثلاثًا، لئن أتاني مدّع في شيءٍ مما في أيديكم، لأخرجنّه عنكم، ثم أجعلكم مدّعين فيه» فلما سمعوا منه ذلك علموا صدقه، فتكلموا عند الأمير في معافاته[١].

ومن ذلك أنه كان إذا بعث معاوية بن صالح القاضي شيئًا - وكان أبا زوجته - إلىٰ داره، لم يأكل شيئًا منه[٢].

وقال يحيىٰ بن يحيىٰ: كان زياد واحد زمانه زهدًا وورعًا؛ وأتاه هشام ليلًا في خاصته، فقرع عليه الباب، فخرج فزعًا، ففتح له وسلم عليه، وسأله عن سبب مجيئه، فقال: طلب التفرُّد بك، وهذا مال طيب - وأشار إلىٰ مال يحمله الفتىٰ - أردت التزلّف به، فأتيتك به لتضعه حيث تراه.

فقال له زياد: تجد من هو أقوم لك بذلك، وأعرف بأهله، وسمىٰ له قومًا من صلحاء الناس.

فأبىٰ هشام إلا إياه، فلم يقدر عليه، إلىٰ أن حلف ألا يفعل، فاستحياه هشام، وخرج بماله وهو يقول: اللهم أعنِّي علىٰ طاعتك بمثل هذا[٣].

رحلاته وشيوخه:

رحل زياد شبطون إلىٰ البلدان وطوّف الأمصار طلبًا للحديث

---

(١) نفح الطيب ٢/ ٤٥.

(٢) ترتيب المدارك ٣/ ١١٨.

(٣) المصدر نفسه ٣/ ١٢٠.

والعلم، فرحل إلىٰ مكة والمدينة ومصر وغيرها، وأخذ عن جمع كبير من العلماء من أشهرهم الإمام مالك إمام دار الهجرة، الذي رحل إليه زياد وسمع منه «الموطأ»، وله عنه كتاب في الفتوىٰ معروف بسماع زياد[(١)].

ومن شيوخه:

معاوية بن صالح القاضي، وعبد الله بن عقبة، والليث بن سعد، وسليمان بن بلال، وعبد الله بن عبد الرحمن، وعبد الرحمن بن أبي الزناد، وعبد الله بن عمر العمري، ويحيىٰ بن أيوب، وأبو معشر، وموسىٰ بن علي بن رباح، ومحمد بن عبد الله بن عبيد الليثي، والقاسم بن عبد الله، وإسماعيل بن داود، وهارون بن عبد الله، ومحمد بن أبي سلمة العمري، وأبو معمر بن عباد بن عبد الصمد صاحب أنس، وعبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة، وابن أبي داود، وسفيان بن عيينة، وعمر بن قيس، وابن أبي حازم[(٢)].

طلابه ومؤلفاته:

كان زياد شبطون صاحب مدرسة عظيمة في الفقه والحديث، خلفت مدرسة الأوزاعي في الأندلس، فهو «أول من أدخل الأندلس فقه مالك ابن أنس، وكانوا قبل ذلك علىٰ مذهب الأوزاعي»[(٣)].

---

(١) **انظر**: المصدر نفسه ٣/ ١١٧، والديباج المذهب ص (١١٨)، وشجرة النور الزكية ١/ ٦٣.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٨٠، وترتيب المدارك ٣/ ١١٦.

(٣) ترتيب المدارك ٣/ ١١٧، وبغية الملتمس ١/ ٣٧٢، وجذوة المقتبس ١/ ٣٣٨، =

ولا شك أن هذه الشخصية سيكون لها طلاب وأتباع يحملون هذا النهج العلمي من بعدُ، كما حصل بالفعل بعد ذلك، حيث تحولت الأندلس إلىٰ منهج دراسي آخر ونمط علمي مختلف هو علم مالك وفقهه.

ولو لم يكن لزياد من التلاميذ سوىٰ يحيىٰ بن يحيىٰ الليثي حامل علم المالكية من بعده، لكفاه ذلك، فقد كان يحيىٰ تلميذًا ملازمًا لشيخه، بارًا به، حافظًا لحقه، اهتم به شيخه، واعتنىٰ به، وأسمعه موطأ مالك بعد عودته من رحلته، بل أشار عليه ألا يكتفي بذلك السماع منه، وإنما لا بد أن يرحل ليسمعه من مالك مباشرة بدون واسطة، ففعل[(١)].

وقد ذكر يحيىٰ ما يدل علىٰ تقديره لشيخه وحفظه لحرمته وحقه عليه، فقد قال: عرضت سماع زياد علىٰ ابن نافع وابن القاسم، فرد عليّ ابن القاسم منه مسألة، وقال لي: كذب زياد علىٰ مالك، وما سمع منه هذا قط، فأخذت الكتاب وطويته وأدخلته كمي، فقال: اقرأ. فقلت: زياد أجلُّ في نفسي من أن أُعرِّضه مثل هذا، فاحتشم ابن القاسم، وقال لي: اقرأ، فوالله لا عدُّت لمثلها أبدًا، فقرأتُ[(٢)].

ولم يذكر له المترجمون سوىٰ كتابين فقط:

أحدهما: سماعه الذي دوّنه عن مالك، ويبدو أنه كان علىٰ نمط

=

والديباج المذهب ص (١١٨)، وشجرة النور الزكية ص (٦٣).

(١) **انظر**: ترتيب المدارك ٣/ ١١٦، وتاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٨٠.

(٢) ترتيب المدارك ٣/ ١٢١.

مسائل كما في القصة الآنفة الذكر[(١)]، وقد اشتهر حتىٰ صار يعرف باسمه[(٢)].

والثاني: كتاب الجامع. **قال ابن عتاب:** وهو كتاب غريب يشتمل علىٰ علم كثير[(٣)].

وفاتـــه:

برغم شُهرة زياد شبطون، إلا أن المؤرخين قد اختلفوا في تحديد سنة وفاته، فمنهم من قال: توفي سنة (١٩٣هـ)، ومنهم من قال (١٩٤هـ)، ومنهم من قال: (١٩٩هـ)، ومنهم من قال: (٢٠٤هـ)، والأخير هو قول أبي محمد ابن حزم الظاهري، وهو الذي حكاه ابن الفرضي، وسكت عمّا عداه من الأقوال، ومال إلىٰ ترجيحه المقّري في نفح الطيب[(٤)].

(١) وقد جاء في سماع عبد الرحمن بن القاسم: سمعت زيادًا فقيه أهل الأندلس، وهو يسأل مالكًا. بغية الملتمس ١/ ٣٧٢، وجذوة المقتبس ١/ ٣٣٨. كما قال صاحب شجرة النور الزكية: وله عنه كتاب في الفتوىٰ معروف بسماع زياد (١/ ٦٣).

(٢) ترتيب المدارك ٣/ ١٢١، ونفح الطيب ٢/ ٤٥، والديباج المذهب ص (١١٨).

(٣) ترتيب المدارك ٣/ ١٢١.

(٤) **انظر**: تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٨٠، وجذوة المقتبس ١/ ٣٣٨، ونفح الطيب ٢/ ٤٥، وشذرات الذهب ١/ ٣٣٩.

يحيى بن يحيى الليثي (ت٢٣٤هـ)

نسبه وولادته:

هو يحيىٰ بن يحيىٰ بن كثير بن وِسْلاس - وقيل: وِسْلاسن - بن شملل - وقيل: شملال أو شمّالِ - بن منقايا الليثي القرطبي.

أصله من البربر، من قبيلة يقال لها: مصمودة، تولىٰ بني ليث فنسب إليهم، وجده كثير هو الذي دخل الأندلس[(١)].

وقد ولد يحيىٰ سنة (١٥٢هـ)[(٢)].

طلبه للعلم:

كان يحيىٰ من الطلاب النابهين الحريصين علىٰ مجالسة العلماء والنَّهل من معينهم، والتأدب بآدابهم، وكان سبب طلبه للعلم، أنه كان يمر بزياد شبطون، وهو يحدث أصحابه، فيميل إليه، ويقعد عنده، فأعجب ذلك زيادًا، وأدناه يومًا، وقال له: يا بني! إن كنت عازمًا علىٰ التعلّم، فخذ من شعرك وأصلح زيك - وكان بزي الخِدْمة - ففعل يحيىٰ ذلك، فسرّ به زياد، واجتهد في تعليمه حتىٰ برع تلاميذه[(٣)].

وقد سمع لأول أمره موطأ مالك علىٰ شيخه زياد، وسمع من يحيىٰ بن مضر، ثم قال له زياد بعد مدة: إن الرجال الذين حملنا العلم عنهم

---

(١) **انظر**: تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٩٨، وجذوة المقتبس ٢/ ٦٠٩، ووفيات الأعيان ٦/ ١٣٤، والسير ١٠/ ٥١٩.

(٢) السير ١٠/ ٥١٩.

(٣) ترتيب المدارك ٣/ ٣٨٠.

باقون، وعجزٌ بك أن تروي عمن دونهم، فخرج يحيىٰ بعد أن استسلف زياد له مالًا إذ رغب عن مال أبيه ومضىٰ فحج وسمع مالكًا والليث[(١)].

وقد كان حريصًا في رحلته علىٰ جمع العلم، ضنينًا بوقته، لم يضيِّع شيئًا منه، بل كان كل همه السماع والاستكثار منه، والحرص علىٰ مجالس العلم والدرس.

ذُكر عنه أنه كان عند مالك بن أنس في جملة من أصحابه، إذ قال قائل: قد حضر الفيل! فخرج أصحاب مالك كلهم لينظروا إليه، فقال له مالك: ما لَك لم تخرج فتراه، إذ ليس بأرض الأندلس؟

فقال له يحيىٰ: إنما جئت من بلدي لأنظر إليك، وأتعلم من هديك وعلمك، لا إلىٰ النظر إلىٰ الفيل! فأعجب به مالك، وسماه عاقل الأندلس، ولم يزل بعد مكرمًا له[(٢)].

ولقد حكىٰ هو عن نفسه شدة اهتمامه بوقته وحرصه عليه، يوم أن كان بمصر، حيث قال: لقد تُقت إلىٰ النساء أيامي مع ابن القاسم بمصر، فاشتريت جارية بها، فوالله ما رأيت لها وجهًا نهارًا، طولَ ما أقامت عندي، حتىٰ بعتها، اشتغالًا بابن القاسم وعلمه، وكان ابن القاسم موضع ذلك وأهله في ورعه وإمامته[(٣)].

---

(١) **انظر**: المصدر نفسه ٣/ ٣٨٠.

(٢) **انظر**: جذوة المقتبس ٢/ ٦٠٩، ٦١٠، وبغية الملتمس ٢/ ٦٨٥، وترتيب المدارك ٣/ ٣٨٢، ٣٨٣، ونفح الطيب ٢/ ٩، والسير ١٠/ ٥٢١، وبستان المحدثين ص (٢٤) وفيه تعليق لطيف.

(٣) ترتيب المدارك ٣/ ٣٨٦، ٣٨٧.

رحلاته وشيوخه:

أخذ يحيىٰ بن يحيىٰ العلم عن أكابر علماء بلده، من أمثال زياد بن عبد الرحمن شبطون، معلّمه الأول، الذي سمع عليه «موطأ مالك»، ويحيىٰ بن مضر، وطائفة[(١)].

ولم تقتصر همة يحيىٰ بن يحيىٰ علىٰ تلقي العلم عن علماء بلده فحسب، بل تجاوزت به إلىٰ خارج حدود بلده، حيث رحل إلىٰ المشرق رحلتين، أولاهما وهو ابن ثمانية وعشرين عامًا، حيث قابل الإمام مالك بن أنس وسمع منه «الموطأ» غير ثلاثة أبوابٍ من كتاب الاعتكاف شك في سماعها، فأثبت روايته فيها عن زياد شبطون شيخه بقرطبة، ثم رحل إلىٰ مكة وسمع من سفيان بن عيينة، وإلىٰ مصر حيث سمع من الليث بن سعد، ومن عبد الله بن وهب «موطأه» و«جامعه»، ومن ابن القاسم العتقي، ومن القاسم بن عبد الله العمري، ومن أنس بن عياض الليثي، ويقال: إنه أدرك نافع بن أبي نعيم مقرئ المدينة، وأخذ عنه، وهذا بعيد، فإن نافعًا مات قبل مالك بعشر سنين، قاله الذهبي[(٢)].

وقد لازم ابن وهب وابن القاسم، فلما رأىٰ الأخير قد دوّن سماعه من مالك، نشط للرجوع إلىٰ مالك ليسمع منه المسائل التي كان ابن القاسم دونها عنه، فرحل رحلة ثانية، فألفىٰ مالكًا عليلًا، فأقام عنده

---

(١) **انظر**: السير ١٠/ ٥٢٠، وتهذيب التهذيب ١١/ ٣٠١.

(٢) لكن جزم ابن الفرضي بسماعه منه. **انظر**: تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٩٨، والسير ١٠/ ٥٢٠.

إلىٰ أن توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وحضر جنازته[١].

ثم عاد بعد ذلك إلىٰ الأندلس ودخل قرطبة بعلم عظيم، وانتهت إليه الرياسة بها[٢].

منزلته وصفاته:

كان يحيىٰ بن يحيىٰ علىٰ جانب عظيم من الفقه والذكاء والحفظ وحسن الهدي والسمت والرزانة والورع، والرجوع إلىٰ الحق والثبات عليه، حتىٰ ولو خالف المذهب.

فقد كان موضع مشورةٍ وَعيبةَ نصحٍ لأمراء البيت الأموي يرجعون إلىٰ قوله في تنصيب القضاة، ويفيئون إلىٰ رأيه في تولّي المناصب الدينية، وقد ألّح عليه الأمير عبد الرحمن بن الحكم بتولّي القضاء فأبىٰ عليه ذلك، ورضي أن يكون مستشارًا في أحكام القضاة وتصرّفاتهم[٣].

قال محمد بن عمر بن لبابة: فقيه الأندلس عيسىٰ بن دينار، وعالمها عبد الملك بن حبيب، وعاقلها يحيىٰ بن يحيىٰ[٤].

وقال الشيرازي: إليه انتهت الرئاسة بالأندلس في العلم، وكان مالك يعجبه سمت يحيىٰ وعقله[٥].

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٩٩، ووفيات الأعيان ٦/ ١٤٥، والسير ١٠/ ٥٢٠.

(٢) وفيات الأعيان ٦/ ١٤٤، والانتقاء ص٥٩، والمغرب ١/ ١٦٥.

(٣) **انظر**: ترتيب المدارك ٣/ ٣٨٢.

(٤) ترتيب المدارك ٣/ ٣٨٢، وتهذيب التهذيب ١١/ ٣٠١، ووفيات الأعيان ٦/ ١٤٥.

(٥) ترتيب المدارك ٣/ ٣٨٢، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١/ ١٥٢.

وقال إبراهيم بن محمد بن باز: والله الذي لا إله إلا هو، ما رأيت أوقر من يحيىٰ بن يحيىٰ قط، ما رأيته يبصق ولا يسعل في مجلسه، ولا يتحرك عن حاله، وكان أخذ بزيِّ مالك وسَمْتِه[(١)].

وقال ابن عبد البر: كان إمام أهل بلده، والمُقتدىٰ به فيهم، والمنظورُ إليه، والمعوَّل عليه، وكان ثقة عاقلًا حسن الهدي والسمت، كان يشبّه في سمته بسمت مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولم يكن له بَصَرٌ بالحديث[(٢)].

وتعقّبه الحافظ الذهبي بقوله: قلت: نعم، ما كان من فرسان هذا الشأن، بل كان متوسِّطًا فيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)].

قلتُ: لعل ذلك بسبب ما وقع في «الموطأ» من روايته من التصحيف في المتون، فقد ذهب إبراهيم بن محمد بن باز إلىٰ أنه غلط فيه في نحوٍ من ثلاثمائة موضع! لكن ردّ هذا أحمد بن خالد القرطبي وقال: لا، ولا هذا كله، الذي صحّ من ذلك نحو ثلاثين موضعًا.

وقال يعلىٰ بن سعيد: حصّل محمد بن وضاح ذلك الغلط كلّه فأصابه ستة وثلاثين موضعًا.

قال محمد بن الحارث الخشني: قرأت تلك المواضع كلها في كتاب محمد بن عبد الملك بن أيمن، وإنما هي في الإسناد، ليس في

---

(١) ترتيب المدارك ٣/ ٣٨٣.
(٢) الانتقاء ص (٦٠).
(٣) السير ١٠/ ٥٢٣.

متون الأحاديث... ثم ذكرها[١].

وقد خالف إمام مذهبه في مسائل من العلم، منها: أنه كان لا يرىٰ القنوت في الصبح ولا في سائر الصلوات، ومنها: أنه لم ير القضاء والحكم باليمين مع الشاهد، ومنها: القضاء برأي أمينين إذا لم يوجد في أهل الزوجين حكمان يصلحان لذلك[٢].

وعلىٰ كل حال «فلم يُعط أحد من أهل العلم بالأندلس، منذ دخلها الإسلام من الحظوة وعظم القدر وجلالة الذكر، ما أعطيه يحيىٰ بن يحيىٰ»[٣].

تلاميذه ومؤلفاته:

لقد ذاع ذكر يحيىٰ بن يحيىٰ في الأندلس، وشاع اسمه في أمصارها بعد عودته من رحلته، فأقبل عليه طلاب الحديث من كل حدب وصوب لأخذ «الموطأ» عنه بسماعه، وروايته عنه، خصوصًا بعد ثناء مالك علىٰ علمه وعقله، وقد تتلمذ علىٰ يديه مشاهير المحدثين في الأندلس من أمثال بقي بن مخلد ومحمد بن وضاح، وقد سمع عليه غيرهما مثل: ولديه عبيد الله وإسحاق، ومحمد بن العباس بن الوليد، وصباح بن عبد الرحمن العتقي، وإبراهيم بن قاسم بن هلال، وإبراهيم

---

(١) **انظر**: أخبار الفقهاء والمحدثين ص (٣٤٩) فما بعد.

(٢) **انظر**: الانتقاء ص (٥٩، ٦٠)، وتاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٩٩، والسير ١٠/ ٥٢٢. وسيأتي الكلام علىٰ هذه المسألة في المبحث الأول من الفصل الثاني.

(٣) ترتيب المدارك ٣/ ٣٨٢، من كلام أحمد بن خالد القرطبي.

بن محمد بن باز، وأصبغ بن خليل، بل وشيخه زياد بن محمد شبطون[١].

وأما مؤلفاته:

فلم يكن ليحيىٰ بن يحيىٰ مؤلفات بالمعنىٰ المعروف، لكنه روىٰ بعض الكتب التي اشتهرت من طريقه حتىٰ أضيفت إليه، وأشهرها «موطأ مالك بن أنس» الذي اشتهر عن طريقه أكثر من غيره، مع كثرة من روىٰ «الموطأ» عن مالك. **قال المقري:** وروايته الموطأ مشهورة، حتىٰ إن أهل المشرق الآن يسندون الموطأ من روايته كثيرًا، مع تعدد رواة الموطأ[٢].

وقال أبو القاسم محمد بن حسين الشافعي: الموطآت المعروفة عن مالك أحد عشر، معناها متقارب، والمستعمل منها أربعة: موطأ يحيىٰ بن يحيىٰ، وابن بكير، وأبي مصعب، وابن وهب، ثم ضعف الاستعمال إلا في موطأ يحيىٰ، ثم موطأ ابن بكير[٣].

وقد سمعه من مالك بتمامه سوىٰ ثلاثة أبوابٍ من كتاب الاعتكاف شك في سماعها، فأثبت روايته فيها عن زياد[٤].

---

(١) **انظر**: بغية الملتمس ٢/ ٦٨٦، والمغرب ١/ ١٦٤، ١٦٥، وجذوة المقتبس ٢/ ٦١٠، وتهذيب التهذيب ١١/ ٣٠١.

(٢) نفح الطيب ٢/ ٩.

(٣) الموطآت للإمام مالك ص (٩١).

(٤) أخبار الفقهاء والمحدثين ص٣٤٨، وتاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٩٨، والسير ١٠/ ٥٢٠، ونفح الطيب ٢/ ٩.

كما حمل يحيىٰ بن يحيىٰ عن ابن القاسم عشرةَ كتبٍ؛ سؤالاتٍ ومسائل[(١)].

وفاتـــه:

اختلف العلماء في سنة وفاته، فقيل: سنة (٢٣٣هـ)، وقيل: (٢٣٤هـ)، والثاني أرجح[(٢)].

(١) السير ١٠/ ٥٢٠.

(٢) **انظر**: تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٩٠٠، وترتيب المدارك ٣/ ٣٩٣، والعبر ١/ ٣٣٠، وشجرة النور ١/ ٦٤، وشذرات الذهب ٢/ ٨٢. وقد أسهب الخشني في ترجمته في نحو عشرين صفحة من كتابه: أخبار الفقهاء والمحدثين ص٣٤٨ - ٣٦٧ فراجعْه إن شئت.

عبد الملك بن حبيب القرطبي (ت٢٣٨هـ)

نسبه وولادته:

هو عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جاهمة بن عباس بن مرداس السلمي القرطبي، يكنىٰ أبا مروان[(١)].

قيل: إنه من موالي بني سليم، وقيل: من أنفسهم[(٢)].

ولد في حياة الإمام مالك بعد السبعين ومائة، وبالتحديد سنة (١٧٤هـ)[(٣)].

نزل بلدة ألبيرة، فلما سمع به عبد الرحمن بن الحكم وبلغه سمّوه في العلم نقله إلىٰ قرطبة[(٤)].

رحلاته وشيوخه:

أخذ عبد الملك العلم عن علماء بلده المشاهير كصعصعة بن سلاّم، والغازي بن قيس، وزياد بن عبد الرحمن شبطون[(٥)]، حتىٰ

---

(١) وفي نسبه بعد حبيبٍ خلافٌ يسيرٌ. **انظر**: تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٥٩، وترتيب المدارك ٤/ ١٢٢، والسير ١٢/ ١٠٢.

(٢) ترتيب المدارك ٤/ ١٢٢.

(٣) السير ١٢/ ١٠٢. قال ابن الفرضي: مات وهو ابن أربع وستين. تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٦٣ فتكون ولادته إذًا سنة (١٧٤هـ).

(٤) ترتيب المدارك ٤/ ١٢٣.

(٥) ترتيب المدارك ٤/ ١٢٣، والديباج المذهب ص (١٥٤). وقد تصحّف العدد في المصدر الأول إلىٰ عشر، وهذا لا يمكن فأنّىٰ له أن يجمع علمًا عظيمًا - كما ورد في المصدر - خلال سنتين! ربما كانتا مدة الذهاب والعودة، لا سيما مع قول الذهبي: ثم ارتحل في حدود سنة عشر ومئتين، وحج... إلخ كما في السير ١٢/ ١٠٣.

تمكّن في العلم وبرّز فيه، ثم رحل عن الأندلس سنة (٢٠٨هـ)، وقيل: سنة (٢٠٧هـ) فدخل مكة حاجًا ومصر وغيرها، ثم انصرف إلىٰ الأندلس ودخل قرطبة سنة (٢١٦هـ) وقد جمع علمًا عظيمًا وفقهًا كثيرًا[(١)].

ويلاحظ أن مدة الرحلة لم تطل كثيرًا، لكن الرجل كان آية في الذكاء والحفظ وسرعة الاستيعاب، كما شهد له معاصروه، كما أنه لم يكن يضيع شيئًا من وقته أثناء رحلته - فيما يظهر - ولا أدلّ علىٰ ذلك من قول ابن أبي مريم: «كان ابن حبيب عندنا نازلًا بمصر، وما كنت رأيت أدوم منه علىٰ الكتاب، دخلت عليه في القائلة في شدة الحر... إلخ[(٢)].

ومن شيوخه الذين أخذ عنهم في المشرق:

عبد الملك بن الماجشون، ومطرف بن عبد الله اليساري، وأسد بن موسىٰ، (أسد السنة)، وأصبغ بن الفرج، وإبراهيم بن المنذر الحزامي، وابن أبي أويس، وعبد الله بن عبد الحكم، وعبيد الله بن موسىٰ الكوفي، وعلي بن جعفر، وعدة من أصحاب مالك والليث[(٣)].

مكانته وما تحومل عليه به:

اختلف الناس في عبد الملك بن حبيب من حيث حفظه وإتقانه للحديث، بين مادح وذام، ومخطّئ ومصوِّب، شأن كثير من كبار

---

(١) **انظر**: ترتيب المدارك ٤/ ١٢٣، والسير ١٢/ ١٠٣، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٣٧.

(٢) **انظر**: ترتيب المدارك ٤/ ١٣٠.

(٣) ترتيب المدارك ٤/ ١٢٣، وتاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٥٩، والسير ١٢/ ١٠٣.

العلماء الذين اختلف فيهم الرأي وتعددت فيهم الأقوال.

وسوف أذكر ثناء العلماء عليه، ثم أعرّج علىٰ الأشياء التي أخذت عليه، معقّبًا وموجهًا.

قال ابن لبابة: عبد الملك عالم الأندلس[١].

وقال أحمد بن عبد البر: كان جماعًا للعلم، كثير الكتب، طويل اللسان، فقيه البدن، نحويًا، عروضيًا، شاعرًا، نسابة، أخباريًا[٢]. وقال أيضًا: ابن حبيب أول من أظهر الحديث بالأندلس[٣].

وذكر الزبيري أنه نُعي إلىٰ سحنون، فاسترجع، وقال: مات عالم الأندلس، بل - والله - عالم الدنيا، وبهذا يرد ما روي عنه من خلاف هذا[٤].

وقال الفتح بن خاقان: «خلدت منه الأندلس فقيهًا عالمًا، أعاد مجاهل جهلها معالمًا، وأقام فيها للعلوم سوقًا نافقة، ونشر منها ألوية خافقة... وتصرف في فنون العلوم، وعرف كل معلوم، وسمع بالأندلس وتفقه، حتىٰ صار أعلم من بها وأفقه...»[٥].

وقال عنه الذهبي: الإمام العلاّمة فقيه الأندلس...[٦].

---

(١) ترتيب المدارك ٤/ ١٢٣، والديباج المذهب ص (١٥٤).
(٢) ترتيب المدارك ٤/ ١٢٤.
(٣) السير ١٢/ ١٠٦.
(٤) المصدر نفسه ٤/ ١٢٥.
(٥) مطمح الأنفس ص (٢٣٣، ٢٣٤).
(٦) السير ١٢/ ١٠٢.

وقال أيضًا عن الأندلس ومدنها: فتحت في أيام الوليد بن عبد الملك، وجُلب العلم إليها، لكن اشتهر بها العلم والحديث في المئة الثالثة بابن حبيب ويحيىٰ بن يحيىٰ وأصحابهما...[١].

وبكلٍّ، فالأقوال فيه أكثر من أن تحصر، بيد أن بعض العلماء قد أخذوا عليه أمورًا من حيث الصناعة الحديثية، لا تسقطه عن رتبة المحدثين، ولا تنزله عن جماعتهم، **من ذلك ما قاله ابن الفرضي:** لم يكن لعبد الملك بن حبيب علم بالحديث، ولا كان يعرف صحيحه من سقيمه[٢].

وقال ابن القطان: لم يُهدَ في الحديث لرشدٍ، ولا حصل منه علىٰ شيخٍ مفلحٍ[٣].

ومنها **قول ابن حزم:** ليس بثقة[٤].

وقال أيضًا: روايته ساقطة مُطَّرحة[٥].

ومنها: أنه كان يتساهل، وأن أكثر ما يحمله علىٰ سبيل الإجازة[٦].

قال ابن وضاح: قال لي إبراهيم بن المنذر الجذامي: أتاني صاحبكم الأندلسي عبد الملك بن حبيب بغرارة مملوءة كتبًا، فقال لي: هذا

---

(١) الأمصار ذوات الآثار ص١٨٦.
(٢) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٦٠. **وانظر:** نفح الطيب ٢/ ٨.
(٣) لسان الميزان ٤/ ٦٠.
(٤) ميزان الاعتدال ٢/ ٦٥٢.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٦٥٣.
(٦) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٦٠.

علمك تجيزه لي؟ فقلت له: نعم، ما قرأ منه حرفًا، ولا قرأته عليه[١].

وقال الفتح بن خاقان: لم يكن له علم بالحديث يعرف به صحيحه من معتلّه، ولا يفرق بين مستقيمه ومختله، وكان غرضه الإجازة، وأكثر رواياته غير مستجازة[٢].

وقال الذهبي: كان موصوفًا بالحذق في الفقه، كبير الشأن، بعيد الصيت، كثير التصانيف، إلا أنه في باب الرواية ليس بمتقن، بل يحمل الحديث تهورًا كيف اتفق، وينقله وجادة وإجازة، ولا يتعانىٰ تحرير أصحاب الحديث[٣].

وقال أيضًا: لم يكن بالمتقن للحديث، ويقنع بالمناولة[٤].

وقال الحافظ أبو بكر بن سيد الناس: في «تاريخ» أحمد بن سعيد الصدفي توهية عبد الملك بن حبيب، وأنه صحفي لا يدري الحديث، قال أبو بكر: وضعّفه غير واحد، ثم قال: وبعضهم اتّهمه بالكذب[٥].

وقال أحمد بن سعيد الصدفي: وكان يُطعن عليه بكثرة الكتب، وذكر أنه كان يستجيز الأخذ بلا رواية ولا مقابلة، وأنه أخذ بالإجازة كثيرًا. قال: وأشير إليه بالكذب، سمعت أحمد بن خالد يطعن عليه بذلك،

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٤٦٠، ونفح الطيب ٢/ ٨.
(٢) مطمح الأنفس ص (٢٣٦).
(٣) السير ١٢/ ١٠٣.
(٤) تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٣٧.
(٥) ميزان الاعتدال ٢/ ٦٥٢، وتهذيب التهذيب ٦/ ٣٩١.

ويتنقّصه غير مرة، وقال: ظهر كذبه في الواضحة في غير شيء[١].

وقال ابن العماد: وهو في الحديث ليس بحجة[٢].

ومما سبق يتضح أن الرجل متكلَّمٌ فيه من ثلاث جهات:

١- من جهة عدم معرفته بالحديث وتمييز صحيحه من سقيمه.

٢- من جهة التساهل في الرواية، فإنه يتحمل الحديث كيفما اتفق، إجازةً أو وجادة أو غيرها، ويعتمد علىٰ الكتب دون ضبط ولا مقابلة لها.

٣- أنه ضعيف بل متهم بالكذب.

وإنصافًا للرجل وتحقيقًا للحق، أقول: إن الرجل لم يكن محدثًا علىٰ رسم المحدثين الذين يهتمون بعرض الكتب علىٰ الشيوخ، ومقابلة النسخ وضبطها، والعناية بالنكت الإسنادية، والعالي والنازل، وتحرير الأسماء والألقاب والأنساب، ونحو ذلك.

وإنما كان فقيهًا غايتُه المتنُ وفقهُه وليس الإسناد ونكته.

أما قولهم بعدم معرفة الرجل للحديث وتمييز صحيحه من سقيمه، فقد أجاب عنه المقري - في الرد علىٰ الفتح - **فقال:** «أما ما ذكره من عدم معرفته بالحديث فهو غير مسلّم، وقد نقل عنه غير واحد من جهابذة المحدثين، نعم لأهل الأندلس غرائب لم يعرفها كثير من المحدثين، حتىٰ إن في «شفاء» عياض أحاديث لم يعرف أهل المشرق النقاد مخرجها، مع اعترافهم بجلالة حفاظ الأندلس الذين نقلوها

---

(١) السير ١٢/ ١٠٥.

(٢) شذرات الذهب ٢/ ٩٠.

كبقي بن مخلد، وابن حبيب وغيرهما علىٰ ما هو معلوم[١].

أضف إلىٰ ذلك أن الرجل عُدَّ عالم الأندلس وفقيهها، والفقيه غالب صناعته إنما تقوم علىٰ معرفة الأحاديث المقبولة، صحيحة كانت أم حسنة، ورد الأحاديث الضعيفة المطّرحة، لا سيما ما يستدل به المخالفون، فبعيد أن يكون ابن حبيب علىٰ غير دراية بهذا.

أما قولهم: إنه متساهل في التحمل بالإجازة ونحوها، ويعتمد في ذلك علىٰ الكتب والصحف، فهذا صحيح، وقد وقع في تصحيفات في الأسماء وأغلاط في المتون بسبب هذا.

قال الذهبي عنه: لا ريب أنه كان صحفيًا وأما التعمّد فكلّا[٢].

وقال ابن حجر بعد نقله كلام ابن سيد الناس المتقدم: قلت: هذا أعدل ما قيل فيه، فلعله كان يحدث من كتب غيره فيغلط[٣].

وقال في «التقريب»[٤]: صدوق ضعيف الحفظ كثير الغلط.

وأما تحمله بالإجازة من أسد بن موسىٰ وغيره، فذلك علىٰ مذهب من يرىٰ الإجازة، وهو مذهب كثير من المحدثين لا سيما المتأخرين. «قال الأئمة: إقرار أسد بهذا هي الإجازة بعينها إذا كان قد دفع له كتبه، كفىٰ أن يرويها عنه، علىٰ مذهب جماعة من السلف»[٥].

---

(١) نفح الطيب ٢/ ٨.
(٢) السير ١٢/ ١٠٦.
(٣) تهذيب التهذيب ٦/ ٣٩١.
(٤) ص (٣٦٢).
(٥) تهذيب التهذيب ٦/ ٣٩١.

وقال المقَّري: وأما ما ذكره - يعني الفتح بن خاقان - عنه في الإجازة بما في الغرارة، فذلك علىٰ مذهب من يرىٰ الإجازة، وهو مذهب مستفيض، واعتراض من اعترض عليه إنما هو بناء علىٰ القول بمنع الإجازة، فاعلم ذلك[(١)].

وأما نبزُه بأنه ضعيف متهم بالكذب، فذلك مردود بالجملة. وقد ذهب إلىٰ هذا ابن حزم ولم يُسبق إليه، بل أضرَّ نفسه بالكلام فيه، وأيُّ وزنٍ لكلام رجل ضعيف في علم الرجال، جهّل الثقات ووثّق المجاهيل، قد اعتمد في جلّ نقده علىٰ كتاب الساجي في الرجال.

ومن قبل هذا ومن بعده فهو متعقَّبٌ بكلام الحفاظ، فقد تعقبه الحفاظ النقدة، وردّوا قوله فيه، **قال الذهبي:** وممن ضعف ابنَ حبيب أبو محمد بن حزم، ولا ريب أنه كان صَحفيًا، أما التعمّد فكلّا[(٢)].

وقال أيضًا بعد حكاية كلام ابن حزم فيه: قلتُ: الرجل أجلُّ من ذلك، لكنه يغلط[(٣)].

وقال ابن حجر: وقد أفحش ابنُ حزم القول فيه، ونسبه إلىٰ الكذب، وتعقبه جماعة، بأنه لم يسبقه أحد إلىٰ رميه بالكذب[(٤)].

---

(١) نفح الطيب ٢/ ٨، وسيأتي مزيد بسط لهذه المسألة في المطلب الأول من المبحث الثالث في الفصل الثاني من هذا الباب.

(٢) السير ١٢/ ١٠٦.

(٣) ميزان الاعتدال ٢/ ٦٥٣.

(٤) تهذيب التهذيب ٦/ ٣٩١.

زِدْ علىٰ هذا أن بقي بن مخلد ومحمد بن وضاح - شيخي الأندلس في الحديث - قد رويا عنه، ولا يرويان إلا عن ثقة عندهما[١].

وقد أثنىٰ ابنُ حزم علىٰ بقيّ بن مخلد في «رسالته في فضل الأندلس»[٢]، وبقيٌّ أعلم من ابن حزم بابن حبيب؛ لأنه شيخه.

والسبب الذي حدا بهؤلاء إلىٰ الطعن فيه، هو ما ذكره أحمد بن عبد البر: من أنه كان لا يفهم طرق الحديث ويصحّف الأسماء، ويحتج بالمناكير، فكان أهلُ زمانه ينسبونه إلىٰ الكذب ولا يرضونه[٣].

وهو راجع إلىٰ السبب الثاني، وقد تقدم الكلام عليه.

وقد ردَّ علىٰ هؤلاء أيضًا القاضي المنذر بن سعيد البلوطي فقال: لو لم يكن من فضل عبد الملك إلا أنك لا تجد أحدًا ممن تُحكىٰ عنه معارضته والرد لقوله ساواه في شيء. وأكثر ما تجد أحدهم يقول: كذب عبد الملك وأخطأ، ثم لا يأتي بدليل علىٰ ما ذكره[٤].

وخلاصة القول: فالرجل إمام في الفقه، حافظ صدوق، له أوهام في الحديث.

طلابه ومؤلفاته:

لقد تتلمذ علىٰ عبد الملك الكثير من الطلاب، وفي جميع الفنون

---

(١) المصدر نفسه ٦/ ٣٩١.

(٢) **انظر**: رسائل ابن حزم ٢/ ١٨٧.

(٣) السير ١٢/ ١٠٦.

(٤) ترتيب المدارك ٤/ ١٣١.

فقد كان عالمًا متفننًا، جمّاعَ فوائد، وقد اشتهر بهذا حتىٰ في أثناء رحلته إلىٰ مصر، فإنه لما حط رحله بها، ولقي الناس شاع خبره، فقصد إليه كل ذي علم يسأله عن فنه، وهو يجيبه جواب متحقق، فعجبوا من ثبوت علمه(١).

ولما عاد من رحلته، وتسامع الناس به، أقبلوا عليه من كل مكان ليقتبسوا من علمه، حتىٰ **قال المغامي**: لو رأيتَ ما كان علىٰ باب ابن حبيب، لازدريتَ غيره(٢).

وكان إذا خرج من الجامع يتبعه نحو الثلاثمائة، بين طالب حديث، وفرائض، وفقه، وإعراب(٣)، «وقد رتب الدول عليه كل يوم ثلاثين دولة (نوبة)، لا يقرأ فيها عليه شيء، إلا تواليفه وموطأ مالك»(٤).

ومن أبرز هؤلاء الطلاب الذين أخذوا عنه الحديث والعلوم: ابناه، محمد وعبد الله، وسعيد بن نمير، وأحمد بن راشد، وإبراهيم بن خالد، وإبراهيم بن شعيب، ومحمد بن فطيس، ومطرف بن قيس، وبقي بن مخلد، وابن وضاح، والمغامي في جماعة(٥).

---

(١) **انظر**: ترتيب المدارك ٤/ ١٢٦.
(٢) ترتيب المدارك ٤/ ١٢٥.
(٣) المصدر السابق ٤/ ١٢٤.
(٤) المصدر السابق ٤/ ١٢٤، والديباج المذهب ص (١٥٤).
(٥) ترتيب المدارك ٣/ ١٢٣، وتهذيب التهذيب ٦/ ٣٩٠، والديباج المذهب ص (١٥٤).

وأما مؤلفاته:

فهي كثيرة جدًا، وقد ذكرت ما يتعلق بالحديث وعلومه في الفصل الثاني الخاص بالمؤلفات. وأذكر هنا بعض تلك المؤلفات في الفنون الأخرىٰ فمنها:

- كتاب في التاريخ[(١)].
- حروب الإسلام.
- المسجدين.
- سيرة الإمام في الملحدين.
- طبقات الفقهاء والتابعين.
- إعراب القرآن.
- الفرائض.

وغيرها، حتىٰ قيل إنه ألّف مائةً وخمسين كتابًا[(٢)].

وفاتــه:

توفّي عبد الملك بن حبيب في يوم السبت الرابع من رمضان سنة (٢٣٨هـ)، وهو ابن أربع وستين سنة، وقيل يوم السبت الثاني عشر

---

(١) وهو مخطوط في المكتبة البودلية في أكسفورد. **انظر**: وصفه في تاريخ الفكر الأندلسي ص (١٩٤).
وقد نشر ما يتعلق بالأندلس منه: د. محمود مكي في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ١٩٥٧م، المجلد الخامس ص (٢٢٢).

(٢) انظر فيما مرّ: ترتيب المدارك ٤/ ١٢٧ - ١٢٩، إنباه الرواة ٢/ ٢٠٦، والسير ١٢/ ١٠٣، ١٠٤.

من ذي الحجة سنة (٢٣٩هـ) وهو ابن ثلاث وخمسين سنة. وكانت علته التي مات منها هي الحصاة[١].

(١) **انظر**: تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٦٢، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٣٧، وجذوة المقتبس ٢/ ٤٤٨.

بَقِيُّ بن مَخْلَد القرطبي (ت٢٧٦هـ)

نسبه وولادته:

هو بَقِيُّ بن مَخْلَد بن يزيد القرطبي، أبو عبد الرحمن[١].

ولد في حدود سنة (٢٠٠هـ) أو قبلها بقليل كما يرىٰ الذهبي[٢]، وقيل: سنة (٢٠١هـ) وقيل: سنة (٢٠٢هـ) وقيل غير ذلك[٣].

رحلاته وشيوخه:

بدأ بقيّ طلب العلم علىٰ شيوخ بلده، كما هو السائد بين الطلاب في كل زمان، فأخذ عن يحيىٰ بن يحيىٰ الليثي، ومحمد بن عيسىٰ الأعشىٰ وغيرهم، وبعد أن لَقِن الشيء الكثير، وصَلُب عوده، آثر أن يترحّل لطلب الحديث من علماء الأمصار في المشرق، فكانت له رحلتان: الأولىٰ بدأت وهو في العقد الثالث من عمره، أي في سنة (٢٢٤هـ) تقريبًا، كما تدل عليه وفيات شيوخه الذين لقيهم في المشرق[٤]، وقد استغرقت رحلته هذه نحو العشرين عامًا كما قال الحميدي[٥]، أخذ

---

(١) هكذا جاء نسبه عند أكثر من ترجم له، ولم يزيدوا علىٰ هذا شيئًا. وبعضهم اقتصر علىٰ اسمه واسم أبيه وكنيته فقط. **انظر**: الإمام أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد ١/ ٧٣ فما بعد.

(٢) السير ١٣/ ٢٨٥.

(٣) انظر بقية الأقوال في: الإمام أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد ١/ ٨٠ فما بعد.

(٤) **انظر**: بقي بن مخلد ومقدمة مسنده ص (٣٦).

(٥) نقل ذلك عنه ياقوت الحموي. **انظر**: معجم الأدباء ٢/ ٧٤٧، وقد بحثتُ عن قوله هذا في جذوة المقتبس فلم أجده.

فيها عن كبار المحدثين بالمشرق، ثم عاد إلىٰ الأندلس في حدود عام (٢٤٤هـ) تقريبًا، حيث مكث برهة من الزمن، لا تعرف بالتحديد، ثم رحل رحلته الثانية، التي استمرت نحو الأربعة عشر عامًا[١].

وقد كان يطوف في الأمصار علىٰ أهل الحديث، فإذا أتىٰ وقت الحج أتىٰ إلىٰ مكة فحج، هذا كان فعله كل عام في رحلتيه جميعًا[٢]، ثم عاد إلىٰ الأندلس بعد رحلته الثانية، وهناك أدركته منيته[٣].

أما بخصوص الأمصار التي دخلها في رحلتيه، فهي كثيرة، وقد ذكر أحمد بن محمد بن عبد البر تلك الأمصار **فقال:** «حمل عن أهل الحرمين، ومصر، والشام، والجزيرة، وحلوان، والبصرة، والكوفة، وواسط، وبغداد، وخراسان... وعدن والقيروان»[٤].

وقد تعقبه الذهبي في ذكره خراسان **فقال:** «كذا قال، فغلِط، لم يصل إلىٰ خراسان، بل ولا إلىٰ همذان، وما أدري هل دخل الجزيرة أم لا؟ ويظهر ذلك لمن تأمل شيوخه» ثم قال تعقيبًا علىٰ ذكره عدن: «وما دخل الرجل إلىٰ اليمن»[٥].

وهذا الذي صنعه بقي أمر عجيب، وعمل جليل، فقد سلخ من

---

(١) معجم الأدباء ٢/ ٧٤٧.
(٢) معجم الأدباء ٢/ ٧٤٧، ٧٤٨.
(٣) جذوة المقتبس ١/ ٢٧٥.
(٤) نقله عنه الذهبي في السير ١٣/ ٢٩٠.
(٥) المصدر نفسه ١٣/ ٢٩٠.

عمره نحوًا من أربع وثلاثين سنة، ترحّل فيها لطلب الحديث قاطعًا الفيافي والوهاد، لتحصيل الروايات وملاقاة الأشياخ.

وقد حصل له غرائب وعجائب في رحلتيه حكاها عن نفسه فيما بعد، من ذلك مثلًا مجيئه إلىٰ الإمام أحمد بن حنبل كل يوم في زيّ السوَّال ليكتب عنه الحديث والحديثين والثلاثة أيام محنته، حتىٰ عرف الإمام له فضل بلائه بعد المحنة، فكان يقول لأصحابه بعد المحنة: هذا يقع عليه اسم طلب العلم، ثم يقص عليهم قصته معه، فكان بعد يناوله الحديث مناولة، ويقرآن علىٰ بعضهما الحديث، ويعوده ويكرمه، ويدنيه من مجلسه[(١)].

ومن هذا أنه قاسىٰ في رحلتيه المصاعب الجمة فيما يتعلّق بالنفقة والمعيشة، حتىٰ «إنه قال يومًا لطلبته: أنتم تطلبون العلم، أهكذا يطلب العلم؟ إنما أحدكم إذا لم يكن عليه شغل يقول: أمضي أسمع العلم، إني لأعرف رجلًا تمضي عليه الأيام في وقت طلبه للعلم، لا يكون له عيش إلا من ورق الكرنب الذي يلقيه الناس، وإني لأعرف رجلًا باع سراويله غير مرة في شرىٰ كاغد حتىٰ يسوق الله عليه من حيث يخلفها[(٢)].

---

(١) **انظر**: أخبار الفقهاء والمحدثين ص (٤٩) فما بعد، والسير ١٣/ ٢٩٢ - ٢٩٤، والمنهج الأحمد ١/ ٢٥٩ - ٢٦١.

وهي حكاية مشهورة، لكن تعقبّها الذهبي بأنها منكرة.

(٢) معجم الأدباء ٢/ ٧٤٨، ٧٤٩. وهو يقصد نفسه بهذا الكلام فيما يظهر.

أما شيوخه الذين أخذ عنهم العلم في رحلته فهم كثر، **قال ابن الفرضي:** أخبرني أبو محمد عبد الله بن علي الباجي، عن عبد الله بن يونس - راوية بقي بن مخلد -: أن عدة الرجال الذين لقيهم بقي، وسمع منهم: مائتا رجل وأربعة وثمانون رجلًا[(١)].

وقد ذكر من ترجم لبقي نيفًا وستين شيخًا، تراوحت سني وفياتهم ما بين سنة (٢٢٧هـ) إلىٰ سنة (٢٧٦هـ)[(٢)] **منهم:** إبراهيم بن محمد الشافعي، صاحب ابن عيينة، وأبو المصعب الزهري، وإبراهيم بن المنذر الحزامي، ويحيىٰ بن عبد الله بن بكير صاحب مالك، وهشام بن عمار، ومحمد بن بشار بندار، وعبد الله بن أبي شيبة، وأحمد بن حنبل، ويحيىٰ بن معين، وزهير بن حرب، ومحمد بن أبي عمر العدني وغيرهم[(٣)].

مكانته ومنزلته:

لقد كان بقي بن مخلد ملء سمع الدنيا وبصرها، ليس في الأندلس

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٦٩، ١٧٠. **وانظر:** معجم الأدباء ٢/ ٧٤٨.

(٢) **انظر:** الإمام أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد ١/ ١٨٩ - ١٩٣.

(٣) انظر ثَبَتًا بأسماء شيوخه في: تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٦٩، والصلة ١/ ١٩٥، ومعجم الأدباء ٢/ ٧٤٦، وجذوة المقتبس ١/ ٢٧٤، والسير ١٣/ ٢٨٥، ونفح الطيب ٢/ ٥١٨، علىٰ تفاوتٍ بينهم، وقد ذكر الدكتور أكرم العمري أسماء من وقف عليهم في هذه الكتب فبلغوا (٦٢) شيخًا. **انظر:** بقي بن مخلد ومقدمة مسنده ص (٤٢ - ٤٥)، وذكرهم الدكتور نوري معمّر فبلغ بهم (٢٦٤) شيخًا. **انظر:** الإمام أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد ١/ ١٧٦ - ١٨٨.

والمغرب فحسب بل وفي المشرق أيضًا، فقد سارت بذكره الركبان وتناقل الناس أخباره ومآثره وحمدوا سيرته وطريقته، ولعل ذلك يرجع إلىٰ أمور: منها تلك الرحلتان الطويلتان اللتان مكث خلالهما طويلًا في المشرق بحيث أكسبتاه شهرة وذيوعًا.

ومنها: ثناء الإمام أحمد بن حنبل عليه، وتقديمه إياه في مجالسه، وعيادته له في مرضه.

ومنها: مؤلفاته الكبيرة المحرَّرة كالمسند والتفسير وغيرهما.

ومنها: صلاحه وورعه، واجتنابه المناصب، وما يشغل عن العلم والعبادة.

قال قاسم بن أصبغ: خرجت من الأندلس ولم أرو عن بقي شيئًا، فلما دخلت العراق وغيره من البلدان سمعت من فضائله وتعظيمه ما أندمني علىٰ ترك الرواية عنه، وقلت: إذا رجعت لزمته حتىٰ أروي جميع ما عنده، فأتانا نعيه ونحن بأطرابلس[(١)].

وقد أثنىٰ عليه جميع العلماء بدءًا من الإمام أحمد بن حنبل، ولم يثلبه أحد، سوىٰ بعض المتعصبين من أهل بلده، بسبب إدخاله بعض ما يعكر مذهبهم المالكي من الكتب كما سيأتي.

قال أحمد بن حنبل: هذا يقع عليه اسم طلب العلم[(٢)].

وقال أحمد بن أبي خيثمة فيه: ما كنا نسميه إلا المكنسة، وهل

---

(١) معجم الأدباء ٢/ ٧٤٨.

(٢) المنهج الأحمد ١/ ٢٦٠.

احتاج بلد فيه بقي أن يأتي إلىٰ ها هنا منه أحد[١].

وقال عنه ابن حزم مفاخرًا أهل المشرق: وإذا سمينا بقي بن مخلد لم نسابق به إلا محمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج النيسابوري، وسليمان بن الأشعث السجستاني، وأحمد بن شعيب النسائي[٢].

وقال الحميدي: من حفاظ المحدثين وأئمة الدين، والزهّاد الصالحين[٣].

وقال الذهبي: الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، الحافظ[٤].

وقال أيضًا: كان إمامًا مجتهدًا صالحًا ربانيًا صادقًا مخلصًا، رأسًا في العلم والعمل، عديم المثل، منقطع القرين، يفتي بالأثر، ولا يقلّد أحدًا[٥].

وقال المقّري: «.. الأحق بالسبق والتقدم.. الحافظ أحد الأعلام»[٦].

محنته مع علماء عصره:

لم يسلم بقي بن مخلد - بعد عودته من رحلته الأولىٰ - من حاسد يدس عليه عند الأمراء، أو شانئ يبغض منه ما يبثه من آراء، ولعل ذلك

---

(١) معجم الأدباء ٢/ ٧٤٨، وتاريخ علماء الأندلس ١/ ١٧٠.
(٢) رسالة في فضل الأندلس، ضمن رسائل ابن حزم ٢/ ١٨٧.
(٣) جذوة المقتبس ١/ ٢٧٤.
(٤) السير ١٣/ ٢٨٥.
(٥) المصدر نفسه ١٣/ ٢٨٦.
(٦) نفح الطيب ٢/ ٥١٨.

يعود إلىٰ أن بقيًا لم يكن ملتزمًا مذهب مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفروع بل كان يفتي بمقتضىٰ الدليل، وبما أداه إليه اجتهاده، فقد ظل بقي مجتهدًا لم يقلِّد أحدًا من العلماء، شأنه شأن شيخه أحمد بن حنبل وغيره من أعلام المحدثين، كما نبه علىٰ هذا ابن حزم والحافظ الذهبي[(١)].

زِدْ علىٰ ذلك أن بقيًّا أدخل الأندلس كتبًا كثيرة في الحديث والفقه والاختلاف وغرائب الحديث، حصّلها إبّان رحلته، لم يعهدها علماء تلك الناحية من قبل، بل كانوا يجهلون أكثرها بسبب انصرافهم إلىٰ مذهب مالك دون غيره، إضافة إلىٰ أنه انفرد بإدخال بعض تلك الكتب التي لم يشركه فيها أحد سواه، مثل «مصنف ابن أبي شيبة»، فقد أدخله بتمامه، وكذلك كتاب «الأم» للإمام الشافعي وغيرها من الكتب، التي تشتمل علىٰ خلاف ما ذهب إليه الإمام مالك، مما يعكر علىٰ هؤلاء الفقهاء ما يتطلعون إليه من جمع أهل الأندلس كلهم علىٰ مذهب فقهي واحد لا ينازعه شيء.

لذا فقد قام عليه جملة من الفقهاء، وأنكروا عليه رواية هذه الكتب وإسماعها، بل تمادوا في ذلك حتىٰ «عقدوا عليه الشهادات، وبدّعوه، ونسبوا إليه الزندقة، وأغروا به السلطان، وأخافوه به»[(٢)].

ولكنَّ الله أراد لبقي الخير، حيث هيّأ له الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (ت٢٧٣هـ) الذي كان محبًا للعلوم، مؤثرًا لأهل الحديث،

---

(١) انظر: معجم الأدباء ٢/ ٧٤٧، وعنه الذهبي في السير ١٣/ ٢٩١.

(٢) انظر: السير ١٣/ ٢٨٧ و٢٩٠، ٢٩١، وتاريخ علماء الأندلس ١/ ١٧٠.

فلما حصل ما حصل لبقي واتّصل به الخبر، استحضره وإياهم في مجلس واحد، واستحضر الكتاب سبب المشكلة وهو «مصنف ابن أبي شيبة»، وأخذ يتصفحه جزءًا جزءًا حتىٰ أتىٰ علىٰ آخره، والقوم واجمون ينتظرون ما يتفوّه به، ظنًا منهم أنه يوافقهم علىٰ الإنكار، فما هو إلا أن قال لخازن كتبه: هذا الكتاب لا تستغني عنه خزانتنا، فانظر في نسخه لنا، ثم قال لبقي: انشر علمك، وارو ما عندك من الحديث، واجلس للناس ينتفعوا بك. ثم نهىٰ القوم أن يتعرَّضوا له[(١)].

قال ابن الفرضي معقبًا علىٰ هذه القصة: ثم إن الله بمنّه وفضله أظهره عليهم، وعصمه منهم، فنشر حديثه، وقرأ للناس روايته، فمن يومئذ انتشر الحديث بالأندلس، ثم تلاه ابن وضاح، فصارت الأندلس دار حديث وإسناد، وإنما كان الغالب عليها قبل ذلك حفظ رأي مالك وأصحابه[(٢)].

تلاميذه ومؤلفاته:

لم تزد بقيًا تلك المحنة التي تعرض لها مع علماء عصره إلا شهرةً وذيوعًا بين طلاب العلم بقرطبة وخارجها، فأقبل عليه الطلاب ينهلون

---

(١) انظر القصة في: السير ١٣/ ٢٨٨، ونفح الطيب ٢/ ٥١٩، والبيان المغرب ٢/ ١٠٩، والمقتبس ص (٢٤٧) تحقيق د. محمود علي مكي. وقد تقدمت القصة بأتمّ من هذا في الباب الأول، الفصل الثالث.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٧٠، ١٧١. ولزيادة الفائدة يُنظر بقي بن مخلد ومقدمة مسنده ص (٥٣، ٥٤) ففيه فوائد زوائد.

من علمه، ويقبسون من هديه، ويتحملون عنه مسنده وتفسيره اللذيْن لا نظير لهما كما يقول الحافظ ابن الذهبي[١].

بل تعدىٰ الأمر إلىٰ شهرته حتىٰ لدىٰ العجائز والعامة، فقد أتته امرأة تطلب أن يفك لها قيد ولدها الأسير عند الروم، فدعا له حتىٰ أنقذه الله ورجع سالمًا[٢].

وكانت تأتي إليه المرأة الضعيفة تشكو إليه في رد مظلمة، وكذا الرجل الضعيف فيقوم معهم ويسافر من مدينة إلىٰ مدينة مشيًا علىٰ قدميه حسبة حتىٰ يرد عنهم تلك المظلمة[٣].

ومن هؤلاء الذين تتلمذوا علىٰ بقي:

أحمد بن بقي بن مخلد، وأيوب بن سليمان المري، وأحمد بن عبد الله الأموي، وأسلم بن عبد العزيز، ومحمد بن وزير، ومحمد بن عمر بن لبابة، والحسن بن سعد الكتامي، وعبد الله بن يونس المرادي، وعبد الواحد بن حمدون، وهشام بن الوليد الغافقي، ومهاجر بن عبد الرحمن، ونمر بن هارون العبسي، وغيرهم من الطلاب[٤].

---

(١) السير ١٣/ ٢٨٥.

(٢) انظر القصة بتمامها في: جذوة المقتبس ١/ ٢٧٦، ٢٧٧، ونفح الطيب ٢/ ٥١٩، ٥٢٠، والبداية والنهاية ١١/ ٦٠، ٦١.

(٣) **انظر**: السير ١٣/ ٢٩٥.

(٤) **انظر**: جذوة المقتبس ١/ ٢٧٦، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٣٠، والسير ١٣/ ٢٨٦.
وقد بلغ عددهم في كتاب بقي بن مخلد القرطبي ومقدمة مسنده ص (٤٦، ٤٧): (١٦) تلميذًا.

وكان تلميذه عبد الله بن يونس المرادي مختصًّا به مكثرًا عنه، وعنه انتشرت كتبه الكبار، ولعله آخر من حدّث عنه من أصحابه، وكذا الحسن بن سعد الكتامي[(١)].

أما مؤلفاته:

فهي التي كانت السبب الأكبر في شهرة بقي بن مخلد في المشرق والمغرب، لا سيما عند المتأخرين ممن أتىٰ بعد، لكن مع الأسف لم يصل إلينا منها سوىٰ كتابين صغيرين فحسب هما «ما ورد في صفة الحوض والكوثر» ومقدمة «مسنده» التي ذكر فيها عدد ما لكل من الصحابة من الحديث. وقد طبعا ولله الحمد والمنّة[(٢)].

وليست هذه المشكلة قرينة هذا العصر، بل إن هذه الكتب لم يقف عليها حتىٰ الحفاظ المتقدمون، فلم يقف الذهبي إلا علىٰ مجلدين من «المسند»، كما صرح هو بذلك[(٣)].

ولم يقف ابن كثير علىٰ «المسند» أيضًا كما يظهر من عبارته[(٤)].

وهذا هو حال كثير من مصنفات تلك الديار، بسبب الحوادث والكوارث التي حلَّت بها والله المستعان.

ومن هذه المؤلفات: المسند الكبير، وقد رتبه علىٰ أسماء الصحابة،

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٧١، وجذوة المقتبس ١/ ٢٧٦.

(٢) وسيأتي الكلام عليهما في الفصل الثاني من هذا الباب.

(٣) السير ١٣/ ٢٩٤.

(٤) **انظر**: البداية والنهاية ١١/ ٦٠، وبقي بن مخلد ومقدمة مسنده ص (٤٩).

فروىٰ فيه عن (١٣٠٠) صحابي ونيف، ثم رتب حديث كل صحابي علىٰ أبواب الفقه والأحكام، فهو مسند ومصنَّف في آنٍ واحدٍ.

قال ابن حزم: لا أعلم هذه الرتبة لأحد قبله، مع ثقته وضبطه وإتقانه، واحتفاله فيه في الحديث، وجودة شيوخه، فإنه روىٰ عن مائتي رجل وأربعة وثمانين رجلًا، ليس فيهم عشرة ضعفاء، وسائرهم أعلام مشاهير(١).

وقال ابن الفرضي: ولبقي بن مخلد... مسند النبي صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ليس لأحد مثله(٢).

ومنها: التفسير الكبير الذي قال فيه ابن حزم: هو الكتاب الذي أقطع قطعًا لا أستثني فيه أنه لم يؤلف في الإسلام مثله، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري، ولا غيره(٣).

ومنها: المصنف في فتاوىٰ الصحابة والتابعين فمن دونهم. **قال ابن حزم:** ومنها مصنفه في فتاوىٰ الصحابة والتابعين ومن دونهم، أربىٰ فيه علىٰ «مصنف أبي بكر ابن أبي شيبة»، و«مصنف عبد الرزاق بن همام»، و«مصنف سعيد بن منصور» وغيرها، وانتظم علمًا عظيمًا لم يقع في شيء من هذه(٤).

---

(١) جذوة المقتبس ١/ ٢٧٤، ٢٧٥، ونفح الطيب ٢/ ٥١٩.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٧١ وسيأتي الحديث عنه بالتفصيل في الفصل الثاني من الباب الثاني.

(٣) جذوة المقتبس ١/ ٢٧٤، وبغية الملتمس ١/ ٣٠١، والصلة ١/ ١٩٦، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٢٩، ٦٣٠، وشذرات الذهب ٢/ ١٦٩.

(٤) جذوة المقتبس ١/ ٢٧٥، وبغية الملتمس ١/ ٣٠١، ٣٠٢، والصلة ١/ ١٩٦.

وفاتــه:

اتفقت جميع المصادر قاطبة علىٰ أن وفاة بقي كانت سنة (٢٧٦هـ)، وقد ورد تحديده في بعض المصادر بليلة الثلاثاء لليلتين بقيتا من جمادىٰ الآخرة، كما نص عليه عبد الله بن يونس المرادي[١].

ولم يخرج عن هذا الاتفاق سوىٰ الدارقطني حيث ذكر أنه مات سنة (٢٧٣هـ)[٢].

وقد ردَّ عليه العلماء بما حاصله أن الأمير عبد الله بن محمد الذي تولّىٰ سنة (٢٧٥هـ) قد شاور الفقهاء في قتل الزنديق، فصح كونه حيًا في هذه السنة[٣]، والله أعلم[٤].

(١) **انظر**: تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٧١، والسير ١٣/ ٢٩٦.

(٢) المؤتلف والمختلف ١/ ٢٧٢.

(٣) **انظر**: جذوة المقتبس ١/ ٢٧٥.

(٤) للتوسع في ترجمة بقي بن مخلد **انظر**: الإمام أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد شيخ الحفاظ بالأندلس، للدكتور نوري معمر.

محمد بن وضَّاح القرطبي (ت٢٨٧هـ)

نسبه ومولده:

هو محمد بن وضّاح بن بَزيغ القرطبي، مولىٰ عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، يكنىٰ أبا عبد الله والملاحظ أن كل من ترجموا له لا يرفعون نسبه أعلىٰ من بزيغ[(١)].

ولد سنة (١٩٩هـ) في أولها أو في آخرها، وقيل: سنة (٢٠٠هـ)، وقد صرح هو بهذا، حيث ذكر تلميذه أحمد بن خالد بن الجباب أن ابن وضاح قال له: ولدت سنة تسع - يعني وتسعين ومائة - أو سنة مائتين، وأذكر من الهَيْج علىٰ أشياء، والهَيْج سنة اثنتين ومائتين[(٢)].

وكذلك صرح تلميذه عثمان بن عبد الرحمن - وكان من أعلم الناس بأمر ابن وضاح - أن ابن وضاح أخبره بأن مولده كان سنة (١٩٩هـ) في أولها أو في آخرها، وأنه لم يكن يثبت حقيقة ذلك[(٣)].

---

(١) **انظر**: تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٥٠، وجذوة المقتبس ١/ ١٥٣، ومحمد بن وضاح القرطبي ص (٣٩).

(٢) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٥٢.

والمقصود بالهَيْج: ثورة المولدين من أهل قرطبة التي قاموا فيها علىٰ الحكم بن هشام، وأرادوا خلعه، وكانوا من أهل الربض، فأخمد الحكم تلك المحاولة، وأنزل بهم مقتلة عظيمة، وأمر من بقي منهم بمغادرة الأندلس. **انظر**: في تاريخ المغرب والأندلس ص (١٢١ - ١٢٣).

(٣) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٥٢، ٦٥٣.

رحلاته وشيوخه:

أخذ ابن وضاح يطلب العلم علىٰ شيوخ بلده الكبار، من أمثال محمد بن عيسىٰ الأعشىٰ، ومحمد بن خالد الأشج، ويحيىٰ بن يحيىٰ، وسعيد بن حسان، وسواهم من علماء الأندلس[١].

لكن ابن وضاح كان سامي الهمة، عظيم التطلّع للأكمل والأفضل، فرحل عن الأندلس رحلته الأولىٰ سنة (٢١٨هـ)[٢]، وهو ما زال رطب العود، حدث السن، لم يبلغ العشرين من عمره بعد.

بيد أن هذه الرحلة لم تكن رغبة في طلب الحديث، وإنما رمىٰ من ورائها إلىٰ ملاقاة العباد، ومجالسة الزهاد، إذ كان لديه نزعة تزهد، وميل إلىٰ أصحابه وأربابه[٣].

وإلا لو قصد سماع الحديث في رحلته هذه «لكان أرفع أهل زمانه درجة، وأعلاهم إسنادًا» كما يقول ابن الفرضي[٤]؛ لأنه لقي في رحلته هذه كبار المحدثين بالمشرق، وشارك بقيًا في أكثر رجاله، وكان سابقًا له في الرحلة، ومن هؤلاء الذين لقيهم بالمشرق: سعيد بن منصور، وآدم بن أبي إياس العسقلاني، وأحمد بن حنبل، ويحيىٰ بن معين،

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٥٠، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٤٦.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٥٠.

(٣) **انظر**: تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٥٠، وأخبار الفقهاء والمحدثين ص (١٢٢ و١٢٧ و١٣٠).

وقد شكَّك الدكتور حسين مؤنس في هذا، وردَّ عليه صاحبُ كتاب محمد بن وضاح ص (٦١).

(٤) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٥٠.

وزهير بن حرب وغيرهم[(١)].

ثم تندّم علىٰ عدم سماعه في رحلته الأولىٰ، فعزم علىٰ الترحّل مرة ثانية إلىٰ المشرق ليعوّض ما فاته من السماع في رحلته الأولىٰ، فرحل إلىٰ المشرق بعد سنة (٢٣٠هـ) كما يرىٰ ابن حارث الخشني[(٢)]، ويحتمل أن بدايتها ما بين سنتي (٢٣١هـ) و(٢٣٤هـ)؛ لأن شيخه محرز بن سلمة العدني المكي الذي لقيه في هذه الرحلة توفي سنة (٢٣٤هـ)[(٣)].

وفي هذه الرحلة سمع من شيوخ كثيرين بلغت عدتهم (١٧٥) شيخًا كما نص علىٰ ذلك ابن الفرضي[(٤)]، وقيل: (١٦٥) رجلًا[(٥)] موزعين علىٰ ستة وعشرين مصرًا كما أحصىٰ ذلك ابن حارث الخشني[(٦)].

ومن هؤلاء الشيوخ الذين سمع منهم: إسماعيل بن أبي أويس، وإبراهيم بن المنذر الحزامي، ومحمد بن المبارك الصوري، ومحمد بن عبد الرحيم البرقي، والحارث بن مسكين، وزهير بن عباد، وسحنون بن سعيد وسواهم[(٧)].

---

(١) **انظر**: المصدر نفسه ٢/ ٦٥٠، وجذوة المقتبس ١/ ١٥٣، وبغية الملتمس ١/ ١٧٣.

(٢) أخبار الفقهاء والمحدثين ص١٢٢.

(٣) **انظر**: محمد بن وضاح ص (٦٤).

(٤) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٥١.

(٥) **انظر**: ترتيب المدارك ٤/ ٤٣٦، والديباج المذهب ص (٢٤٠).

(٦) **انظر**: أخبار الفقهاء والمحدثين ص (١٢٣ - ١٢٦) ومحمد بن وضاح ص (٦٤ - ٦٦) وص (٢٩٣) فما بعد.

(٧) **انظر**: تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٥١، وترتيب المدارك ٤/ ٤٣٦، وجذوة المقتبس ١/ ١٥٣، والديباج المذهب ص (٢٤٠).

منزلته ومكانته:

اتفقت كلمة العلماء علىٰ توثيق ابن وضاح وتعديله والشهادة له بالإمامة في العلم والزهد.

قال ابن أبي دليم: كان ابن وضاح إمامًا ثَبْتًا[١].

وقال أحمد بن سعيد: لم يختلف علينا أحد من شيوخنا أن ابن وضاح كان معلم أهل الأندلس العلمَ والزهدَ[٢].

وقال ابن الفرضي: كان محمد بن وضاح عالمًا بالحديث، بصيرًا بطرقه، متكلمًا علىٰ علله... صابرًا علىٰ الإسماع، محتسبًا في نشر علمه، وسمع منه الناس كثيرًا[٣].

وقال أيضًا: وبمحمد بن وضاح وبقي بن مخلد، صارت الأندلس دار حديث[٤].

وقال الحافظ الذهبي: الإمام الحافظ، محدث الأندلس مع بقيّ[٥].

بقيّ[٥].

ونعته في «تذكرة الحفاظ»[٦] بالحافظ الكبير.

بَيْدَ أنه أُخذ عليه أشياء منها:

١- كثرة رده لكثير من الأحاديث، فكثيرًا ما يقول: ليس هذا من

---

(١) ترتيب المدارك ٤/ ٤٣٧.

(٢) المصدر نفسه ٤/ ٤٣٧.

(٣) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٥٢.

(٤) المصدر نفسه ٢/ ٦٥٢.

(٥) السير ١٣/ ٤٤٥.

(٦) ٢/ ٦٤٦.

كلام النبي ﷺ في شيء، وهو ثابت من كلامه ﷺ.

٢- وقوعه في خطأ كثير محفوظ عنه، إضافة إلىٰ أشياء كان يغلط فيها ويصحّفها.

٣- عدم علمه بالفقه والعربية[١].

وهذا الذي أُخذ عليه لا يَسْلَم منه أحدٌ غالبًا، لكن الانتقاد الأول - وهو الذي يهمنا في هذا السياق - ربما كان ناشئًا عن كثرة محفوظ الرجل، وتبحره في الحديث، بحيث لم يفته إلا القليل، فكان لمعرفته بنفسه وثقته بكثرة محفوظه يرد بعض الأحاديث ظنًا منه أنها ليست من كلام الرسول ﷺ، إذ لا يُعقل أن يتجرّأ إنسان - فضلًا عن عالم ورع كابن وضاح - علىٰ نفي شيء من السنة الثابتة.

وربما كان راجعًا لشدة تحريه وتثبته واحتياطه لحديث رسول الله ﷺ؛ لأن شرطه في الرجال شديد؛ فقد كان لا يروي إلّا عن ثقة[٢].

وقد أجاب بعض الدارسين عن بقية الأشياء التي انتقدت عليه بأجوبة فيها نوع تمحُّل وتكلُّف[٣].

وبكل فإن هذه الانتقادات لا تؤثر في حال الرجل من حيث العدالة، ولذا خلص الذهبي إلىٰ القول بأنه «صدوق في نفسه رأس في الحديث»[٤].

---

(١) **انظر**: أخبار الفقهاء والمحدّثين ص١٢٧، وتاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٥٢، وترتيب المدارك ٤/ ٤٣٧، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٤٧.

(٢) أخبار الفقهاء والمحدثين ص١٢٢.

(٣) **انظر**: شيوخ العصر في الأندلس ص (٤٤)، ومحمد بن وضاح ص (١٥٢).

الحديث»[(١)].

تلاميذه ومؤلفاته:

كان ابن وضاح من المؤسسين لمدرسة الحديث بالأندلس، ومثل هؤلاء لا بد أن يكون لهم تلامذة وأتباع ينهضون بهم وينشرون علمهم، فما ظنك برجل صرف نفسه عن مناصب الدولة، ومتع الدنيا وصوارفها مما يشغل عن تعلّم العلم وتعليمه، وكان مع ذلك «صابرًا علىٰ الإسماع، محتسبًا في نشر علمه»[(٢)]، حتىٰ سمع منه الناس كثيرًا، ونفع الله به أهل الأندلس[(٣)].

قال الضبّي: وحدث بالأندلس مدة طويلة، وانتشر بها عنه علم جم، وروىٰ عنه بها من أهلها جماعة رفعاء مشهورون[(٤)].

ومن هؤلاء الرفعاء: أحمد بن خالد الجباب وعثمان بن عبد الرحمن، وكان من أعلم الناس بابن وضاح[(٥)]، ووهب بن مسرّة، وابن أبي دليم، وقاسم بن أصبغ، ومحمد بن المسور، وأحمد بن عبادة وغيرهم[(٦)].

وكان من طلابه من لا يقدم عليه أحدًا، ولا يخرج عن طوعه حبًا له، وتعلقًا به، منهم أحمد بن خالد بن جبَّاب الذي كان لا يقدم أحدًا

---

(١) ميزان الاعتدال ٤/ ٥٩، ولسان الميزان ٥/ ٤١٦.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٥٢، والسير ١٣/ ٤٤٥.

(٣) المصدرين السابقين.

(٤) بغية الملتمس ١/ ١٧٤.

(٥) **انظر**: تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٥٢.

(٦) **انظر**: جذوة المقتبس ١/ ١٥٤، وبغية الملتمس ١/ ١٧٤، والديباج المذهب ص (٢٤٠)، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٤٧.

ممن أدرك بالأندلس عليه، وكان يعظّمه جدًا[(١)] بل بلغ بالمشاهير منهم أنهم تركوا السماع من بقي بن مخلد للذي كان بين بقي وابن وضاح من الوحشة[(٢)].

أما مؤلفاته:

فقد كانت في جملتها رسائل صغيرة، لم يطبع منها سوىٰ رسالة واحدة، ويبدو أن الرجل لم يكن من أرباب التأليف، بل كان انصرافه إلىٰ التدريس والإفادة أكثر، أضف إلىٰ ذلك أنه لم يكن له علم بالنحو والعربية - كما قيل - وهما أمران مهمّان لمن أراد التصدي للتأليف كما لا يخفىٰ[(٣)]، وقد ذكر له صاحب كتاب «محمد بن وضاح»[(٤)] سبعة كتب ورسائل:

ومن كتبه هذه:

١- كتاب البدع والنهي عنها[(٥)].

٢- كتاب النظر إلىٰ الله تعالىٰ، وما جاء فيه من الحديث[(٦)].

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٥٢، والسير ١٣/ ٤٤٦، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٤٧.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٧١.

(٣) **انظر**: شيوخ العصر في الأندلس ص (٤٤)، وابن وضاح ص (١٥٣).

(٤) ص (١٥٤).

(٥) الأعلام ٧/ ١٣٣، معجم المؤلفين ١٢/ ٩٤.

وقد طُبع الكتاب قديمًا بدمشق سنة (١٣٣٠هـ)، ونشره أحمد عبيد دهمان من أعضاء المجمع الدمشقي، ثم أعاد تحقيقه عمرو عبد المنعم سليم، وطبع في مكتبة ابن تيمية بالقاهرة سنة (١٤١٦هـ).

(٦) الأعلام ٧/ ١٣٣، ومعجم المؤلفين ٢/ ٩٤.

=

٣- كتاب الصلاة في النعلين[(١)].

٤- رسالة السنة[(٢)].

٥- القطعان في الحديث[(٣)].

وفاتـه:

اختلـف المؤرخـون في سـنة وفاتـه علـىٰ أقـوال تـتراوح مـا بـين سنة (٢٨٠هـ) إلىٰ سنة (٢٨٧هـ)، والراجح الذي عليه الأكثر أن وفاته كانت سنة (٢٨٧هـ) من شهر المحرم ليلة السبت لأربعٍ بقينَ منه[(٤)].

=

وقد ذكر الزركلي أنه مخطوط بمكتبة حسن حسني عبد الوهاب التونسي، وأنه اطلع عليه.

(١) ترتيب المدارك ٤/ ٤٤٠. وقد تصحفّت فيه النعلين إلىٰ المعلمين!

(٢) المصدر نفسه ٤/ ٤٤٠.

(٣) الأعلام ٧/ ١٣٣، ومعجم المؤلفين ١٢/ ٩٤.

(٤) **انظر**: تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٥٢، وترتيب المدارك ٤/ ٤٤٠، ولسان الميزان ٥/ ٤١٦.

وللتوسع في ترجمته راجع كتاب «محمد بن وضاح القرطبي، مؤسس مدرسة الحديث بالأندلس مع بقي بن مخلد» للدكتور نوري معمر.

أحمد بن خالد الجباب (ت٣٢٢هـ)

نسبه ومولده:

هو أحمد بن خالد بن يزيد بن محمد بن سالم بن سليمان القرطبي، يعرف بابن الجباب، وهي نسبة إلىٰ بيع الجِبَاب، وكان يبيعها، وقيل: أبوه، يكنىٰ أبا عمر[١]، وهو جيّاني الأصل، وقد سكن قرطبة[٢].

ولد سنة (٢٤٦هـ)[٣]، «وكانت أمه ترىٰ وهي حامل به من يقول لها: في بطنك نطفة تضيء منها الدنيا»[٤].

رحلاته وشيوخه:

نشأ أحمد بن خالد منذ نعومة أظفاره علىٰ طلب العبادة والتزهد، كحال شيخه محمد بن وضاح الذي تتلمذ عليه، ولكنه ما لبث - وهو بعدُ في الأندلس لم يرحل - أن تحوّل إلىٰ طلب الحديث والفقه بجد واجتهاد، تساعده أمه بثمن غزلها علىٰ شراء الرَّقّ والكتب[٥]، وكان السبب الكامن وراء تحوّله لطلب العلم والجد في ذلك ما حكاه عن نفسه، حيث قال: نظرت إلىٰ قوم يتهارشون علىٰ الدنيا - يعني الفقهاء -

---

(١) **انظر**: تاريخ علماء الأندلس ١/ ٧٦، وترتيب المدارك ٥/ ١٧٤، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٨١٥، والعبر ٢/ ١٦، والديباج المذهب ص٣٤.

(٢) جذوة المقتبس ١/ ١٩٢، وبغية الملتمس ١/ ٢٢١.

(٣) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٧٧، والسير ١٥/ ٢٤٠.

(٤) الديباج المذهب ص (٣٤).

(٥) ترتيب المدارك ٥/ ١٧٧.

فقلت: متىٰ احتجت إلىٰ شيء من ديني رجعت إلىٰ هؤلاء! فكان ذلك مما حملني علىٰ الجد في الطلب، والنظر في الفقه والعلم[١].

ومن ذلك الحين جد في الطلب وأخذ عن العلماء في الأندلس من أمثال: محمد بن وضاح، وقاسم بن محمد، وأبي عبد الله الخشني، وإبراهيم بن قاسم، وإبراهيم بن محمد بن باز، وبقي بن مخلد، وغيرهم من العلماء.

ثمّ ترحّل بعد ذلك طلبًا للعلم، ودخل بلدانًا عدة منها: مكة، وقد جاور بها وسمع بها من علي بن عبد العزيز المكي، ومحمد بن علي الصائغ المكي، وأبي بكر أحمد بن عمرو المكي[٢].

ثم دخل صنعاء اليمن، وسمع فيها من: أبي يعقوب الدبري، وعبيد الله بن محمد الكشوري، وأبي جعفر ابن الأعجم، والحسن بن عبد الأعلىٰ البوسي وغيرهم[٣].

وقد سمع من الدبري - راوي «المصنف» عن عبد الرزاق - «مصنف عبد الرزاق» كما يبدو بفوت يسير، واستدركه عن عبيد الله بن محمد الكشوري عن محمد بن يوسف الحذاقي عن عبد الرزاق[٤].

---

(١) المصدر نفسه ٥/ ١٧٦.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٧٦.

(٣) المصدر نفسه ١/ ٧٦.

(٤) جذوة المقتبس ١/ ١٩٢، ١٩٣، وبغية الملتمس ١/ ٢٢١.

ودخل إقريطش وإفريقية ومصر وغيرها، وسمع من الجلّة من المحدثين والفقهاء[١].

ثم عاد بعدها إلىٰ الأندلس، فكان إمام وقته غير مدافع في الفقه والحديث والعبادة، فقد حدث بها دهرًا وسمع منه عالم كثير، وألف مؤلفات عدة في الحديث[٢].

منزلته ومكانته:

كان أحمد بن خالد من علماء الأندلس الكبار، وممن يرجع إلىٰ قوله وفتياه عند القاصي والداني، وكان قد أمعن دائبًا في الحديث والفقه حتىٰ صار محدث الأندلس غير منازع، وفقيهها غير مدافع.

قال الحميدي: كان حافظًا متقنًا وراويةً للحديث مُكثرًا[٣].

وقال ابن عبد البر: لم يكن بالأندلس أفقه منه، ومن قاسم بن محمد بن قاسم[٤].

وقال ابن حارث وغيره: كان بالأندلس إمام وقته غير مدافع في الفقه والحديث والعبادة[٥].

وقال أبو عبد الملك: كان أحمد إمام وقته وأوحد دهره[٦].

---

(١) **انظر**: ترتيب المدارك ٥/ ١٧٤ و١٧٦، والديباج المذهب ص (٣٤).
(٢) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٧٦، وترتيب المدارك ٥/ ١٧٥، والديباج المذهب ص (٣٤).
(٣) جذوة المقتبس ١/ ١٩٢.
(٤) ترتيب المدارك ٥/ ١٧٥.
(٥) المصدر نفسه ٥/ ١٧٥.
(٦) المصدر السابق ٥/ ١٧٥.

وقال الذهبي: «الإمام الحافظ الناقد، محدث الأندلس... وكان من أفراد الأئمة، عديم النظير»[(١)].

وقال بعضهم: «ما أخرجت الأندلس حافظًا مثل ابن الجباب، وابن عبد البر»[(٢)].

طلابه ومؤلفاته:

لا شكّ أن ابن الجباب قد تتلمذ عليه كثير من الطلاب، وسمعوا منه الحديث والفقه وغيرهما، لا سيما وأنه قد حدّث بالأندلس دهرًا[(٣)]، وكان راوية للحديث مُكثرًا[(٤)]، وقد سمع منه عالَمٌ كثيرٌ[(٥)]، هذا مع إمامته أهل وقته غير مدافع كما مرّ آنفًا.

ومن هؤلاء الطلاب الذين أخذوا عنه: ولده محمد، ومحمد بن محمد بن أبي دليم، وعبد الله بن محمد الباجي، وخالد بن سعد، وغيرهم[(٦)].

أما مؤلفاته، فقد اشتغل بالتصنيف، وألّف عدة كتب منها:

- مسند حديث مالك[(٧)].

---

(١) السير ١٥/ ٢٤٠.

(٢) السير ١٥/ ٢٤١.

(٣) جذوة المقتبس ١/ ١٩٣، وبغية الملتمس ١/ ٢٢١.

(٤) جذوة المقتبس ١/ ١٩٢.

(٥) ترتيب المدارك ٥/ ١٧٧.

(٦) **انظر**: جذوة المقتبس ١/ ١٩٣، والسير ١٥/ ٢٤٠، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٨١٥.

(٧) ترتيب المدارك ٥/ ١٧٧، وبغية الملتمس ١/ ٢٢١، ومعجم المؤلفين ١/ ٢١٤.

- كتاب الصلاة[١].
- كتاب الإيمان[٢].
- كتاب قصص الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ[٣].
- كتاب فضل الوضوء والصلاة وحمد الله[٤].

وفاتــه:

توفي أحمد بن خالد ليلة الاثنين، منتصف جمادىٰ الآخرة سنة (٣٢٢هـ) عن عمر يناهز ستةً وسبعين عامًا. «وهو لم يزل علىٰ الانقباض والعبادة ولزوم البيت ونشر العلم»[٥]، رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة.

(١) السير ١٥/ ٢٤١، ومعجم المؤلفين ١/ ٢١٤.
(٢) ترتيب المدارك ٥/ ١٧٧، والسير ١٥/ ٢٤١، ومعجم المؤلفين ١/ ٢١٤.
(٣) المصادر نفسها.
(٤) ترتيب المدارك ٥/ ١٧٧.
(٥) المصدر نفسه ٥/ ١٧٧، ١٧٨. **وانظر**: العبر ٢/ ١٦، وشذرات الذهب ٢/ ٢٩٣.

محمد بن عبد الملك بن أيمن القرطبي (ت٣٣٠هـ)

نسبه ومولده:

هو محمد بن عبد الملك بن أيمن بن فرج القرطبي، يكنىٰ أبا عبد الله[(١)]. أما مولده، فقد وُجد علىٰ بعض كتبه بخطه: ولد محمد بن أيمن يوم الجمعة أول يوم من ذي الحجة سنة (٢٥٢هـ)، ووجد مثل ذلك بخط ابنه أحمد[(٢)].

رحلاته وشيوخه:

بدأ محمد بن عبد الملك حياته العلمية علىٰ يد شيوخ عصره في قرطبة وغيرها من بلاد الأندلس، حيث سمع من محمد بن وضاح، ومحمد بن عبد السلام الخشني، وإبراهيم بن قاسم بن هلال، وابن باز، وعبد الله بن خالد، ومحمد بن عبد الواحد الخولاني، ومحمد بن يوسف بن مطروح وغيرهم[(٣)].

ثم همّ بالترحل، فرحل برفقة قاسم بن أصبغ وابن أبي عبد الأعلىٰ، سنة (٢٧٤هـ)، وسنُّه إذ ذاك إحدىٰ وعشرون سنة، فسمع بمصر من المطلب بن شعيب، والمقدام بن داود الرعيني.

وسمع بمكة من علي بن عبد العزيز، ومحمد بن إسماعيل الصائغ.

وسمع ببغداد من أحمد بن زهير بن حرب كتاب «التاريخ»،

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٠٤، وترتيب المدارك ٥/ ١٨٥.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٠٥.

(٣) **انظر**: المصدر نفسه ٢/ ٧٠٤، والسير ١٥/ ٢٤٢، وترتيب المدارك ٥/ ١٨٥.

وإسماعيل بن إسحاق القاضي، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، وأبي إسماعيل الترمذي وجماعة سواهم[١].

مكانته ومنزلته:

كان ابن أيمن بالمنزلة العالية عند الخاصة والعامة بقرطبة، فقد تقلد الفتيا بها والمشاورة في الأحكام أكثر من (٤٠) سنة، وانفرد مدة بذلك، وكان المنظور إليه[٢]، حتىٰ إنه إذا قال قولًا فخولف قال: حسبكم أن تسمعوا ما أقول وتقبلوا، لفقهه، ودربته في الفتيا، وموت من تقدمه[٣].

ولقد عمّر حتىٰ صار مسند الأندلس في زمانه. **قال الذهبي:** الإمام الحافظ العلامة، شيخ الأندلس ومسندها في زمانه[٤].

وقال محمد بن يحيىٰ بن عبد العزيز: كان ابن أيمن إمامًا... وكان كل بيت مغمورًا معه بجاهه وفقهه وسننه، لا يُطمع أن يُؤخذ بقول غيره[٥].

وقال ابن الفرضي: كان فقيهًا عالمًا... صدرًا فيمن يستفتىٰ... وكان

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٧٠٤، ٧٠٥، وترتيب المدارك ٥/ ١٨٥، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٨٣٦، ٨٣٧، والعبر ٢/ ٣٨.

(٢) ترتيب المدارك ٥/ ١٨٥.

(٣) المصدر نفسه ٥/ ١٨٦.

(٤) السير ١٥/ ٢٤١.

(٥) ترتيب المدارك ٥/ ١٨٥.

ضابطًا لكتبه، ثقة في روايته[١].

طلابه ومؤلفاته:

أقبل الطلاب علىٰ السماع من ابن أيمن؛ لأنه كان مسند الأندلس في زمانه، كما كان المنظور إليه، ولهذا روىٰ الناس عنه كثيرًا[٢].

بَيْدَ أن المصادر التي ترجمت له لم تسعفنا بذكر طلابه الذين أخذوا عنه - سوىٰ اثنين -، وقد تتبعت أسماءهم في الطبقات التي جاءت بعده، فوجدت منهم الكثير، منهم: عبد الله بن محمد بن حنين[٣]، وقاسم ابن نصير بن وقاص الشذوني[٤]، ومحمد بن حسين بن ضابئ[٥]، ومحمد بن إسماعيل بن هشام[٦]، ومحمد بن قاسم بن هيكل[٧]، وغيرهم كثير.

أما مؤلفاته:

فلم تذكر المصادر له سوىٰ كتابه العظيم: «المستخرج علىٰ سنن أبي داود»[٨].

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٠٥.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٧٠٥، وترتيب المدارك ٥/ ١٨٥.

(٣) ترتيب المدارك ٥/ ٢١١.

(٤) ترتيب المدارك ٥/ ٢٣٧.

(٥) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧١١.

(٦) المصدر نفسه ٢/ ٧١٥.

(٧) المصدر السابق ٢/ ٧٢١.

(٨) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٠٥، والسير ١٥/ ٢٤٢، وترتيب المدارك ٥/ ١٨٥، ومعجم ومعجم المؤلفين ١٠/ ٢٥٥.

وفاتــه:

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليلة السبت، منتصف شوال، سنة (٣٣٠هـ) عن ثمان وسبعين سنة[(١)].

(١) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٠٥، والسير ١٥/ ٢٤٢، وترتيب المدارك ٥/ ١٨٦، وقد تصحَّف فيه ثلاثون إلىٰ ثلاث، والديباج المذهب ص (٣٢٠)، وقد تصحَّف فيه ثمان وسبعون إلىٰ ثمان وتسعون.

قاسم بن أصبغ البيَّاني (ت٣٤٠هـ)

نسبه ومولده:

هو قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء البيَّاني القرطبي، يكنىٰ أبا محمد، مولىٰ الوليد بن عبد الملك بن مروان - أمير المؤمنين -[(١)].

أما مولده:

فقد حدّث بأنه وجد تاريخ ولادته بخط أبيه: عصر يوم الاثنين، العشرين من ذي الحجة سنة أربع وأربعين ومائتين[(٢)].

رحلاته وشيوخه:

بدأ ابن اصبغ مسيرته العلمية بتلقي العلم علىٰ مشايخ قرطبة، فسمع من بقي بن مخلد، والخشني، وابن وضاح، ومطرف بن قيس، وأصبغ بن خليل، وإبراهيم بن قاسم بن هلال، وأخيه عبد الله، وعبد الله بن مسرة، ومحمد بن عبد الله الغازي، وغيرهم[(٣)].

ثم رغب في التزوّد من العلم، فترحّل عن الأندلس سنة (٢٧٤هـ) في إمارة المنذر بن محمد (ت٢٧٥هـ) برفقة محمد بن عبد الملك بن أيمن، ومحمد بن زكريا بن أبي عبد الأعلىٰ، وعمره إذ ذاك ثلاثون

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦١١، وترتيب المدارك ٥/ ١٨٠، والسير ١٥/ ٤٧٢ ، وفيه: وقيل: واضح بدل ناصح، فيحرَّر هذا.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦١٣.

(٣) المصدر نفسه ٢/ ٦١١، والسير ١٥/ ٤٧٣، والديباج المذهب ص (٢٢٢).

سنة، ولعله كان أكبرهم[(١)].

وقد وفق في رحلته هذه، فأدرك الناس متوافرين[(٢)]، فسمع بمكة من محمد بن إسماعيل الصائغ، وعلي بن عبد العزيز، وعبد الله بن أبي مسرة.

ودخل الكوفة، فسمع بها من إبراهيم بن أبي العنبس، وإبراهيم بن عبد الله العبسي.

ودخل بغداد، فسمع بها من إسماعيل بن إسحاق القاضي، وأحمد بن محمد البِرْتي القاضي، وأحمد بن زهير بن أبي خيثمة، كتب عنه «تاريخه»، ومحمد بن إسماعيل الترمذي، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، والحارث بن أبي أسامة، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة، سمع منه كثيرًا من كتبه.

ودخل مصر، فسمع بها من محمد بن عبد الله العمري، ومطّلب بن شعيب، ومحمد بن سليمان المهري وغيرهم.

وسمع بالقيروان، من أحمد بن يزيد المعلم وبكر بن حماد التاهرتي الشاعر وغيرهم كثير[(٣)].

---

(١) **انظر**: تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦١١، وترتيب المدارك ٥/ ١٨١.

(٢) ترتيب المدارك ٥/ ١٨١.

(٣) **انظر**: تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦١١، ٦١٢، وترتيب المدارك ٥/ ١٨١، وجذوة المقتبس ٢/ ٥٢٦، وبغية الملتمس ٢/ ٥٨٩، والسير ١٥/ ٤٧٣، ولسان الميزان ٤/ ٤٥٨.

ثم انصرف إلىٰ الأندلس بعد ذلك بعلم كثير، وسكن قرطبة وكان له بها قدر عظيم وانصرف الناس إليه ومالوا للسماع منه، خصوصًا في «تاريخ ابن أبي خيثمة»، وكتب ابن قتيبة، حيث توارد الناس علىٰ سماع هذه الكتب منه دون صاحبيه اللذين شاركاه في الرحلة، حتىٰ لقد سمعها منه - أمير المؤمنين - عبد الرحمن الناصر قبل توليه الخلافة، وكذا أبناؤه الحكم المستنصر ولي العهد من بعده وإخوته[١].

منزلته ومكانته العلمية:

لما قدم القاسم من رحلته - كما أسلفت - واستقر به المقام في قرطبة انتشر ذكره في الآفاق، وأخذ الناس في السماع منه والرحلة إليه من كل مكان، ساعده علىٰ ذلك انفساح أجله، فقد عمّر حتىٰ نيف عن التسعين، «فسمع منه الشيوخ والكهول والأحداث»[٢]، و«لحق الأصاغر فيه الأكابر، وشارك الآباءَ فيه الأبناءُ»[٣]، وانتهىٰ إليه بتلك الديار علو الإسناد والحفظ والجلالة[٤] حتىٰ كانت الرحلة إليه في الأندلس، وإلىٰ أبي سعيد بن الأعرابي في المشرق، وكانا متكافئين في السن[٥].

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦١٣، وترتيب المدارك ٥/ ١٨١.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦١٣.

(٣) ترتيب المدارك ٥/ ١٨١.

(٤) تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٥٤.

(٥) ترتيب المدارك ٥/ ١٨١. **وانظر**: تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦١٣، وبغية الوعاة ٢/ ٢٥١، والديباج المذهب ص (٢٢٣).

قال ابن الفرضي: كان قاسم بن أصبغ بصيرًا بالحديث والرجال، نبيلًا في النحو والغريب والشعر، وكان يشاور في الأحكام[١].

وقال ابن أبي دليم: غلبت عليه الرواية والسماع[٢].

وقال أحمد بن عبد البر: كان شيخًا صدوقًا، ماجدًا، حليمًا، طاهرًا، صحيح الكتاب[٣].

وقال عنه الذهبي: الإمام الحافظ العلامة محدث الأندلس... انتهىٰ إليه علو الإسناد بالأندلس مع الحفظ والإتقان، وبراعة العربية، والتقدم في الفتوىٰ والحرمة التامة، والجلالة، أثنىٰ عليه غير واحد وتواليف ابن حزم وابن عبد البر وأبي الوليد الباجي طافحة برواية قاسم بن أصبغ[٤].

وقال الحافظ ابن حجر: الحافظ الكبير محدّث قرطبة[٥].

وقال ياقوت الحموي: إمام من أئمة العلم، حافظ مُكثر مصنِّف[٦].

مصنِّف[٦].

وقد استمر قاسم بن أصبغ في تحديث الناس وإسماعهم حتىٰ قبل وفاته بثلاث سنين وبالتحديد آخر سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وعمره

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦١٣.

(٢) ترتيب المدارك ٥/ ١٨٢. وهذا يدل علىٰ تفرّغه لإسماع الحديث.

(٣) المصدر نفسه ٥/ ١٨٢.

(٤) السير ١٥/ ٤٧٣.

(٥) لسان الميزان ٤/ ٤٥٨.

(٦) معجم الأدباء ٥/ ٢١٩٠.

إذ ذاك نحو (٨٨) سنة، حيث تغيّر ذهنه وكثر نسيانه وما اختلط، فأحسن بذلك، فانقطع عن الرواية من ذلك الحين صونًا لعلمه[(١)].

وأول ما عُرف ذلك منه، أنه كان مسايرًا لأصحابه يومًا، فلقيهم جمل حطب، فقال لأصحابه: تنحوا بنا من طريق الفيل!! وزال عن الطريق. فكان ذلك أول ما عرف من اختلال ذهنه[(٢)].

طلابه ومؤلفاته:

غير خافٍ مما سبق؛ منزلة قاسم بن أصبغ عند طلاب العلم ومحبيه، ولهذا توارد عليه الطلاب من كل حدب وصوب للسماع منه والتحمل عنه، ومن هؤلاء الطلاب:

حفيده قاسم بن محمد، وعبد الله بن محمد الباجي، وعبد الله بن نصر، وعبد الوارث بن سفيان، وسعيد بن نصر، وأحمد بن القاسم التاهرتي، وأحمد بن الجسور، وعبد الرحمن الناصر - أمير المؤمنين - وأولاده، وغيرهم كثير[(٣)].

أما مؤلفاته:

فقد صنف قاسم بن أصبغ مؤلفات كثيرة حسنة الوضع، كما قال مترجموه، لكن لم يصلنا شيء منها - مع الأسف -.

---

(١) تذكرة الحفاظ ٢/ ٨٥٤، ولسان الميزان ٤/ ٤٥٨.

(٢) ترتيب المدارك ٥/ ١٨٢، ولسان الميزان ٤/ ٤٥٨، والإلماع ص (٢٠٩).

(٣) جذوة المقتبس ٢/ ٥٢٧، وبغية الملتمس ٢/ ٥٩٠، والسير ١٥/ ٤٧٣.

ومن هذه المصنَّفات:

- «المستخرج علىٰ صحيح مسلم»[(١)].
- «المستخرج علىٰ سنن أبي داود»[(٢)].
- «المجتبىٰ». فقد فاته السماع من ابن الجارود ووجده قد مات، فألف هذا الكتاب علىٰ أبواب كتابه «المنتقىٰ»، خرجها عن شيوخه.

قال ابن حزم: وهو خير انتقاءً منه[(٣)].

- «المسند»[(٤)].
- «مسند حديث مالك من رواية يحيىٰ»[(٥)]. وغيرها من الكتب.

وفاتـه:

توفي قاسم بن أصبغ بقرطبة، ليلة السبت لأربع عشرة ليلة خلت من جمادىٰ الأولىٰ سنة (٣٤٠هـ)، رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة[(٦)].

(١) السير ١٥/ ٤٧٣. ولم يذكره أحدٌ سواه، وفي النفس منه شيء.
(٢) ترتيب المدارك ٥/ ١٨٢، والسير ١٥/ ٤٧٣، ومعجم المؤلفين ٨/ ٩٥.
(٣) ترتيب المدارك ٥/ ١٨٢، والديباج المذهب ص (٢٢٣)، ومعجم المؤلفين ٨/ ٩٥. وسيأتي الكلام عليه في الفصل الثاني من الباب الثاني.
(٤) ترتيب المدارك ٨/ ١٨٢.
(٥) المصدر نفسه ٥/ ١٨٢، والديباج المذهب ص (٢٢٣).
(٦) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦١٣، وترتيب المدارك ٥/ ١٨٢. وقد حصل خطأ في المصدرين في تقدير عمره.

خالد بن سعد القرطبي (ت٣٥٢هـ)

نسبه ومولده:

هو خالد بن سعد القرطبي، يكنىٰ أبا القاسم، ولم تذكر لنا المصادر التي ترجمت له شيئًا من نسبه سوىٰ ما ذكرت[(١)].

أما مولده، فلم يذكر من ترجم له شيئًا حول هذا، حتىٰ ابن الفرضي - مع عنايته - لم يذكر سنة ولادته كعادته في المشهورين، بيد أنه نقل عن محمد بن رفاعة ما يقرّب الأمر، فقد قال: توفي خالد وهو ابن نيف وستين سنة[(٢)]، وعلىٰ هذا فيكون مولده في حدود سنة (٢٨٧هـ) وقد تنقص أو تزيد شيئًا.

شيوخه ورحلاته:

كان خالد بن سعد من المكثرين من السماع والتحمل، ساعده علىٰ ذلك ذاكرة جبّارة، حتىٰ ذكر عن نفسه أنه حفظ عشرين حديثًا من سَمْعةٍ واحدة[(٣)]، وقد أخذ عن جماعة كبيرة من الرواة والعلماء في أشهر مدن الأندلس، فمن قرطبة وحدها ذكر له ابن الفرضي (١٧) شيخًا، هم بعض من أخذ عنهم، كما تشعر عبارة ابن الفرضي.

---

(١) **انظر**: تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٣٩، وجذوة المقتبس ١/ ٣١٩ وغيرها.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٤٠.

(٣) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٣٩، والسير ١٦/ ١٩. وقد تقدم، وتقدم التنبيه علىٰ تصحيفٍ وقع فيه.

منهم: سعيد بن عثمان الأعناقي، وطاهر بن عبد العزيز، ومحمد بن عمر بن لبابة، وأحمد بن بقي بن مخلد، ومحمد بن عبد الملك بن أيمن، والحسن بن سعد، وأحمد بن زياد[(١)].

كما سمع من علماء مدن الأندلس الأخرىٰ من أمثال: محمد بن إبراهيم بن حيّون الحجاري، ومحمد بن فطيس الألبيري، ومحمد بن عبد الله بن العون، والشبلي، وأحمد بن عمرو بن منصور، وغيرهم كثير[(٢)].

أما رحلاته، فلا أدري إن كان رحل إلىٰ المشرق للحج وسماع العلم أم لا، لكن الذي أتيقنه وأجزم به هو أنه رحل إلىٰ لقاء الشيوخ في مدن الأندلس الأخرىٰ، مثل: إلبيرة، ووادي الحجارة، وغيرها كما هو واضح من أسماء شيوخه الذين ليسوا هم من أهل قرطبة[(٣)].

وربما كان سبب امتناعه عن الرحلة، هو ما توفر له من العلم عند هؤلاء العلماء، فاكتفىٰ بذلك، خصوصًا إذا علمنا أن شيخه محمد بن فطيس قد لقي في رحلته إلىٰ المشرق نحوًا من (٢٠٠) شيخ[(٤)].

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٣٩، ٢٤٠، وجذوة المقتبس ١/ ٣١٩، وبغية الملتمس ١/ ٣٤٩.

(٢) المصادر السابقة.

(٣) **انظر**: تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٤٠.

(٤) **انظر**: المصدر نفسه ٢/ ٦٩٠.

منزلته ومكانته:

كان خالد بن سعد من مشاهير المحدثين بقرطبة، رحل إليه الناس وأخذوا عنه، وكان يناظَر بيحيىٰ بن معين في الحديث والرجال، وقد عدّه أمير المؤمنين مفخرةً للأندلس حيث قال: إذا فاخَرَنا أهل المشرق بيحيىٰ بن معين، فاخرناهم بخالد بن سعد[١].

وقال عنه ابن الفرضي: كان إمامًا في الحديث، حافظًا له، بصيرًا بعلله، عالمًا بطرقه، مقدمًا علىٰ أهل وقته في ذلك[٢].

وقال عنه الحميدي: إمام من أئمة الحديث[٣].

وقال عنه الذهبي: الحافظ الإمام، الناقد المجوّد، العلّامة[٤].

وقال أيضًا: كان إمامًا حجة مقدمًا علىٰ حفاظ زمانه بقرطبة يُعدّ من الأذكياء[٥].

وقد انتُقد خالد بن سعد بأنه كان بذيء اللسان، كثير النيل من أعراض الناس سامحه الله وغفر له[٦].

طلابه ومؤلفاته:

كان خالد بن سعد أمثل محدثي الأندلس في وقته، أقبل الناس عليه

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٣٩، والسير ١٦/ ١٩.

(٢) المصدر السابق ١/ ٢٣٩.

(٣) جذوة المقتبس ١/ ٣١٩.

(٤) انظر: السير ١٦/ ١٨.

(٥) تذكرة الحفاظ ٣/ ٩١٩.

(٦) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٤٠، والسير ١٦/ ١٩، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٩١٩.

وأخذوا عنه، وقد كان مكثرًا، فمن طلابه: أحمد بن خليل، وقاسم بن محمد بن قاسم وغيرهما[١].

ومن الأشياء التي حدّث بها «مسند ابن سنجر»[٢]، ويبدو أن تحديثه بمثل هذا الكتاب كان في مجالس خاصة؛ لأن ابن الفرضي قال: ولم تُقرأ عليه الدواوين وإنما كان يحدث بمجالس[٣].

ومن مؤلفاته: كتاب «رجال الأندلس»، ألفه للمستنصر بالله - أمير المؤمنين فيما بعد - واشتهر هذا الكتاب، وهو أحد مصادر ابن الفرضي[٤] في كتابه «تاريخ علماء الأندلس».

وفاته:

توفي خالد بن سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٣٥٢هـ) وهو ابن نيف وستين سنة، ولم تكن في لحيته إلا شعرات بيض، ودفن بمقبرة «مُتعة»[٥].

(١) جذوة المقتبس ١/ ٣١٩.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٣٢٠. **وابن سنجر:** هو محمد بن عبد الله بن سنجر الجرجاني (ت٢٥٨هـ).

(٣) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٤٠.

(٤) **انظر:** تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٤٠، والسير ١٦/ ١٩، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٩١٩، ومعجم المؤلفين ٤/ ٩٦.

(٥) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٤٠.

عبد الله بن محمد ابن الفرضي (ت٤٠٣هـ)

نسبه ومولده:

هو عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي القرطبي، المعروف بابن الفرضي. يكنىٰ أبا الوليد وأبا محمد[(١)].

أما مولده فقد كان في ليلة الثلاثاء لتسع بقين من شهر ذي القعدة سنة (٣٥١هـ)[(٢)].

رحلاته وشيوخه:

جريًا علىٰ عادة طلاب العلم، فقد بدأ ابن الفرضي بتلقّي العلم علىٰ شيوخ عصره في قرطبة، **منهم**: محمد بن أحمد بن يحيىٰ بن مفرج، وخلف بن قاسم، وعباس بن أصبغ، ويحيىٰ بن مالك بن عائذ، ومحمد بن يحيىٰ بن عبد العزيز، ومحمد بن محمد بن أبي دليم، ومحمد بن أحمد بن مسعود وغيرهم كثير[(٣)].

وقد نصّ في كتابه «تاريخ علماء الأندلس» علىٰ كثير من شيوخه بالسماع والإجازة في الأندلس، ولو ذهبنا نستقرئ شيوخه هؤلاء

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ١٠٥، ومطمح الأنفس ص (٢٨٤)، والسير ١٧/ ١٧٧، ١٧٨، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٧٦، ١٠٧٧، ونفح الطيب ٢/ ١٢٩. وقد انفرد صاحب المطمح والنفح بذكر الكنية الثانية من بين المصادر. **وانظر**: أبو الوليد ابن الفرضي القرطبي ١/ ٧٣، ٧٤.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ١٠٦، والسير ١٧/ ١٧٩، ونفح الطيب ٢/ ١٣٠.

(٣) جذوة المقتبس ١/ ٣٩٦، وبغية الملتمس ٢/ ٤٣٤، والصلة ١/ ٣٩١، ٣٩٢، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٧٧.

لجاوزوا المائة بكثير.

ولما بلغ الثلاثين من عمره، عزم علىٰ الرحلة للحج وطلب العلم، فرحل سنة (٣٨٢هـ) إلىٰ المشرق، ودخل مكة، وأخذ عن أبي يعقوب يوسف بن أحمد بن يوسف المكي، وأبي عبد الله بن أحمد بن عمر الزجّاج القاضي وغيرهما.

وسمع بمصر من أحمد بن إسماعيل البنّاء، والحسن بن إسماعيل الضرّاب وغيرهما.

ودخل إفريقية (القيروان) فسمع فيها من عبد الله بن عبد الرحمن النفزي المعروف بابن أبي زيد، وعلي بن محمد بن خلف القابسي، وغيرهم[(١)].

ثم عاد بعدها إلىٰ قرطبة متصدرًا للتأليف والتدريس، وانتفع به الخلق.

وكان في رحلته هذه متشوقًا للوطن حتىٰ إن أهل مصر لما نزل بها مستفيدًا رغبوا في أن يقيم بينهم، **فقال:** مِن المروءة النزاع إلىٰ الوطن[(٢)]، ومما قاله يتشوق إلىٰ بلده بعد رحلته بثلاثة أشهر قصيدة جميلة أرسلها إلىٰ أهله مطلعها:

---

(١) **انظر**: جذوة المقتبس ١/ ٣٩٦، وبغية الملتمس ٢/ ٤٣٤، والصلة ١/ ٣٩٢، والسير ١٧/ ١٧٨، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٧٧.

(٢) المغرب في أخبار المغرب ١/ ١٠٤.

مَضَتْ لي شُهورٌ منذُ غِبتُمْ ثلاثةٌ وما خِلْتُني أبقىٰ إذا غِبْتُمُ شَهْرا[١]

منزلته ومكانته:

لقد جمع ابن الفرضي علمًا كثيرًا إبّان رحلته إلىٰ المشرق، وحاز نفائس الكتب، وكوّن منها مكتبة ضخمة، «وكان جمّاعًا للكتب، فجمع منها أكثر ما جمعه أحد من عظماء البلد»[٢]. ويبدو أن ابن الفرضي كان ميله للتأليف والتصنيف أقوىٰ من ميله للتدريس والفتيا، رغم فقهه وعلمه، والناس مشارب، ولكلٍّ وجهةٌ هو موليها.

قال عنه صديقه وصاحبه الحافظ ابن عبد البر: كان فقيهًا عالمًا في جميع فنون العلم، في الحديث، وعلم الرجال، وله تواليف حسان وكان صاحبي ونظيري، أخذت معه عن أكثر شيوخه، وأدرك من الشيوخ ما لم أدركه أنا، كان بيني وبينه في السن نحوًا من خمس عشرة سنة، صحبته قديمًا وحديثًا، وكان حسن الصحبة والمعاشرة، حسن اللقاء[٣].

وقال أبو عبد الله الخولاني: كان من أهل العلم، جليلًا، ومقدمًا في الآداب، نبيلًا مشهورًا بذلك... طلب الحديث، وعُني بالعلم، وكان قائمًا به، نافذًا فيه[٤].

---

(١) جذوة المقتبس ١/ ٣٩٨، وبغية الملتمس ٢/ ٤٣٥، والصلة ١/ ٣٩٥، والمغرب ١/ ١٠٤، ونفح الطيب ٢/ ١٣١، والذخيرة (القسم الأول) ٢/ ٦١٥.

(٢) الصلة ١/ ٣٩٣.

(٣) الصلة ١/ ٣٩٢.

(٤) الصلة ١/ ٣٩٢، ٣٩٣.

وقال عنه الحميدي: كان حافظًا متقنًا عالمًا وذا حظ من الأدب وافر[١].

وقال الفتح بن خاقان: كان حافظًا عالمًا كَلِفًا بالرواية، رحل في طلبها، وتبحَّر في المعارف بسببها مع حظ من الأدب كثير...[٢].

وقال أبو مروان ابن حيان: لم نر مثل ابن الفرضي بقرطبة في سعة الرواية وحفظ الحديث، ومعرفة الرجال والافتنان في العلوم والأدب البارع[٣].

وقال الحافظ الذهبي: الإمام الحافظ البارع الثقة الحجة[٤].

طلابه ومؤلفاته:

أكاد أجزم أن ابن الفرضي لم يكن يخلو من جماعات كثيرة من طلاب العلم يأخذون عنه، ويسمعون منه الحديث وغيره، وذلك لشهرته وجلالته في العلم، لكن لم تذكر المصادر إلا عددًا قليلًا من الطلاب منهم: أبو مروان حيان بن خلف، وعبد الرحمن بن يوسف الرفا، وابن حزم، وابن عبد البر وغيرهم[٥].

ويبدو أن ابن الفرضي كان جلُّ اهتمامه مصروفًا إلىٰ البحث

---

(١) جذوة المقتبس ١/ ٣٩٦.

(٢) مطمح الأنفس ص (٢٨٤).

(٣) تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٧٧.

(٤) السير ١٧/ ١٧٧، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٧٦.

(٥) انظر: الصلة ١/ ٣٩٢، والسير ١٧/ ١٧٨، وأبو الوليد بن الفرضي القرطبي ١/ ١٢٥ - ١٤٢ ولم يذكر له سوىٰ (١٨) تلميذًا علىٰ الرغم من استقصائه.

والتأليف لا سيما في سِير العلماء وأخبارهم، حتىٰ أخرج لنا هذه المصنفات العظيمة خصوصًا كتابه «تاريخ علماء الأندلس» الذي قال فيه ابن بشكوال: بلغ فيه النهاية والغاية في الحفْل والإتقان[١]. وقد حدّث عنه بهذا الكتاب ابنُ عبد البر[٢].

وقال عنه المقّري: وقفت عليه بالمغرب، وهو بديعٌ في بابه[٣].

ومن مؤلفاته أيضًا:

- «المؤتلف والمختلف» في الحديث. ذكره ابن بشكوال ونعته بالحسن[٤]، وكذا نعته المقّري أيضًا[٥]، وهو كتاب كبير[٦].

- «مشتبه النسبة»، ذكره ابن بشكوال والمقّري والذهبي[٧].

وغيرها من الكتب.

وفاتــه:

لخبر وفاته قصة لطيفة ذكرها أكثر من ترجم له، ومن المناسب إيرادها هنا، وهي: ما سمعه ابن حزم من ابن الفرضي نفسه عند حجّه،

---

(١) الصلة ١/ ٣٩٢.

(٢) بغية الملتمس ٢/ ٤٣٥.

(٣) نفح الطيب ٢/ ١٢٩. وقد طُبع مرارًا، وهو عُمدتي في هذا البحث.

(٤) الصلة ١/ ٣٩٢، والسير ١٧/ ١٧٨.

(٥) نفح الطيب ٢/ ١٢٩.

(٦) بغية الملتمس ٢/ ٤٣٤.

(٧) الصلة ١/ ٣٩٢، ونفح الطيب ٢/ ١٢٩، والسير ١٧/ ١٧٨. **وانظر**: معجم المؤلفين ٦/ ١٤٦.

قال: «تعلّقتُ بأستار الكعبة، وسألت الله الشهادة، ثم انحرفت وفكرت في هول القتل، فندمت، وهممت أن أرجع، فأستقيلَ الله ذلك، فاستحييت» فمات مقتولًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفتنة أيام دخول البرابرة قرطبة سنة (٤٠٣هـ).

قال ابن حزم: فأخبرني من رآه بين القتلىٰ يومئذ وهو في آخر رمق فدنا منه فسمعه يقول بصوت ضعيف: «**لا يُكْلَم أحدٌ في سبيل الله - واللهُ أعلمُ بمن يُكلَم في سبيله - إلا جاءَ يومَ القيامةِ وجُرْحُه يَثْعَب دَمًا، اللونُ لونُ الدمِ، والريحُ ريحُ المسكِ**»[(١)]، كأنه يعيد علىٰ نفسه الحديث الوارد في ذلك، ثم قضىٰ نحبه هنالك[(٢)].

مات ابن الفرضي مقتولًا، قتله البربر يوم فتح قرطبة، وذلك يوم الاثنين لست خلون من شوال سنة (٤٠٣هـ) ويقال: إنه بقي في داره ثلاثة أيام، ثم دُفن متغيرًا من غير غَسل ولا كفن ولا صلاة، رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغفر له![(٣)].

---

(١) الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد: باب من يجرح في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ ٢/ ٣٠٦ (٢٨٠٣)، ومسلم في صحيحه كتاب الإمارة: باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله ٣/ ١٤٩٥، ١٤٩٦ (١٨٧٦) كلاهما عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر القصة في: جذوة المقتبس ١/ ٣٩٧، وبغية الملتمس ٢/ ٤٣٤، ومطمح الأنفس ص (٢٨٥)، والصلة ١/ ٣٩٤، والسير ١٧/ ١٧٩، والذخيرة (القسم الأول) ٢/ ٦١٥، ونفح الطيب ٢/ ١٣٠.

(٣) الصلة ١/ ٣٩٢، ونفح الطيب ٢/ ١٣٠.

وللتوسع في ترجمته راجع كتاب «أبو الوليد بن الفرضي القرطبي حياته وآثاره العلمية» للأستاذ أحمد اليزيدي.

الفصل الثاني

جهود المحدثين العلمية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:

موقف علماء قرطبة من الحديث وفقهه.

المبحث الثاني:

مؤلفاتهم في الحديث وعلومه.

المبحث الثالث:

آراؤهم ومشاركاتهم في علوم الحديث ونقد الرجال.

المبحث الأول
موقف علماء قرطبة من الحديث وفقهه

لم تكن الفترة المبكرة من تاريخ قرطبة التي أعقبت الفتح حافلة بالحركة العلمية المعهودة من تحليق الحلق، وإلقاء الدروس، وتصنيف المصنفات، وتحصيل الروايات، كما هو الشأن في الفترات الأخرىٰ المتأخرة، **والسبب في ذلك يعود إلىٰ أمور:**

منها: اشتغال الناس بادئ الأمر بتثبيت دعائم الفتح وترسيخ قواعد الملك، وبالتالي فلم تكن الفرصة مواتية حينها للرحلة في طلب الحديث، أو لورود المحدثين إليها؛ لأنها لم تستقر بعد.

ومنها: أن المذهب الفقهي السائد فيها حينذاك كان مذهب الإمام الأوزاعي[(١)]، ثم جاء بعده مذهب الإمام مالك الذي انتشر بعد دخول «الموطأ» في عهد هشام بن عبد الرحمن (ت١٨٠هـ) وابنه الحكم (ت٢٠٦هـ)، حيث تقلد الجميع مفردات مذهب مالك، ولم يخرجوا عنه إلا في اليسير النادر، والسبب في ذلك يعود إلىٰ عيسىٰ بن دينار ويحيىٰ بن يحيىٰ الليثي اللذين اشتغلا بنشر المذهب.

قال ابن عبد البر: «وبه - أي يحيىٰ بن يحيىٰ - وبعيسىٰ بن دينار انتشر مذهب مالك، وانتهىٰ الناس إلىٰ سماع «الموطأ» من يحيىٰ، وأعجبوا بتقييده فقلّدوه وتبعوه»[(٢)].

---

(١) **انظر:** نفح الطيب ٢/ ٤٥.

(٢) ترتيب المدارك ٣/ ٣٨١، والديباج المذهب ١/ ١٢.

ولعل سبب اختيار يحيىٰ بن يحيىٰ للموطأ واجتهاده في نشره هو ما نُقل عن الإمام مالك من قوله: انظروا في هذه الكتب ولا تخلطوها بغيرها، يعني «الموطأ»[(١)]، نقله عنه محمد بن بشير القرطبي.

وهذا أيضًا ساهم في تأخير انتشار الحديث وكتبه - غير الموطأ - وتوسُّع الناس في علومه رواية ودراية.

أما الذي عدّه المؤرخون رائدًا في فتح الباب علىٰ مصراعيه لانتشار الحديث هناك وتحوّل الأندلس كلها - فضلًا عن قرطبة - إلىٰ دار إسناد ورواية، فهو الحافظ بقي بن مخلد القرطبي (ت٢٧٦هـ)، ومثله محمد بن وضاح القرطبي (ت٢٨٦هـ).

والسبب في هذا يعود إلىٰ تلك الحادثة التي جرت لبقي بن مخلد مع فقهاء عصره حينما تمالؤا عليه بالإنكار لإدخاله بعض الكتب الحديثية، فعقدت لذلك مناظرة جرت بينه وبينهم في مجلس الأمير محمد بن عبد الرحمن (ت٢٧٣هـ)، تحقق للأمير فيها صدق الرجل ورسوخ قدمه في العلم، فأمره أن يبث حديثه وينشر علمه بين الناس، «فمن يومئذ انتشر الحديث بالأندلس، ثم تلاه ابن وضاح، فصارت الأندلس دار حديث وإسناد، وإنما كان الغالب عليها قبل ذلك حفظ رأي مالك وأصحابه»[(٢)].

---

(١) ترتيب المدارك ٣/ ٣٢٧. **وانظر**: دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية في الأندلس ص (٣٤) فما بعد.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٧٠، ١٧١، من كلام ابن الفرضي. وقد تقدمت القصة =

ولا شك أن هذا الأمر يُعدُّ تحولًا جديدًا وحدثًا لم يعهده الناس هنالك من قبل، ولذا فقد تعددت الآراء واختلفت المشارب حوال انتشار الحديث واستنباط الأحكام منه مباشرة، حتىٰ ولو خالف ذلك بعض ما ذهب إليه الإمام مالك وأصحابه.

وسوف أذكر هنا بعض تلك الآراء والاجتهادات التي وقفت عليها، مبينًا ردة الفعل من طرف المقلدين ومتعصبة الفقهاء.

وقبل استعراض هذه الآراء، أجد لزامًا عليّ أن أشير إلىٰ نقطة مهمة؛ منعًا للبس، ودرءًا للوهم، وهي أن الأندلس كلها؛ بلْه قرطبة، كانت دار حديث وإسناد، وكان المحدث عندهم بالمنزلة العالية والمكانة السامية التي تليق به، ولم يكن هنالك فصل بين الفقيه والمحدث؛ لأن الفقيه - عندهم - لا بد وأن يكون حافظًا لطائفة كبيرة من الأحاديث.

فقد جاء في وصف هؤلاء الفقهاء أنهم كانوا علىٰ معرفة عظيمة بحديث رسول الله ﷺ واستحضار لمتونه، فقد كان بخارج قرطبة ثلاثة آلاف قرية مسوّرة، في كل قرية منبر ومقلِّص - وهو الفقيه المشاور الذي تكون له الفتيا في الأحكام والشرائع - وكان لا يجعل القالص (أو القالس)[1] عندهم علىٰ رأسه إلا من حفظ الموطأ، وقيل: من حفظ عشرة آلاف حديث عن النبي ﷺ وحفظ المدونة، فكان هؤلاء

=

بتمامها في الفصل الرابع من الباب الأول.

(١) تقدم بيان معناه.

المقلّصون المجاورون لقرطبة إذا كان يوم الجمعة أتوا إلىٰ قرطبة، فيصلّون بها مع الخليفة، ويسلمون عليه، ويطالعونه بأحوال بلادهم[(١)].

ولهذا فقد كان الناس قاطبة - علماء وعامة - يحترمون السنة النبوية، ويدينون الله تعالىٰ بها، ويقدمونها علىٰ آراء الرجال واجتهادات العلماء، ولم أجد فيما وقفت عليه من مصادر شيئًا خارجًا عن هذه القاعدة؛ اللهم إلا في حالات نادرة، لا تمثل إلىٰ أصحابها، فضلًا عن أن تكون ظاهرة عامة أو سمة بارزة.

ولوضوح هذا الأمر فإنني أكتفي بنماذج يسيرة تشهد لهذا الواقع، وتوضّح هذا الأمر.

- يعود الفضل الأكبر في نشر السنن بين الناس وتعريفهم بها إلىٰ زياد بن عبد الرحمن القرطبي (ت١٩٩هـ) الذي كان أول من أدخل «الموطأ» إلىٰ الأندلس، مع السنن والمسائل.

قال يحيىٰ بن يحيىٰ: زياد أول من أدخل الأندلس علم السنن ومسائل الحلال والحرام، ووجوه الفقه والأحكام، وهو أول من عرّف بالسنة في تحويل الأردية في الاستسقاء وصاحب الصلاة إذ ذاك المصعب بن عمران، فأنكر ذلك وقال: هذا نشوة!

قال يحيىٰ: فخرجت بعد ذلك إلىٰ المشرق، ولقيت مالك بن أنس

---

(١) انظر: بلاد الأندلس ص (٣٤)، ونفح الطيب ١/ ٤٥٨.

والليث بن سعد، ومن دونهما، فوجدت سنة تحويل الأردية معروفة عندهم فاشية[١].

ومن بعده تلميذه يحيىٰ بن يحيىٰ الليثي، وهو من أشهر من حدث عن مالك ونقل عنه «الموطأ» واشتهرت روايته له عند المشارقة والمغاربة علىٰ حد سواء، وعادت فتيا الأندلس إليه بعد عيسىٰ بن دينار، وقد تتلمذ علىٰ مدرستين مختلفتين، بينهما بعض المفارقة، وهي مدرسة الحديث ومدرسة الرأي.

فقد حكىٰ عن نفسه يوم أن كان بمصر فقال: كنت آتي عبد الرحمن بن القاسم فيقول لي: من أين يا أبا محمد؟ فأقول له: من عند عبد الله بن وهب.

فيقول لي: اتق الله، فإن أكثر هذه الأحاديث ليس عليها العمل، ثم آتي عبد الله بن وهب فيقول لي: من أين؟ فأقول: من عند ابن القاسم، فيقول لي: اتق الله يا أبا محمد، فإن أكثر هذه المسائل رأي.

ثم يرجع يحيىٰ فيقول: رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، فكلاهما قد أصاب في مقالته، نهاني ابن القاسم عن اتباع ما ليس عليه العمل من الحديث وأصاب، ونهاني ابن وهب عن غلبة الرأي وكثرته، وأمرني بالاتباع، وأصاب.

ثم يقول يحيىٰ: اتباع ابن القاسم في رأيه رشد، واتباع ابن وهب في أثره هدىٰ[٢].

---

(١) ترتيب المدارك ٣/ ١١٧.

(٢) ترتيب المدارك ٣/ ٣٨٧.

وقد ظهر أثر هاتين المدرستين علىٰ يحيىٰ فيما بعد، فقد أخذ من كل واحد ما وافق الحق ورآه صوابًا، فقد كان متقلدًا مذهب مالك - كما سبق الإشارة إليه - لكنّ هذا لم يمنعه من مخالفة المذهب إذا رأىٰ أنه يخالف الدليل، ولم يمنعه من ذلك أيضًا كونه مرجع قرطبة في التدريس والفتوىٰ.

فمن ذلك أنه ترك رأي مالك في مسألة القنوت في الصبح وغيرها من الصلوات، وفي عدم القضاء باليمين مع الشاهد، وفي جواز كراء الأرض بما يخرج منها، وهذا كله خلاف قول مالك[(١)].

قال ابن الفرضي: كان يفتي برأي مالك بن أنس، لا يدع ذلك إلا في القنوت في الصبح، فإنه تركه لرأي الليث[(٢)].

قال ابن وضاح: سمعت يحيىٰ بن يحيىٰ يقول: سمعت الليث بن سعد يقول: سمعت يحيىٰ بن سعيد يقول: إنما قنت رسول الله ﷺ نحوًا من أربعين يومًا يدعو علىٰ قوم ويدعو لآخرين، ثم ترك القنوت[(٣)].

قال: فلي منذ سمعت هذا الحديث من يحيىٰ بن سعيد نحوًا من أربعين سنة لم أقنت، قال يحيىٰ: ولي أنا أيضًا منذ سمعت هذا

---

(١) **انظر**: ترتيب المدارك ٣/ ٣٨٣.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٩٨.

(٣) ورد في الباب أحاديث عدة، منها: ما أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوتر: باب القنوت قبل الركوع وبعده ١/ ٣١٦، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد: باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة ١/ ٤٦٦ فما بعد.

الحديث من الليث بن سعد نحوًا من أربعين سنة لم أقنت[١].

ومن الأشياء التي ذُكرت عنه في اتباعه للسنة وحرصه علىٰ الأجر، ما ذكره عبد الله بن محمد بن جعفر القرطبي (ت٣١٩هـ) **قال:** رأيت يحيىٰ بن يحيىٰ نازلًا عن دابته ماشيًا إلىٰ الجامع يوم جمعة، وعليه عمامة ورداء متين، وأنا أسحب دابة أبي[٢].

ولا شك أن المشي يوم الجمعة أفضل من الركوب لحديث أوس بن أوس، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من غسّل يوم الجمعة واغتسل، ثم بكّر وابتكر، ومشىٰ، فدنا، واستمع، وأنصت، ولم يلْغ، كتب الله له بكل خطوة يخطوها عمل سنة صيامها وقيامها**»[٣].

وهناك طائفة من العلماء الذين كانوا يفتون بظاهر الحديث دون تقيّد بمذهب[٤].

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٩٨، ٨٩٩.
وقد تابعه علىٰ هذا العمل كثير من فقهاء قرطبة وعلمائها، منهم أبو عيسىٰ يحيىٰ بن عبد الله القرطبي (ت٣٦٧هـ)، فقد كان لا يرىٰ القنوت في الصلاة ولا يقنت في مسجده البتة، ويحتجّ بهذا الحديث المتقدم. **انظر**: ترتيب المدارك ٦/ ١٠٩.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٩٠٠.

(٣) الحديث رواه أحمد في مسنده ٢٦/ ٩٢ (١٦١٧٢)، وأبو داود في سننه كتاب الطهارة: باب في الغسل يوم الجمعة ١/ ٢٤٦ (٣٤٥)، والترمذي في سننه، كتاب الصلاة: باب ما جاء في فضل الغسل يوم الجمعة ٢/ ٣٦٧، ٣٦٨ (٤٩٦)، والنسائي في سننه في الجمعة: باب فضل غسل الجمعة ٣/ ٩٥، ٩٦ (١٣٨١)، والدارمي في سننه ١/ ٣٨٧ (١٥١١)، والحاكم في المستدرك ١/ ٢٨٢، وابن خزيمة في صحيحه ٣/ ١٢٨، ١٢٩ (١٧٥٨)، وابن حبان في صحيحه ٧/ ١٩، ٢٠ (٢٧٨١) من الإحسان، كلهم من طرق عدة مدارها علىٰ أبي الأشعث الصنعاني، عن أوس بن أوس، وسنده صحيح.

(٤) **انظر**: مثلًا ترتيب المدارك ٦/ ٢٩٩، وجذوة المقتبس ١/ ١٠٣، ١٠٤.

علىٰ أننا نجد في المقابل من رد الأحاديث ولم يقبلها، بل أمعن في التعصب حتىٰ بلغ به الحال إلىٰ وضع الأحاديث والتقوّل علىٰ رسول الله ﷺ ما لم يقل لنصرة مذهبه، منهم أصبغ بن خليل القرطبي (ت٢٧٣هـ) فقد «كان معاديًا للآثار، ليس له معرفة بالحديث، شديد التعصب لرأي مالك وأصحابه، ولابن القاسم من بينهم»[(١)].

قال ابن الفرضي وغيره: بلغ به التعصب لأصحابه أن افتعل حديثًا في ترك رفع اليدين في الصلاة بعد الإحرام، ووقف الناس علىٰ كذبه فيه.

قال عبد الله بن محمد: قال أحمد: حدثني أصبغ بن خليل، عن غازي بن قيس، عن سلمة بن وردان، عن ابن شهاب، عن الربيع بن خثيم، عن ابن مسعود، قال: صليت وراء رسول الله ﷺ وخلف أبي بكر، سنتين وخمسة أشهر، وخلف عمر عشر سنين، وخلف عثمان اثنتي عشرة سنة، وخلف علي بالكوفة خمس سنين، فما رفع واحد منهم يديه إلا في تكبيرة الإحرام وحدها. قال أحمد: فوقع الشيخ في حفرة عظيمة، منها: أن الإسناد غير متفق؛ لأن سلمة بن وردان لم يرو عن ابن شهاب، وابن شهاب لم يرو عن الربيع بن خثيم حرفًا قط ولا رآه.

وقال: إن ابن مسعود صلىٰ خلف علي بالكوفة خمس سنين، وابن مسعود مات في خلافة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٢)].

---

(١) قاله ابن عبد البر. **انظر**: ترتيب المدارك ٤/ ٢٥١.

(٢) **انظر**: تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٥٠، ١٥١، وترتيب المدارك ٤/ ٢٥١.

وله أوهام أخرىٰ وتصحيفات حفظت عليه في الحديث والرجال[١].

وقريبًا منه محمد بن يحيىٰ بن عمر بن لبابة القرطبي (ت٣٣٠هـ)، فقد **قال عنه ابن الفرضي**: كان حافظًا للفقه علىٰ مذهب مالك وأصحابه... ولم يكن له علم بالحديث، بل كان يعاديه وينحرف عنه ويعيب أهله.

وسمعت الباجي وغيره ممن أثق به، يصفه بهذه الحال، ولم يكن بالمرضي في نفسه[٢].

وهناك جماعة من متعصبي الفقهاء كانوا إلبًا علىٰ بقي بن مخلد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسبب الكائنة التي مرت الإشارة إليها، منهم رأس المالكية بالأندلس عبد الله بن محمد بن خالد بن مرتينل القرطبي (ت٢٥٦هـ)، الذي كان من أشد أصحابه علىٰ بقيّ[٣].

ومنهم عبيد الله بن يحيىٰ بن يحيىٰ الليثي (ت٢٩٨هـ) فقد طلب من نضر بن سلمة قاضي قرطبة ألاّ يجمعه مع بقي بن مخلد في مجلس واحد للمشاورة في الأحكام حتىٰ لا يكون له نظيرًا، فما مات عبيد الله بن يحيىٰ حتىٰ أرسل الأمير في ولد بقي بن مخلد أحمد، وفي عبيد الله بن يحيىٰ، فشاورهما في مجلسٍ واحدٍ[٤]!

---

(١) **انظر**: المصدرين السابقين.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٠٦.

(٣) المصدر نفسه ١/ ٣٦٩.

(٤) **انظر**: قضاة قرطبة ص (٢٢٣).

وربما ردّ بعضهم حديث رسول الله ﷺ لسببٍ مّا، لا عن عمدٍ، كما وقع لابن وضاح، فقد أنكر عليه أحمد بن خالد القرطبي كثرة رده لكثير من الأحاديث، إذ كان كثيرًا ما يقول: ليس هذا من كلام النبي ﷺ في شيء، وهو ثابت عنه من كلامه[١].

وقد تقدم الجواب عنه في ترجمة ابن وضاح فراجعه إن شئت.

(١) **انظر**: ترتيب المدارك ٤/ ٤٣٧.

المبحث الثاني
مؤلفاتهم في الحديث وعلومه

لقد كان جُلُّ اعتماد محدثي الأندلس علىٰ ما يرد إليهم من المصنفات الحديثية المشرقية، كالكتب الستة، و«الموطأ»، وغيرها من دواوين السنة المشهورة، مما سبق بيانه في الفصل الثاني من الباب الأول، ولكنه وُجد بين محدثي قرطبة من تعاطىٰ صنعة التأليف والتصنيف باقتدار كبير، فألّف كتبًا عظيمة الفائدة، حسنة الوضع، شملت الرواية والدراية.

وقد ساعد علىٰ ذلك أمورٌ عدة، منها:

دعم الدولة وتشجيعها المحدثين وغيرهم علىٰ التأليف، فقد كان الأمراء والخلفاء يقرّبون العلماء الكبار ويكلون إليهم أمر التأليف والنسخ والمقابلة، فقد ذُكر عن الحكم المستنصر مثلًا أنه أنزل عبيد الله بن عمر بن أحمد القيسي الشافعي البغدادي المحدث (ت٣٦٠هـ) بقرطبة وتوسّع له في الجراية، ولم يزل يؤلف له إلىٰ أن مات[(١)].

كما أمر يعيش بن سعيد بن محمد الورّاق بتأليف «مسند حديث ابن الأحمر» كما يقول ابن عبد البر[(٢)].

ومنها: حاجة الناس لهذه المصنفات، فقد كان المجتمع القرطبي -

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٣٥.
(٢) جذوة المقتبس ٢/ ٦١٦.

وهو مجتمع سنة وآثار في الجملة - يحتاج مثل هذه المصنفات ويحرص عليها.

ومنها: أمانة التبليغ ونشر العلم المتمثل في قول الرسول ﷺ: «نَضَّرَ اللهُ امْرءًا سَمعَ مِنّا حَديثًا فحَفظَهُ حتَّىٰ يُبلِّغَه، فرُبَّ حاملِ فِقهٍ إلىٰ مَنْ هوَ أفقهُ منهُ، ورُبَّ حاملِ فِقهٍ ليسَ بفَقيهٍ»[(١)]، خصوصًا بعد عودة هؤلاء المحدثين من رحلتهم إلىٰ المشرق.

ومنها: عادة العلماء وطريقتهم؛ حيث ندبوا المحدث إلىٰ التصنيف عند التأهل لذلك، كما أشار إلىٰ هذا المعنىٰ الحافظ العراقي في ألفيته المسماة بـ «التبصرة والتذكرة» حيث **قال**:

وَاحْفَظْهُ بِالتَّدْرِيْجِ ثُمَّ ذَاكِرِ ... بِهِ، وَالاتْقَانَ اصْحَبَنْ وَبَادِرِ

إذا تَأَهَّلْتَ إلىٰ التَّأْلِيْفِ ... تَمْهَرْ وَتُذْكَرْ، وَهْوَ فِي التَّصْنِيْفِ

طَرِيْقَتَانِ: جَمْعُهُ أبوابَا ... أَوْ مُسْنَدًا تُفْرِدُهُ صِحَابَا[(٢)]

---

(١) هذا حديث متواتر، رواه نحو ثلاثين صحابيًا، وقد ذكره من ألّف في الأحاديث المتواترة. **انظر**: قطف الأزهار المتناثرة ص (٢٨) (٢)، ونظم المتناثر ص (٤٢) (٣).
والحديث أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم: باب فضل نشر العلم ٤/ ٦٨ - ٦٩ (٣٦٦٠) عن زيد بن ثابت، والترمذي في سننه، كتاب العلم: باب ما جاء في الحث علىٰ تبليغ السماع ٥/ ٣٣ (٢٦٥٦) و(٢٦٥٧) عن زيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود، والنسائي في سننه الكبرىٰ، كتاب العلم: باب الحث علىٰ إبلاغ العلم ٥/ ٣٦٣ (٥٨١٦) عن زيد بن ثابت. وابن ماجه في مقدمة سننه: باب من بلّغ علمًا ١/ ٨٤ - ٨٦ (٢٣٠) و(٢٣١) و(٢٣٢) و(٢٣٦) عن زيد بن ثابت وجبير بن مطعم وابن مسعود وأنس بن مالك.

(٢) التبصرة والتذكرة ص (١٥٨).

قال الحافظ العراقي في شرحها: «وإذا تأهل المحدث للتأليف والتخريج واستعدَّ لذلك فليبادر إليه، فقد قال الخطيب: قلّما يتمهّر في علم الحديث ويقف علىٰ غوامضه ويستبين الخفي من فوائده؛ إلا من جمع متفرقه، وألّف متشتته، وضم بعضه إلىٰ بعض، واشتغل بتصنيف أبوابه وترتيب أصنافه»[(١)].

كل ذلك كان حافزًا لهؤلاء المحدثين علىٰ الإكثار من التأليف، وحسن الارتياد لمسالك الاختيار، فظهرت مؤلفات جيدة في بابها، نافعة في مضمونها، كما شهد بذلك حفاظ الحديث ونقاده بالمشرق والأندلس علىٰ حد سواء، وسوف أذكر بعض ما وقفت عليه من أسماء تلك المؤلفات مع ذكر أسماء مؤلفيها، مشيرًا إلىٰ المطبوع منها والمخطوط إن عرفت ذلك، وإن كان أكثرها قد ضاع واندثر مع ما اندثر من تراث تلك الأمة، نتيجةً للخطوب والصروف التي طرقت تلك الأصقاع، ونتيجةً للإهمال الذي ساد الأمة إبّان عصور التخلّف والجمود، **وقد قسمتها إلىٰ ثلاثة أقسام:**

القسم الأول: كتب المتون والرواية.

القسم الثاني: كتب شروح الحديث والغريب.

القسم الثالث: كتب المصطلح وتراجم الرواة والطبقات.

---

(١) شرح التبصرة والتذكرة ص (٣٠٥).

القسم الأول: كتب المتون والرواية:

١ - «المسند»، لبقي بن مخلد القرطبي (ت٢٧٦هـ)، وهو من المسانيد العظيمة، **قال عنه ابن حزم:** «روىٰ فيه عن ألف وثلاثمائة ونيِّف، ثم رتّب حديث كل صاحب علىٰ أسماء الفقه وأبواب الأحكام، فهو مصنف ومسند ولا أعلم هذه الرتبة لأحد قبله»[(١)].

---

(١) جذوة المقتبس ١/ ٢٧٤، ونفح الطيب ٢/ ٥١٩.

وقد ذكر بروكلمان أنه مفقودٌ. كما في تاريخ الأدب العربي ٣/ ٢٠١. **وانظر:** تاريخ التراث العربي ١/ ٢٩٧. لكنْ ذكر المباركفوري في مقدمة تحفة الأحوذي ص (٣٣١) أن منه نسخة في الخزانة الجرمنية (الألمانية) وقد جاء في الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط ص (١٤٤١) أنه موجود في مكتبة دار العلوم الألمانية بألمانية الشرقية سابقًا في لايبزج/ كارل ماركس.

وقال أبو عبد الرحمن بن عقيل في كتابه الشروح والتعليقات علىٰ كتب الأحكام ١/ ١٨١: «حدثني شيخي أبو تراب في مجلس شيخنا حمد الجاسر: أن مسند بقيّ في سبعين جزءًا يوجد في ألمانيا.

ثم حدثني الدكتور عبد الله الجبوري: أن هذا لا يُستبعد بتجزئة الأصل الصغيرة، وأن منه صورة في ثلاث مجلدات عند أحد علماء الشام، وقد نسيتُ اسمه.

ثم حدثني الشيخ أبو تراب تلفونيًا أن الكتاب عُدّ الآن للطبع فكانت بشرىٰ تثلج الصدور!!

وانظر: معجم المصنفات الواردة في فتح الباري ص (٣٧٤) مشهور حسن سلمان، ورائد صبري. وقد نقل عن مسنده ابنُ رجب الحنبلي في شرح علل الترمذي ٢/ ٦٥٠، وابن حجر في فتح الباري ١١/ ٤١٢. وفي الإصابة في مواطن كثيرة كما في تاريخ التراث العربي ١/ ٢٩٧. كما عقد الشيخُ عبدُ الحق الهاشمي موازنةً بينه وبين مسند أحمد نُشرت ضمن المجموعة الثانية من رسائله ص (٤٣)، وكذا فعل الدكتور أكرم العمري في مقدمة تحقيقه لمقدمة مسند بقي.

وقال ابنُ عبد البرّ: «أجازه لي أبو عمر الباجي، وهو في نحو مائتيْ جزءٍ»[(١)].

وقال الذهبي: «صاحب التفسير والمسند اللذيْن لا نظير لهما»[(٢)].

لكن مع الأسف لم يصلنا من مسنده سوىٰ مقدمته المسماة «عدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث»، والتي يظهر أنها من ترتيب ابن حزم[(٣)].

٢- «مختصر مسند بقي بن مخلد»: لعبد الله بن محمد بن حنين الكلاعي القرطبي المعروف بابن أخي رفيع الصائغ (ت٣١٨هـ)[(٤)].

٣- «السنن»: لمحمد بن عبد الملك بن أيمن بن فرج القرطبي (ت٣٣٠هـ)[(٥)].

قال ابن حزم: «مصنف ابن أيمن مصنف رفيع، احتوىٰ من صحيح

---

(١) لمحات الأنوار للغافقي ٣/ ١٣٩٢.

(٢) السير ١٣/ ٢٨٥.

(٣) نُشرتْ هذه المقدمة مرتين: الأولىٰ: ضمن كتاب «جوامع السيرة» لابن حزم بتحقيق: د. شوقي ضيف ود. إحسان عباس، والثانية مستقلة بتحقيق: د. أكرم ضياء العمري، الذي اعتمد في تحقيقه علىٰ نسخة خطيّة من مخطوطات المكتبة الظاهرية، وهذه النشرةُ هي أفضلُ نشرة للكتاب، فقد استدرك في نشرته ما وقع في سابقتها من أخطاء وتحريفات كما بذل جهدًا جبارًا في خدمة النص وتقويمة، جزاه الله خير الجزاء.

(٤) ترتيب المدارك ٥/ ٢١٢، وطبقات المفسرين للداودي ١/ ٢٤٧، وقد تصحَّف فيه حُنين إلىٰ حسن.

(٥) جذوة المقتبس ١/ ١١٦، فهرسة ابن خير ص (١٢٤).

الحديث وغريبه ما ليس في كثير من المصنّفات»[(١)].

وقال محمد بن يحيىٰ بن عبد العزيز: «كان ابن أيمن إمامًا؛ ألّف مصنفًا في السنن علىٰ تصنيف أبي داود»[(٢)].

وقال ابن خير: وهو كتابٌ مُتقنٌ حسنٌ[(٣)].

٤- «السنن»: لقاسم بن أصبغ بن محمد البياني القرطبي (ت٣٤٠هـ)[(٤)].

قال الحميدي: صنّف في السنن كتابًا حسنًا[(٥)].

وقال أبو علي الغساني: وكان قاسم بن أصبغ ومحمد بن عبد الملك بن أيمن قد رحلا جميعًا من الأندلس ووصلا إلىٰ العراق سنة (٢٧٦هـ) فوجدا أبا داود السجستاني قد توفي قبل وصولهما بيسير، مات سنة خمس وسبعين، فلما فاتهما أبو داود عمل كل واحد منهما مصنفًا في السنن علىٰ تراجم كتاب أبي داود، وخرّجا الحديث من روايتهما عن شيوخهما وهما مصنّفان جليلان[(٦)].

٥- «المجتبىٰ»[(٧)]: لقاسم بن أصبغ أيضًا، وهو مختصر لسننه

---

(١) **انظر**: جذوة المقتبس ١/ ١١٧.

(٢) ترتيب المدارك ٥/ ١٨٥.

(٣) فهرسة ابن خير ص (١٢٤).

(٤) جذوة المقتبس ٢/ ٥٢٧، وفهرسة ابن خير ص (١٢٤).

(٥) جذوة المقتبس ٢/ ٥٢٧.

(٦) فهرسة ابن خير ص (١٢٤).

(٧) جاء اسمه في فهرسة ابن خير ص (١٢٥): المجتنىٰ (بالنون).

السابقة ألّفه علىٰ أبواب كتاب ابن الجارود «المنتقىٰ».

قال ابن حزم: «وهو خير منه انتقاءً، وأنقىٰ حديثًا، وأعلىٰ سندًا، وأكثر فائدةً»[(١)].

وقال ابن خير: مصنف علىٰ أبواب الفقه، صنفه لأمير المؤمنين الحكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السنن المسندة... اختصره من كتابه الكبير، وابتدأ باختصاره في المحرم سنة (٣٢٤هـ) وهو سبعة أجزاء، وفيه الحديث المسند ألفان وأربع مائة وأربعة وتسعون حديثًا وسبب تأليفه له أنه رحل للسماع من ابن الجارود فوجده قد مات، فألف هذا المصنف علىٰ أبواب كتابه، خرّجها عن شيوخه[(٢)].

٦- «غرائب حديث مالك مما ليس في الموطأ»: له أيضًا[(٣)].

٧- «مسند حديث مالك» من رواية يحيىٰ: له أيضًا[(٤)].

٨- «مسند حديث محمد بن معاوية القرشي المعروف بابن الأحمر»: جمعه يعيش بن سعيد بن محمد الوراق القرطبي (ت٣٩٤هـ). فيه من الحديث المسند (٤٠٣٣) حديثًا ومن الصحابة (٣١٣) صحابيًا ومن النساء (٤٣) امرأة[(٥)].

---

(١) جذوة المقتبس ٢/ ٥٢٧.

(٢) **انظر**: ترتيب المدارك ٥/ ١٨٢، فهرسة ابن خير ص (١٢٥).

(٣) جذوة المقتبس ٢/ ٥٢٧.

(٤) ترتيب المدارك ٥/ ١٨٢.

(٥) **انظر**: تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٩٣٠، وفهرسة ابن خير ص (١٤٣).

٩- «مسند حديث مالك بن أنس»: لأحمد بن خالد بن يزيد الجياني القرطبي المعروف بابن الجبّاب (ت٣٢٢هـ)[١].

١٠- «مسند حديث شعبة بن الحجاج»: لخلف بن قاسم بن سهل الأزدي القرطبي (ت٣٩٣هـ)[٢].

١١- «مسند حديث مالك بن أنس»: له أيضًا[٣].

١٢- «أعلام النبوة ودلالات الرسالة»: لعبد الرحمن بن محمد بن عيسىٰ القرطبي (ت٤٠٢هـ)، يقع في عشرة أسفار[٤].

١٣- «مسند حديث محمد بن فطيس»: له أيضًا في خمسين جزءًا[٥].

١٤- «مسند قاسم بن أصبغ العوالي»: له أيضًا في ستين جزءًا[٦].

١٥- «ما رُوي في الحوض والكوثر»: لبقي بن مخلد القرطبي (ت٢٧٦هـ)[٧].

والكتاب جزء لطيف وقد طبع ضمن ثلاثة كتب عن الحوض والكوثر بعنوان: «مرويات الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الحوض والكوثر»

---

(١) جذوة المقتبس ١/ ١٩٣، وترتيب المدارك ٥/ ١٧٧، وفهرسة ابن خير ص (٨٨).
(٢) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٥١، وجذوة المقتبس ١/ ٣٢٨.
(٣) المصدرين السابقين، الجزء والصفحة.
(٤) الصلة ٢/ ٤٦٩.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٤٦٩.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٤٦٩.
(٧) الفهرست ص (٣٠٠).

حقّقها وعلّق عليها: د. عبد القادر بن محمد عطا صوفي.

والكتاب مرتبٌ علىٰ مسانيد الصحابة، حيث بدأه بمسند أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وختمه بمسند جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد بلغ عدد الأحاديث فيه (٤٣) حديثًا. وقد ذيل علىٰ الكتاب أبو القاسم بن بشكوال (ت٥٧٨هـ) بكتاب سماه «الذيل علىٰ جزء بقي بن مخلد في الحوض والكوثر» فزاد عليه (١٥) حديثًا، وهو مطبوع معه ضمن الكتاب السابق.

١٦- «الوصل لما ليس في الموطأ»: لمحمد بن إسحاق بن السليم (ت٣٦٧هـ)[(١)].

١٧- «الخمس في الحديث»: له أيضًا[(٢)].

١٨- «القطعان في الحديث»: لمحمد بن وضّاح القرطبي (ت٢٨٦هـ)[(٣)].

١٩- طِبّ العرب[(٤)]، ويسميه بعض الباحثين الطب النبوي[(٥)]: لعبد الملك بن حبيب القرطبي (ت٢٣٨هـ)، وقد طُبع.

---

(١) ترتيب المدارك ٦/ ٢٨١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) فهرسة ابن خير ص (١٥٠).

(٤) كما أُثبت بأوله، وكذا سماه الغساني في كتابه: «حديقة الأزهار في ماهيّة العشب والعقار». **انظر**: الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية ١/ ٨٧.

(٥) كذا ورد اسمه في كتاب: «السنا والسنّوت» ص (٢٨) وفي ترتيب المدارك ٤/ ١٢٨: «الحسبة في الأمراض»، ولعله هذا.

وهو أولُ تأليف في الطب عرفته الأندلس في القرن الثالث الهجري[١].
أورد فيه الأحاديث والأخبار المروية في كل باب من أبواب الطب العلاجي الوقائي وما يتعلق به من الطب والفقه وقد لجأ أحيانًا إلىٰ شرح بعض غريبها، بل أفرد فصلًا خاصًا للتعريف ببعض الأدوية والأدواء، وقد قسّمه إلىٰ فصول وأبواب[٢].

القسم الثاني: كتب شروح الحديث والغريب:

١- «شرح موطأ مالك بن أنس»: ليحيىٰ بن إبراهيم بن مزين (ت٢٥٩هـ)[٣].

٢- «تفسير الموطأ»: لعبد الملك بن حبيب القرطبي (ت٢٣٨هـ)[٤].

٣- «الاستنباط لمعاني السنن والأحكام من أحاديث الموطأ»: لمحمد بن يحيىٰ بن الحذاء القرطبي (ت٤١٦هـ)، وهو شرح للموطأ في ثمانين جزءًا[٥].

٤- «الموعب في تفسير الموطأ»: ليونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث القرطبي (ت٤٢٩هـ)[٦].

---

(١) الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية ١/ ٦.
(٢) مقدمة محقّق طب العرب ص (١٦)، والسنا والسنّوت ص (٢٩).
(٣) جذوة المقتبس ٢/ ٥٩٥، وترتيب المدارك ٤/ ٢٣٩، وفهرسة ابن خير ص (٨٦).
(٤) ترتيب المدارك ٤/ ١٢٧، والسير ١٢/ ١٠٣. وفي فهرسة ابن خير ص (٢٠٢) سمّاه «شرح الحديث»، وقال: وهو عشرة أجزاء، ثم ذكر محتويات أجزائه العشرة نقلًا عن ابن عتّاب.
(٥) ترتيب المدارك ٨/ ٧.
(٦) المصدر نفسه ٨/ ١٨.

٥- «معاني ما أشكل من تراجم صحيح البخاري»: لأحمد بن رشيق الكاتب القرطبي (ت بعد ٤٤٠هـ)[١].

٦- «غريب الحديث»: لمحمد بن عبد السلام الخشني (ت٢٨٦هـ) **قال عنه ابن خير:** نيف علىٰ عشرين جزءًا، شرح حديث النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ في أحد عشر أجزاء (كذا)، وحديث الصحابة في ستة أجزاء، والتابعين في خمسة أجزاء[٢].

٧- «غريب الحديث»: لعبد الملك بن حبيب القرطبي (ت٢٣٨هـ)[٣].

القسم الثالث: كتب المصطلح وتراجم الرواة والطبقات:

١- «خبر الواحد»: لقاسم بن محمد بن قاسم بن سيّار القرطبي (ت٢٧٦هـ)[٤] **قال عنه ابن الفرضي:** شريف.

٢- «الكلام علىٰ الإجازة والمناولة»: لعبد الرحمن بن محمد بن عيسىٰ القرطبي (ت٤٠٢هـ) عدة أجزاء[٥].

٣- «تسمية رجال الموطأ» (المسمّىٰ بالمستقصية): ليحيىٰ بن مزين القرطبي (ت٢٥٩هـ)[٦].

---

(١) جذوة المقتبس ١/ ١٩٥.

(٢) فهرسة ابن خير ص (١٩٥).

(٣) ترتيب المدارك ٤/ ١٢٧، والسير ١٢/ ١٠٣.

(٤) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٩٩، وترتيب المدارك ٤/ ٤٤٨.

(٥) الصلة ٢/ ٤٦٩.

(٦) ترتيب المدارك ٤/ ٢٣٩، وفهرسة ابن خير ص (٩٢)، وفيه: «كتاب المستقصية لابن =

٤- «التعريف برجال الموطأ»: لمحمد بن يحيىٰ بن الحذاء القرطبي (ت٤١٦هـ) في أربعة أسفار[(١)].

٥- «الطبقات فيمن روىٰ عن مالك، وأتباعهم من أهل الأمصار»: لعبد الله بن محمد بن أبي دليم (ت٣٥١هـ)[(٢)]، وهو أحد موارد القاضي عياض المهمة في «ترتيب المدارك».

٦- «تسمية رجال عبد الله بن وهب»: لمحمد بن وضاح القرطبي (ت٢٨٦هـ)[(٣)].

٧- «أسماء المعروفين بالكنىٰ من الصحابة والتابعين وسائر المحدثين»: لخلف بن قاسم بن سهل القرطبي (ت٣٩٣هـ)[(٤)].

٨- «التاريخ الكبير» في أسماء المحدثين: لأحمد بن سعيد بن حزم الصدفي القرطبي (ت٣٥٠هـ).

=

مزين في الموطأ». ثم ذكر بعد ذلك: «كتاب رجال الموطأ» مع أن القاضي عياض ذكر أن «تسمية رجال الموطأ» هو المستقصية، ولم يذكر له «كتاب رجال الموطأ» فلا أدري أهو هو أم غيره؟!

(١) ترتيب المدارك ٨/ ٧، وفهرسة ابن خير ص (٩٣)، وفيه: «كتاب التعريف في رجال الموطأ»، وقد أشار إليه الذهبي في السير ٨/ ٨٦، كما عزا إليه ابن حجر في فتح الباري ٤/ ٤٦٠، وسماه «رجال الموطأ». **وقال الشيخ مشهور حسن سلمان:** اسمه «التعريف بمن ذُكر في موطأ مالك من الرجال والنساء» مخطوط في خزانة القرويين - كتب سنة (٦٧٤هـ) كما في «خزانة القرويين ونوادرها» رقم (١٨). **انظر:** معجم المصنفات الواردة في فتح الباري ص (١٩٩، ٢٠٠).

(٢) ترتيب المدارك ٦/ ١٥٠.

(٣) فهرسة ابن خير ص (٢٢٣).

(٤) جذوة المقتبس ١/ ٣٢٨.

قال ابن الفرضي عنه: «بلغ فيه الغاية».

وقال ابن خير: «وهو كتاب كبير بلغ فيه الغاية من الإتقان، وهو خمسة وثمانون جزءًا»[(١)].

٩- «أخبار الفقهاء والمحدّثين»: لمحمد بن حارث الخشني (ت بعد ٣٣٠هـ)[(٢)].

كتابٌ نفيسٌ جدًا، وهو عمدة من جاء بعده من المؤلفين في كلامهم عن علماء الأندلس ورجالاتها كابن الفرضي وأبي سعيد بن يونس والذهبي والحميدي وغيرهم.

١٠- «تاريخ علماء الأندلس»: لأبي الوليد بن الفرضي (ت٤٠٣هـ)[(٣)].

هذا الكتاب العظيم، هو أحد المصادر المهمة - إن لم يكن أهمها

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٩٧، وفهرسة ابن خير ص (٢٢٧)، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ١٠٤، والأعلام ١/ ١٣٠.

(٢) جذوة المقتبس ١/ ٩٤، وقد طُبع كتاب الخشني، بتحقيق: ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا، وصدر في مدريد عام (١٩٩٢م) عن المجلس الأعلىٰ للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي. والكتاب مليءٌ بالبياضات والسقط في أصل نسخته الخطية التي اعتمدها المحقِّقان، كما أن الكتاب مليءٌ بالتصحيفات والأخطاء نتيجةً لعدم جودة التحقيق، وعدم قراءة الكلمات قراءة صحيحة، والذي ينبغي إعادة تحقيق الكتاب والبحث عن أصول خطية أخرىٰ له.

(٣) فهرسة ابن خير ص (٢١٨). وقد اختلف العلماء في اسم الكتاب علىٰ أقوال كثيرة، ذكرها محقّق الكتاب في مقدمة تحقيقه فلا نطيل بذكرها. وقد طبع الكتاب مرارًا، لعل آخرها ما صدر عن دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني بتحقيق: إبراهيم الإبياري، ضمن المكتبة الأندلسية.

علىٰ الإطلاق - في معرفة علماء الأندلس، لا سيما المحدثين منهم، وقد اعتمدت عليه كثيرًا في جمع مادة هذا البحث، وتقدم كلام العلماء في مدح الكتاب وبيان منزلته[١]. وقد أكمله ابن بشكوال بكتاب نفيس سماه: «الصلة» ابتدأ فيه من السنة التي توقف عندها ابن الفرضي وهي قريب من سنة (٤٠٣هـ) وهي السنة التي توفي فيها ابن الفرضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وقد نصّ ابن بشكوال علىٰ أنه إنما ألّف كتابه تتميمًا لكتاب ابن الفرضي حيث قال في صدر ترجمته لابن الفرضي: وهو صاحب «تاريخ علماء الأندلس» الذي وصلناه بكتابنا هذا»[٢].

كما ذكر في مقدمة كتابه «الصلة»[٣] أن أصحابه سألوه أن يصل لهم كتاب ابن الفرضي.

١١- «المتشابه في أسماء الرواة وكناهم وأنسابهم»: له أيضًا[٤].

١٢- «الأنساب»: لقاسم بن أصبغ البياني القرطبي (ت٣٤٠هـ) **قال عنه الحميدي:** في غاية الحسن والإيعاب[٥].

١٣- «المصابيح في فضائل الصحابة»: لعبد الرحمن بن محمد بن عيسىٰ القرطبي (ت٤٠٢هـ). **قال عنه ابن بشكوال:** مائة جزء[٦].

---

(١) **انظر**: ترجمة ابن الفرضي فيما مضىٰ.
(٢) الصلة ١/ ٣٩١.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٣.
(٤) فهرسة ابن خير ص (٢١٨).
(٥) جذوة المقتبس ٢/ ٥٢٧.
(٦) الصلة ٢/ ٤٦٨.

١٤- «فضائل التابعين لهم بإحسان»: له أيضًا، قال عنه ابن بشكوال: «مائة جزء وخمسون جزءًا»[(١)].

١٥- «الإخوة من المحدثين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين»: له أيضًا. قال عنه ابن بشكوال: أربعون جزءًا[(٢)].

١٦- تأريخ قرطبة: لمسلمة بن قاسم القرطبي (ت٣٥٣هـ)[(٣)].

(١) المصدر نفسه ٢/ ٤٦٨، ٤٦٩.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٤٦٩.

(٣) بحوث في تاريخ السنة المشرّفة ص (٢٠١).

المبحث الثالث
آراؤهم ومشاركاتهم في
علوم الحديث ونقد الرجال

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:

آراؤهم ومشاركاتهم في علوم الحديث.

المطلب الثاني:

آراؤهم ومشاركاتهم في نقد الرجال.

المطلب الأول

آراؤهم ومشاركاتهم في مصطلح الحديث

لم يكن للأندلسيين، بَلْهَ علماء قرطبة؛ تفرّد في مسائل علم مصطلح الحديث، خالفوا به ما تقرر في هذا العلم في الأمصار الأخرىٰ، بل كان اصطلاحهم هو اصطلاح المشارقة نفسه، لكنّ هذا لا يعني عدم وجود آراء انفرد بها الأندلسيون، خالفوا فيها علماء المشرق، وإن كانت قليلة وصورية في أكثر الأحيان.

وبعد البحث والتقصّي - ما أمكن - فإنني لم أجد لهم مسائل كثيرة منصوصة فيما وقفت عليه من مصادر، سواء منها ما جاء في كتب الأندلسيين أنفسهم، أو في كتب المشارقة، وهذا يدل علىٰ الاتفاق التام والمسايرة الكاملة للمشارقة في علم مصطلح الحديث وما يتعلق به.

وسوف أستعرض هنا ما وقفت عليه من آراء علمائها في مصطلح الحديث، وما كان عليه المذهب عندهم في الجملة، موضحًا من قال به من القرطبيين - موضوع البحث - غير مقتصر علىٰ ما خالفوا فيه المشارقة فقط، وقد ذكرتها علىٰ نسق مسائل:

المسألة الأولىٰ: ذهب بعض علماء قرطبة إلىٰ أن الإجازة التي يُحتج بها كالسماع سواءً بسواءٍ، وممن ذهب هذا المذهب: عبد الرحمن بن أحمد بن بقي بن مخلد القرطبي (ت٣٦٦هـ) وأبوه وجده، حيث قال: الإجازة عندي وعند أبي وعند جدي كالسماع[(١)].

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٤٩.

وقد وُجد منهم من كان يعتمد علىٰ الإجازة في أكثر روايته، منهم عبد الملك بن حبيب القرطبي (ت٢٣٨هـ)، فقد كان يتساهل في سماعه، ويحمل عن طريق الإجازة أكثر روايته[(١)]، ومثله مسلمة بن محمد الإيادي القرطبي (ت٣٩١هـ)، فقد كان أكثر ما يحمله من الحديث علىٰ سبيل الإجازة[(٢)].

وقد اختلف العلماء في جواز الرواية بالإجازة وصحة الاحتجاج بها علىٰ قولين:

أوّلهما: عدم صحة الرواية بها، وهو مذهب جماعة من المحدثين والفقهاء والأصوليين، وهو إحدىٰ الروايتين عن الشافعي، وروىٰ ابن وهب عن مالك أنه رآه مرة فعله ومرة كرهه، والمذهب الصحيح الذي استقر عليه العمل، وقال به جماهير العلماء من المحدثين وغيرهم جواز الرواية بالإجازة، حتىٰ بالغ أبو الوليد الباجي فادّعىٰ الإجماع علىٰ ذلك[(٣)].

المسألة الثانية: ذهب حفاظ الأندلس قاطبة إلىٰ جواز التعبير

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٦٠، وترتيب المدارك ٤/ ١٢٩.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٨٢٦.

(٣) **انظر**: المحدّث الفاصل ص (٤٤٨)، والكفاية ص (٣١٤ و٣٣٢)، والإلماع ص (٩٣)، وعلوم الحديث لابن الصلاح ص (١٥١)، وإرشاد طلاب الحقائق ١/ ٣٦٩، والباعث الحثيث ص (٨٩)، وشرح التبصرة والتذكرة ص (٢٠٠، ٢٠١)، وتدريب الراوي ٢/ ٢٩، وفتح الباقي ٢/ ٦٠، وترتيب المدارك ٢/ ٢٧، والبرهان ١/ ٦٤٥، والإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٢/ ١٤٧.

بحدثنا أو أخبرنا أو غير ذلك من الألفاظ في الإجازة دون تمييز بين السماع والإجازة، كما هو مذهب جمهور حفّاظ المشرق.

«وذكر السِّلفي في مقدمته لإملاء الاستذكار: أن مذهب أبي عمر ابن عبد البر وعامة حفاظ الأندلس: الجواز فيما يجاز قول: حدثنا وأخبرنا، أو ما شاء المجاز مما يقرب منه. قال: بخلاف ما نحن وأهل المشرق عليه من إظهار السماع والإجازة، وتمييز أحدهما عن الآخر بلفظ لا إشكال فيه»[(١)].

وهذا المذهب ليس هو مذهب المشارقة كافة، فقد كان الإمام أحمد ومن قبله الزهري ومالك والحسن البصري وغيرهم، لا يرون التفريق في الصيغة بين الإجازة والسماع. قال الخلال: قال الإمام أبو عبد الله أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لولده صالح: إذا أجزت لك شيئًا فلا تبالي قلتَ: أخبرنا أو حدثنا[(٢)].

المسألة الثالثة: من وجوه الإجازة: أن يجيز الشيخ لمعين علىٰ العموم والإبهام دون تخصيص ولا تعيين لكتب ولا أحاديث، كقوله: قد أجزت لك جميع روايتي أو ما صح عندك من روايتي[(٣)].

وقد أشار القاضي عياض إلىٰ وقوع الخلاف في هذا الوجه،

---

(١) الذيل علىٰ طبقات الحنابلة ١/ ٢٢٣.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٢٢. **وانظر**: الكفاية ص (٣٣٢)، وإرشاد طلاب الحقائق ١/ ٤٠٢ فما بعد.

(٣) الإلماع ص (٩١)، بتصرف.

وصحّح القول بجوازه وصحة الرواية والعمل به؛ بعد تصحيح شيئين:

الأول: تعيين روايات الشيخ ومسموعاته وتحقيقها.

والثاني: صحة مطابقة كتب الراوي لها. ونسب هذا القول للجمهور والأكثر من المحدثين والفقهاء والأصوليين. ثم نقل عن أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن القرطبي أنه قال: سمعت أبي[(١)] يقول: لا غنىٰ في السماع من الإجازة لأنه قد يغلط القاري ويغفل الشيخ، أو يغلط الشيخ إن كان هو القارئ، ويغفل السامع فينجبر له ما فاته بالإجازة[(٢)].

وقد ذكر الإمام النووي قول أبي محمد ابن عتاب القرطبي، تحت المسائل المتعلقة بالإجازة فقال: يُستحب للشيخ أن يجيز للسامعين رواية جميع الكتاب الذي سمعوه، وإن كتب خطه لأحدهم، كتب: سمعه مني وأجزت له روايته عني، كما كان بعض الشيوخ يفعل، ثم ذكر قول ابن عتّاب[(٣)].

وهذا إعمالٌ حسنٌ من الإمام النووي لهذا النص؛ لأن سياق كلام ابن عتاب يدل علىٰ ما ذهب إليه الإمام النووي، فهو أليق بكلامه في هذا الموضع، بينما نجد أن ما ذهب إليه القاضي عياض من استدلاله بهذا النص هنا بعيد جدًا، حتىٰ كأنما أُقحم إقحامًا.

---

(١) توفي محمد بن عتاب القرطبي سنة (٤٦٢هـ)، ويلاحظ هنا أن وفاة الإمام خارج إطار الحدّ الزمني للرسالة، وهذا من الحالات النادرة كما نبّهت عليه في خطة البحث.

(٢) الإلماع ص (٩٢).

(٣) إرشاد طلاب الحقائق ١/ ٣٦٤.

المسألة الرابعة: إجازة الشيخ لغير معين بوصف العموم، كقوله: أجزت المسلمين، أو لكل أحد، أو لمن أدرك زماني وما أشبهه[(١)].

وقد اختلف العلماء المتقدمون في هذه المسألة، فمنهم من أجازها بإطلاق، كالخطيب البغدادي، ومنهم من قيدها بقيد، لكنه واسع؛ كأن يقول: لأهل بلدي، أو لقريش ونحو ذلك، كما فعل أبو محمد عبد الله بن سعيد الشنتجالي القرطبي[(٢)]، حيث أجاز لكل من دخل قرطبة من طلاب العلم.

قال القاضي أبو الأصبغ عيسىٰ بن سهل: سألت الفقيه أبا عبد الله بن عتاب أن أقرأ عليه كتاب مسلم، وكان يحمله عن أبي محمد عبد الله بن سعيد الشنتجالي، فقال لي: قد أجاز الكتاب أبو محمد بن سعيد لكل من دخل قرطبة من طلبة العلم، فأنت وأنا فيه سواء[(٣)].

كما اختلف المتأخرون أيضًا في قبولها: فردّها ابن الصلاح، وخالفه جمهور المتأخرين فقبلوها. والتحقيق: أن فعلها جائز، فهي في الجملة خير من إيراد الحديث معضلًا، ولكن الرواية والأداء بها غير مرضيّ، ولا يعتد به، كما نص علىٰ ذلك ابن حجر والسخاوي وغيرهم[(٤)].

---

(١) **انظر**: إرشاد طلاب الحقائق ١/ ٣٧٣.

(٢) ينسب إلىٰ شنتجالة، قرية بالأندلس، وقد جاور بالحرمين أربعين سنة ثم عاد إلىٰ قرطبة، وبها توفي سنة ٤٣٦هـ. **انظر**: الصلة ٢/ ٤١٦.

(٣) الإلماع ص (٩٩).

(٤) **ينظر في بسط هذه المسألة**: مقدمة ابن الصلاح ص (١٥٤)، والكفاية ص (٣٢٥) فما بعد، والتقييد والإيضاح ص (١٥٣)، وفتح المغيث ٢/ ٢٣١، وتدريب الراوي ٢/ ٣٢، =

المسألة الخامسة: إجازة ما لم يسمعه الشيخ المجيز، ولم يتحمله أصلًا بعدُ، ليرويه المجاز له إذا تحمله المجيز بعد ذلك.

ذكر القاضي عياض أنه لم ير من تكلّم عليه من المشايخ. قال: ورأيت بعض المتأخرين والعصريين يصنعونه. ثم حكىٰ عن قاضي قرطبة أبي الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث القرطبي (ت٤٢٩هـ)[(١)] «أنه سئل الإجازة بجميع ما رواه إلىٰ تاريخها، وما يرويه بعد، فامتنع من ذلك، فغضب السائل، فقال له بعض أصحابه: يا هذا يعطيك ما لم يأخذْه! هذا محال، فقال يونس: هذا جوابي».

قال عياض بعد سياقه: وهذا هو الصحيح؛ فإن هذا يجيز بما لا خبر عنده منه، ويأذن في الحديث بما لم يتحدث به بعد، ويبيح ما لم يعلم، هل يصح له الإذن فيه؟! فمنعه الصواب[(٢)].

المسألة السادسة: إعلامُ الشيخ الطالبَ أن هذا الحديث من روايته، وأن هذا الكتاب سماعه فقط، دون أن يأذن له في الرواية عنه، أو يأمره بذلك؛ أو يقول له الطالب: هو روايتك أحمله عنك؟ فيقول له: نعم، أو يقرّه علىٰ ذلك ولا يمنعه[(٣)].

=

وتوضيح الأفكار ٢/ ٣١٧.

(١) انظر ترجمته في: جذوة المقتبس ٢/ ٦١٣، وبغية الملتمس ٢/ ٦٨٨، والسير ١٧/ ٥٦٩، والعبر ٢/ ٢٦١، وشذرات الذهب ٣/ ٢٤٤.

(٢) ينظر الإلماع ص (١٠٥، ١٠٦)، ومقدمة ابن الصلاح مع التقييد والإيضاح ص (١٥٨)، والمقنع ١/ ٣٢١، وإرشاد طلاب الحقائق ١/ ٣٨٥، وتدريب الراوي ٢/ ٣٩، وفتح المغيث ٢/ ٢٦٤، وشرح الكوكب المنير ٢/ ٥٢١، ٥٢٢.

(٣) الإلماع ص (١٠٧، ١٠٨).

قال القاضي عياض: وهو مذهب عبد الملك بن حبيب[(١)] من كبراء أصحابنا، وبها نعىٰ عليه من لم يبلغ معرفته في روايته عن أسد بن موسىٰ. وكان أعطاه كتبه ونسخها، فحدث بها عنه، ولم يجزه إياها، فقيل لأسد: أنت لا تجيز الإجازة، فكيف حدّث ابن حبيب عنك ولم يسمع منك؟

قال: إنما طلب مني كتبي ينتسخها، فلا أدري ما صنع! ونحو هذا[(٢)]. قال خالد: إقرار أسد له بروايتها ودفع كتبه لنسخها هي الإجازة بعينها.

وبكل حال فهذه المسألة فيها خلاف قوي: فقد ذهب كثير من المحدثين والفقهاء والأصوليين وأهل الظاهر إلىٰ جواز الرواية بها، وذهب آخرون - منهم ابن الصلاح والنووي وابن حجر وغيرهم - إلىٰ عدم الجواز[(٣)].

المسألة السابعة: من الأشياء التي ينبغي أن تراعىٰ في كتابة الحديث وضبط الكتاب، العناية بضبط ما تختلف فيه الروايات، وتمييزها كيلا تختلط وتشتبه، فيجعل كتابه علىٰ رواية واحدة، ثم ما كان في غيرها من

---

(١) **هو:** أحد محدثي قرطبة الكبار (ت٢٣٨هـ) وقد تقدمت ترجمته بالتفصيل.

(٢) الإلماع ص (١٠٨، ١٠٩). وانظر القصة في: ترتيب المدارك ٤/ ١٣٠، وتاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٦٠، ٤٦١.

(٣) **انظر بسط المسألة في:** المحدّث الفاصل ص (٤٥١)، والكفاية ص (٣٤٨)، ومقدمة ابن الصلاح ص (١٧٥)، وإرشاد طلاب الحقائق ١/ ٤١٣، والمنهل الروي ص (٩٠)، والباعث الحثيث ص (٩٤)، ونزهة النظر ص (٦٥)، وفتح المغيث ص (٢٢٤)، وتدريب الراوي ٢/ ٥٩، وتوضيح الأفكار ٢/ ٣٤١، وشرح الديباج المذهب ص (٦٦).

زيادة ألحقها في الحاشية، أو من نقص؛ أعلم عليه، أو من خلاف؛ كتبه معيِّنًا في كل ذلك من رواه بتمام اسمه لا رامزًا، إلا أن يبين ذلك في أول الكتاب أو آخره.

واكتفىٰ كثيرون من الأئمة بالتمييز بحمرة، فإذا كان في الرواية الملحقة زيادة علىٰ التي في متن الكتاب كتبها بحمرة، وإن كان فيها نقص وكانت الزيادة في رواية المتن حوّق عليها بحمرة، ثم عليه تبيين صاحب الحمرة في أول الكتاب أو آخره[(١)].

قال القاضي عياض: وقد يقتصر بعض المشايخ علىٰ مجرد التخريج والتحويق والشقّ[(٢)] لإحدىٰ الروايتين، ويكل الأمر إلىٰ ذكره وما عقده مع نفسه من ذلك[(٣)]. وقد رأيت أبا محمد الأصيلي[(٤)] التزم ذلك في كثير

---

(١) بتصرف من الإلماع ص (١٨٩، ١٩٠)، وإرشاد طلاب الحقائق ١/ ٤٤٧، وتوجيه النظر ص (٣٦٠).

(٢) **التخريج:** ما يُثبت علىٰ حواشي الكتاب من سقطٍ في أصل الكتاب، ويُسمىٰ أيضًا اللحق. **انظر:** التأصيل لأصول التخريج وقواعد الجرح والتعديل ص (٥٨)، ومعجم مصطلحات توثيق الحديث ص (١٩ و٦٤).

والتحويق: وضع نصف دائرة علىٰ أول الكلمة المضروبة من الكتاب، وعلىٰ آخرها هكذا (). معجم مصطلحات توثيق الحديث ص (١٩).

والشقّ: مقابل الضرب، وهو من اصطلاح أهل المغرب، كما أن الضرب من اصطلاح أهل المشرق. **والشقّ:** هو أن يخطّ فوق المضروب عليه خطًا بينًا دالًا علىٰ إبطاله بكونه مختلطًا بأوائل كلماته، ولا يطمسه، بل يكون ما تحته ممكن القراءة. المرجع نفسه ص (٤٢).

(٣) معنىٰ هذا أن يبقىٰ الأمر علىٰ تذكّره وما أضمره في نفسه دون أن يوضح مصطلحه في ذلك.

(٤) **هو:** الحافظ أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي القرطبي، راوي صحيح البخاري

من كتابه في صحيح البخاري الذي بخطه، وما وقع فيه علىٰ أبي زيد المروزي، وقيّد فيه روايته ورواية أبي أحمد الجرجاني الذي عليها أصل كتابه. فما سقط لأبي زيد ولم يروه عنه شق عليه بخطه، أو حوّق عليه، وما سقط لهما معًا شق عليه بخطين، ليظهر سقوطه لهما، وما اختلفا فيه أثبت عليه اسم صاحبه(١).

المسألة الثامنة: اصطلاح الحاء المهملة المفردة التي تكتب بعد انتهاء السند: ذكر العلماء لها عدة تفسيرات(٢)، منها: ما ذهب إليه أهل المغرب قاطبة(٣) أنها رمز لكلمة الحديث، حتىٰ إنهم يقولون إذا وصلوا إليها في القراءة: الحديث(٤).

= عن المروزي (ت٣٩٢هـ). **انظر**: تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٢٦، وجذوة المقتبس ١/ ٤٠٠، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٢٤.

(١) الإلماع ص (١٩٠، ١٩١).

(٢) من هذه التفسيرات:

١- أنها تعني التحول والانتقال من سند إلىٰ آخر، ٢- أنها رمز لكلمة (صح)، ٣- أنها رمز لكلمة حايل، أي تحول بين إسنادين لئلا يختلطا. **انظر**: مقدمة ابن الصلاح ص (٢٠٣)، وإرشاد طلاب الحقائق ١/ ٤٥٠، وتدريب الراوي ٢/ ٨٨، وتوضيح الأفكار ٢/ ٣٦٨، ومعجم الرموز عند المحدثين للمؤلف ص (٦١).

(٣) إذا أُطلق المغربُ شمل الأندلسَ أيضًا- بل لقد ألف ابن سعيد المغربي كتابًا سماه: «المغرب في حلىٰ المغرب» تحدث فيه عن مدن الأندلس، وربما أطلقوا عليها المغرب الأقصىٰ، كما سماها بقيّ بن مخلد القرطبي لأحمد بن حنبل في أول لقاء له به في بغداد. **انظر**: المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد ١/ ٢٦٠.

(٤) **انظر**: المصادر السابقة في الإحالة التي ذكرت فيها تفسير الرمز (ح)، إضافةً للمقنع ١/ ٣٦٤، وفتح المغيث ٣/ ١١١.

وحكىٰ ابن الصلاح عن بعض أهل المغرب أنهم رأوا أن ينطق بها القاري (حا) ويمر دون أن يذكر ما ترْمز إليه، وأنه أحوط الوجوه وأعدلها[(١)].

المسألة التاسعة: عدم إسناد الحديث: كما رُوي عن عبد الملك بن هذيل القرطبي (ت٣٥٩هـ): أنه «كان لا يُسند حديثًا، فإذا سُئل عن سند حديث، قال: يا ابن أخي، إنما هي بُتر، فكان من الناس من يحمل ذلك علىٰ الانقباض، ومنهم من يحمله مَحملًا قبيحًا»[(٢)].

وهذا الذي نقل عن عبد الملك بن هذيل خلاف هدي السلف وسَنَن المحدثين، بل إن الإسناد وطلب العلو فيه من الدين، ولولاه لقال مَن شاء ما شاء[(٣)].

قال النووي: الإسناد خصيصة لهذه الأمة، وسنة بالغة من السنن المؤكدة[(٤)].

المسألة العاشرة: تقديم علو الصفة علىٰ علو المسافة: حيث ذهب أئمة الحديث بالأندلس إلىٰ أن علو الصفة أرجح من علو المسافة

---

(١) مقدمة ابن الصلاح ص (٢٠٤).

(٢) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٦٥، وعنه في ترتيب المدارك ٦/ ٢٩٢.

(٣) روي هذا عن عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهم، كما في مقدمة صحيح مسلم ١/ ١٥، والعلل الصغرىٰ للترمذي، السنن ٥/ ٦٩٥، وشرف أصحاب الحديث ص (٤١)، والرحلة في طلب الحديث ص (٨٩). **وانظر**: الإسناد من الدين ص (١٥) فما بعد.

(٤) إرشاد طلاب الحقائق ٢/ ٥٢٩.

خلافًا للمتأخرين من المشارقة[١].

وعلوّ المسافة يطلق علىٰ ثلاثة أقسام من أقسام العلو الخمسة التي استحبّها المحدثون، وهي:

١- القرب من رسول الله ﷺ، بإسناد صحيح نظيف.

٢- القرب من إمام من أئمة الحديث.

٣- العلو بالنسبة إلىٰ رواية البخاري ومسلم أو أحدهما، أو غيرهما من الكتب المعتمدة.

وعلوّ الصفة يشمل قسمين:

١- العلو بتقدم وفاة الراوي.

٢- والعلو بتقدم السماع[٢].

وهذان القسمان الأخيران، هما اللذان قدمهما الأندلسيون علىٰ الثلاثة الأولىٰ.

المسألة الحادية عشرة: من باب المؤتلف والمختلف: كَريز وكُريز.

قال محمد بن وضاح القرطبي: كريز بالفتح في خزاعة، وبالضم في عبد شمس بن عبد مناف[٣].

---

(١) فتح المغيث ٣/ ٣٥٤.

(٢) **انظر**: العلو والنزول ص (٥٧)، معرفة علوم الحديث ص (١٢)، والإرشاد للخليلي ١/ ١٧٧ فما بعد، والاقتراح ص (٣٠٣) فما بعد، إضافة إلىٰ كتب المصطلح الأخرىٰ لا سيما: تدريب الراوي ٢/ ١٦١، وفتح المغيث ٣/ ٣٣٩.

(٣) **انظر**: مقدمة ابن الصلاح ص (٣٤٦)، وإرشاد طلاب الحقائق ٢/ ٧٠٠.

ومنه أيضًا: السّفْر، قال ابن الصلاح[١]: بإسكان الفاء، والسّفَر بفتحها، وجدتُ الكنىٰ من ذلك بالفتح، والباقي بالإسكان، ومن المغاربة من سكّن الفاء من أبي السّفَر سعيد بن يُحمِد، وذلك خلاف ما يقوله أصحاب الحديث، حكاه الدارقطني عنهم[٢].

(١) في المقدمة ص (٣٤٧). **وانظر**: إرشاد طلاب الحقائق ١/ ٧٠٣.

(٢) المؤتلف والمختلف ٣/ ١١٨٥. لكن لم أجد حكاية قول المغاربة فيه.

المطلب الثاني
آراؤهم ومشاركاتهم في نقد الرجال

لقد شارك علماء الحديث بقرطبة في نقد الرجال، والكلام فيهم جرحًا وتعديلًا، وتكلموا عن مروياتهم وكتبهم تبيينًا للناس، ونصحًا للأمة؛ لأن علمَ الشريعة دينٌ يُدان اللهُ به[(١)]؛ فلا بدّ من أخذه عن العدل الضابط.

وقد رحل كثير من القرطبيين إلىٰ المشرق لأخذ العلم عن أهله، ثم عادوا بعدُ إلىٰ قرطبة بعلم كثير، فمنهم الحافظ الثبت المتقن، ومنهم الصدوق المقبول، ومنهم الضعيف، والضعيف الهالك، وقد تصدّر أكثر هؤلاء للتدريس والفتيا بعد عودتهم، فكان لزامًا علىٰ الأثبات من العلماء أن ينهد منهم طائفة لبيان درجة هؤلاء، والكشف عن أحوالهم، حتىٰ يقف الناس عامة وطلاب العلم منهم خاصة علىٰ حقيقتهم ومراتبهم.

وقد اشتهر بنقد الرجال، أو المشاركة في ذلك طائفةٌ، منهم: بقيّ بن مخلد[(٢)] ومحمد بن وضاح[(١)]، وقاسم بن محمد بن قاسم القرطبي[(٢)]،

---

(١) مأخوذٌ من كلام الإمام محمد بن سيرين، رواه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه ١/ ١٤ بسند صحيح، والرامهرمزي في المحدث الفاصل ص (٤١٤)، والخطيب في الجامع ١/ ١٢٩.
وقد رُوي مرفوعًا من حديث أنس، وموقوفًا من كلام أبي هريرة. **انظر**: ضعيف الجامع الصغير، حديث (٢٠٢٣)، وقد رمز السيوطي لضعفه، وقال الألباني: ضعيف جدًا.

(٢) **انظر**: ذكر من يُعتمد قوله في الجرح والتعديل ص (١٨٥) والإعلان بالتوبيخ ص (٧١٢).

وأحمد بن خالد بن الجبّاب القرطبي[٣]، وحسن بن سعد الكتامي، صاحب بقيّ بن مخلد[٤]، وقاسم بن أصبغ القرطبي[٥]، ووهب بن مسرة[٦]، وأحمد بن محمد بن عبد البر القرطبي[٧]، وأحمد بن سعيد بن حزم الصدفي[٨]، وخالد بن سعد القرطبي[٩]، وعبد الله بن محمد اللخمي المعروف بابن الباجي[١٠]، ومحمد بن إسحاق بن السليم قاضي الجماعة بقرطبة[١١]، وقاسم بن سعدان بن عبد الوارث[١٢]، ومحمد بن أحمد بن محمد بن يحيىٰ بن مفرج القرطبي[١٣] ومحمد بن عبد الملك بن أيمن[١٤] وابن الفرضي[١٥] وغيرُهم كثيرٌ.

=

(١) **انظر**: المصدرين السابقين، ومحمد بن وضاح القرطبي ص (١٣٨).

(٢) **انظر**: ذكر من يُعتمد قوله في الجرح والتعديل ص (١٨٥).

(٣) المصدر نفسه ص (١٩١).

(٤) المصدر نفسه ص (١٩٣).

(٥) المصدر نفسه ص (١٩٣).

(٦) المصدر نفسه ص (١٩٤). وهو ممن استُقدم إلىٰ قرطبة للتدريس بها، وأصله من أهل وادي الحجارة. **انظر**: تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٧٧.

(٧) المصدر نفسه ص (١٩٥).

(٨) المصدر نفسه ص (١٩٦)، وتاريخ علماء الأندلس ١/ ٩٦ فما بعد.

(٩) المصدر نفسه ص (١٩٦)، وتاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٣٩.

(١٠) المصدر نفسه ص (١٩٦)، وتاريخ علماء الأندلس ١/ ٤١٣.

(١١) المصدر نفسه ص (١٩٦)، وتاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٤٩.

(١٢) المصدر نفسه ص (١٩٦)، وتاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦١٤.

(١٣) المصدر نفسه ص (١٩٦)، وتاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٧٠.

(١٤) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٠٤.

(١٥) أبو الوليد بن الفرضي القرطبي حياته وآثاره العلمية ١/ ٢١١.

وكتب تراجم الأندلسيين مليئة بالعبارات المعدّلة والجارحة ولو ذهبنا نستقصي كل ما هنالك لطال السرد، ولكنني أقتصر علىٰ نماذج يسيرة من أشهر كتبهم، جانحًا إلىٰ التنويع في العبارات، مقتصرًا علىٰ الجرح دون التعديل؛ لأن العدالة هي الغالبة علىٰ العلماء، وما من عالم إلا ويسرد صاحب الكتاب أقوالًا كثيرة للعلماء في مدحه والثناء عليه، إضافة إلىٰ أن الجرح فيه زيادة علم؛ لأن الجارح اطلع علىٰ ما لم يطلع عليه المعدِّل.

ولم يقتصر علماء قرطبة علىٰ محدثي بلدهم فحسب، بل شاركوا أيضًا في بيان حال علماء المشرق الذين تتلمذوا لهم، فقد روىٰ ابن حزم بسنده إلىٰ خالد بن سعد، قال: سمعت سعيد بن عثمان الأعناقي وسعد بن معاذ ومحمد بن فطيس، يحسنون الثناء علىٰ أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، وهو ابن أخي ابن وهب، ويوثقونه، وكان محمد بن فطيس يعنّف أحمد بن شعيب (يعني النسائي) في تحامله عليه[(١)].

---

(١) جذوة المقتبس ١/ ١٤٠.

قال ابن عدي: رأيت شيوخ مصر الذين لحقتهم مُجمعين علىٰ ضعفه، والغرباء لا يمتنعون من الأخذ عنه: أبو زرعة، وأبو حاتم فمن دونهما. اهـ. **وقال فيه أحمد بن شعيب النسائي:** كذاب. **انظر:** الضعفاء والمتروكون ص (٦٠).

وخلاصة القول في أحمد بن عبد الرحمن بن وهب: أنه صدوق تغيّر بآخره، وبالتحديد بعد الخمسين ومائتين، أي بعد سماع مسلم منه وخروجه من مصر. **انظر:** الكامل ١/ ١٨٨، والجرح والتعديل ٢/ ١/ ٥٩، وتهذيب الكمال ١/ ٣٨٧، وميزان الاعتدال ١/ ١١٣، وتهذيب التهذيب ١/ ٥٤، وتقريب التهذيب ص (٨٢)، وخلاصة تهذيب الكمال ص (٩).

وها أنذا أسرد بعض تلك الأنواع التي وقفت عليها:

١- رَمْي الراوي بالكذب والوضع: منهم مالك بن علي القطني (ت٢٦٨هـ)، تكلم فيه ابن وضاح وغيره، وأكذبه وكذّبوه فيما يرويه، **وقال ابن أيمن:** لم يكن جيد الضبط في الحديث ولا الفقه[١].

ومنهم محمد بن الوليد بن محمد القرطبي (ت٣٠٩هـ): اتهم بالكذب في أحاديث أسندها. **قال أحمد بن زياد:** كان يضع الحديث، ويكذب علىٰ رسول الله ﷺ، صحّ ذلك عنه في غير ما حديث وقال خالد بن سعد: محمد بن وليد كذاب[٢].

٢- اطّراح حديث الراوي: منهم عبد الرحمن بن سعيد التميمي (ت٢٦٥هـ). فقد طرح الأعناقي وبعضهم حديثه وتركوا الرواية عنه[٣].

٣- عدم الضبط للرواية والتدليس فيها: منهم محمد بن عمر بن مزاحم (ت٣٦٧هـ)، **قال ابن الفرضي:** كانت فيه غفلة وسلامة وتقشف في ملبسه وورع، وذُكر أنه كان يدلس في حديثه[٤]. **وقال أيضًا:** لم يكن بالضابط لرواية في الحديث والفقه، ولا كانت له أصولٌ يرجع فيها[٥].

---

(١) ترتيب المدارك ٤/ ٢٥٧.
(٢) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٧٦، وترتيب المدارك ٥/ ١٦٦.
(٣) **انظر**: ترتيب المدارك ٤/ ٢٦٤.
(٤) ترتيب المدارك ٦/ ٢٩٨.
(٥) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٤٨.

٤- الاختلاط: منهم قاسم بن أصبغ القرطبي (ت٣٤٠هـ)، فقد تغير ذهنه آخر سنة (٣٣٧هـ) إلىٰ أن مات. وأول ما عرف منه أنه كان مسايرًا لأصحابه يومًا فلقي جمل حطب، فقال لأصحابه: هذا الفيل! فعوِّجوا عن طريقه، وزال عن الطريق[(١)].

٥- عدم العلم بالحديث: منهم قرعوس بن العباس بن قرعوس القرطبي (ت٢٢٠هـ)، قال ابن الفرضي: وكان رجلًا متدينًا فاضلًا ورعًا، وكان علمه بالمسائل علىٰ مذهب مالك وأصحابه، ولا علم له بالحديث[(٢)].

ومنهم أصبغ بن خليل (ت٢٧٣هـ)، قال ابن الفرضي: لم يكن له علم بالحديث، ولا معرفة بطرقه، بل كان يباعده ويطعن علىٰ أصحابه[(٣)].

(١) ترتيب المدارك ٥/ ١٨٢، وقد تقدم بيان ذلك في ترجمته.
(٢) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٢١.
(٣) انظر: المصدر السابق ١/ ١٥٠، وترتيب المدارك ٤/ ٢٥١.

الفصل الثالث

جهود المحدثين التربوية

وعلاقاتهم بطلابهم

الفصل الثالث

جهود المحدثين التربوية وعلاقاتهم بطلابهم

لقد حظي العالم الشرعي بمنزلة عظمىٰ في الإسلام، ونال تكريمًا وتشريفًا يليقان بمكانته وبسامق منزلته، لكونه يبلّغ شرع ربه، ويجدد ما اندرس من معالم دينه، وليست بخافية تلك الآيات والأحاديث التي جاءت في هذا الباب[(١)].

ولقد رعىٰ المسلمون عامة - فضلًا عن طلاب العلم - هذا الحق للعالم منذ العهد الأول فما بعد، والشواهد علىٰ هذا الأمر، لا يكاد يأتي عليها الحصر، لكثرة العلماء وكثرة الطلاب في كل زمان ومكان[(٢)].

وعلىٰ هذا النسق كان الحال في قرطبة بين الطالب والشيخ، فقد بلغت منزلة المحدث بها مبلغًا عظيمًا، كما نشأت علاقة وطيدة بين الشيخ والتلميذ، يؤكدها الحب والشفقة والعناية من جانب الشيخ، ويزينها الاحترام والتقدير ورعاية الحرمة من جانب التلميذ.

وقد حفلت كتب التراجم الأندلسية بأخبار كثيرة حية تشهد لهذا المعنىٰ وتعضده، وسأعرض لهذا الجانب في نقاط:

---

(١) أحسن مَن جمع الآيات والأحاديث والآثار في هذا الصدد، وساقها سياقًا حسنًا، ابن عبد البر في كتابه «جامع بيان العلم وفضله» قديمًا، والدكتور يوسف القرضاوي في كتابه «الرسول والعلم» حديثًا.

(٢) **ينظر علىٰ سبيل المثال**: أدب الإملاء والاستملاء ص (١٣٤)، والجامع للخطيب ١/ ١٨٢ فما بعد، وجامع بيان العلم وفضله ص (١٨٠) فما بعد، والتربية والثقافة العربية الإسلامية ص (٣٢٨) فما بعد.

أولًا: اكتشاف الطالب والاجتهاد في تعليمه:

قد يوجد بين الطلاب من يكمن فيه النبوغ، وتلوح عليه مخايل النجابة، ولكنه خامل لا يُؤبه له، ساكن لا يُتفطن إليه، وربما لا يشعر هو نفسه بهذا الكامن، فيحتاج هذا الطالب إلىٰ من يوقد فيه جذوة الحركة، ويبعث فيه راقد العزم، فإذا هو عطاء دافق، ومورد زخّار، وهذا هو واجب الشيخ النبيه ذي الفراسة الصادقة، والحس العالي، وقصة الإمام الشافعي مع شيخه مالك أنموذج يشهد لهذا المعنىٰ[(١)].

وكذا الحال بين أبي حنيفة وتلميذه أبي يوسف، حيث لمس فيه الحرص والنبوغ، فأخذ يتعاهده بالمال لئلا ينصرف عن درسه[(٢)].

وقد مرّ معنا في مبحث سابق، أن سبب نبوغ يحيىٰ بن يحيىٰ في العلم، هو إعجاب شيخه زياد شبطون به، وصدق فراسته فيه لمّا أحس فيه الإقبال والرغبة، فسرّ به واجتهد في تعليمه، حتىٰ فاق تلاميذه[(٣)].

---

(١) **خلاصة القصة**: أن الشافعي لما قدم علىٰ مالك من مكة وحدثه بحاله وقصته، قال الشافعي: فلما سمع كلامي نظر إليّ ساعة - وكانت لمالك فراسة - فقال لي: ما اسمك؟ فقلت: محمد. قال: يا محمد! اتق الله واجتنب المعاصي، فإنه سيكون لك شأن من الشأن. فقلت: نعم وكرامة. فقال: إذا كان غدًا تجيء ويجيء من يقرأ لك الموطأ. فقلت: إني أقرأ ظاهرًا. فغدوت إليه وابتدأت، فكلما تهيبت مالكًا وأردت أن أقطع، أعجبه حسنُ قراءتي وإعرابي، يقول: يا فتىٰ زد. حتىٰ قرأته عليه في أيام يسيرة. مناقب الشافعي للبيهقي ١/ ١٠٣. **وانظر**: قصة عبد الملك بن هذيل مع معلمه في المكتب، ترتيب المدارك ٦/ ٢٩٤.

(٢) تنظر القصة في سير أعلام النبلاء ٨/ ٥٣٦.

(٣) ترتيب المدارك ٣/ ٣٨٠، بتصرف.

والذي أضيفه هنا، هو أن زيادًا مع اجتهاده في تعليم تلميذه الجديد - بعد اكتشافه المبكر له - لم يقتصر علىٰ تعليمه فحسب، بل أرشده إلىٰ ما هو أنفع له، وهو الرحلة في طلب الحديث إلىٰ الإمام مالك نفسه، وأخذ الموطأ عنه مباشرة دون واسطة، وبالفعل فقد رحل إلىٰ الإمام مالك وسمع منه مباشرة وأفاد منه(١).

وكان نتيجة هذا الاكتشاف والتوجيه المبكر، أن صار يحيىٰ بن يحيىٰ مفتي الأندلس وإمامها غير منازع، حتىٰ قال أحمد بن خالد: لم يُعط أحد من أهل العلم بالأندلس - منذ دخلها الإسلام - من الحظوة وعظم القدر وجلالة الذكر، ما أعطيه يحيىٰ بن يحيىٰ(٢).

ومثله بقيّ بن مخلد، فقد تفرس النجابة والإدراك في تلميذه: بكر بن رداد الإلبيري، الذي سمع منه الحديث وصحبه، فكان بقيّ يُؤثِره ويُقدِّمه(٣).

كما أنه وصّىٰ تلميذه: مالك بن يحيىٰ القرشي القرطبي - الذي لازمه فخبره وعرفه وذلك لما تولّىٰ بعض المناصب، فقال له: يا مالك! أوصيك بوصية: إنك لا تستطيع كل ما يجب عليك، ولكن كن أسدَّ من غيرك. فقال مالك: أنا والله أسدّ من غيري(٤).

---

(١) **انظر**: تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٩٨، وترتيب المدارك ٣/ ١١٦.
(٢) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٩٠٠.
(٣) المصدر نفسه ١/ ١٧٤.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٦٢٨.

ولقد كان خالد بن سعد القرطبي يعتني بتلميذه أحمد بن عبد الله الجذامي - الذي كان يتردد عليه كثيرًا - حتىٰ تحقّق وانتفع به[١].

ثانيًا: المثابرة على تعليم الطلاب والصبر على ذلك:

لا شك أن التدريس في الإسلام عملية صعبة، ومهمة شاقة، لا يستطيعها كل أحد؛ لأنها تحتاج - مع الحصيلة العلمية الجيدة - إلىٰ التخلق بالأخلاق الحسنة والتطبع بطباع أهل العقل والحكمة، والاقتداء بسنن الأنبياء والصالحين، ومن بعد هذا كله يأتي دور تربية الطلاب علىٰ هذه المعاني، والصبر علىٰ ما قد يصدر منهم من أشياء غير محمودة، رجاء أن ينتفعوا بعلمه، وينفعوا به غيرهم، حتىٰ إن ابن وضاح كان من شدة حرصه علىٰ انتفاع طلابه يدعو لهم في صلاته، قال أحمد بن خالد: كان ابن وضاح يقول لي: إني لأدعو الله لكم في سجودي أن ينفعكم الله، لأنكم إذا انتفعتم انتفعت أنا بكم[٢].

وهذه شواهد علىٰ صبر أولئك المحدثين علىٰ تعليم الطلاب وإسماعهم الحديث.

- أحمد بن سعيد بن حزم الصدفي القرطبي، لم يزل يحدث إلىٰ أن توفي[٣].

- أحمد بن عبد الله الجذامي القرطبي، كتب عنه الطلاب كثيرًا،

---

(١) المصدر نفسه ١/ ١١٩.

(٢) ترتيب المدارك ٤/ ٤٣٩.

(٣) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٩٧.

ومنهم ابن الفرضي[١].

- داود بن جعفر بن الصغير القرطبي، **قال مطرف بن قيس عنه:** كان فاضلًا كتبت عنه نحوًا من ثلاثة آلاف حديث أو أكثر[٢].

- يحيىٰ بن هلال بن زكريا القرطبي، كان مقصودًا في السماع، دؤوبًا عليه، لم يُر في المحدثين أصبر منه علىٰ المواظبة[٣].

- إسماعيل بن إسحاق القيسي، كان صبورًا علىٰ المواظبة علىٰ الجلوس للسماع[٤].

وربما تأبّىٰ بعضهم عن الإسماع في البداية لأمر ما، ثم يجيب إليه بعد ذلك، كما حصل لمحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي دليم القرطبي، حيث كان يأبىٰ الإسماع، إلىٰ أن توفي أصحابه، ورغب الناس إليه، فأجاب إلىٰ ذلك قبل وفاته بثلاثة أعوام، فقُرئ عليه علمٌ كثيرٌ[٥].

ولا يخفىٰ أن لطلاب العلم دورًا في هذا، إذ إن الشيخ عندما يرىٰ إقبال الطلاب علىٰ السماع، وحرصهم علىٰ الحديث، يكون ذلك حافزًا له، ومشجعًا لبذل المزيد، احتسابًا، ولقد وجد من الطلاب من كان يقصد المحدث ليكتب عنه، فيعده بالتفرغ، ويضرب له المواعيد علىٰ ذلك.

---

(١) المصدر نفسه ١/ ١١٩.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٥٨.
(٣) ترتيب المدارك ٦/ ٣٠١.
(٤) المصدر السابق ٦/ ٢٩٩.
(٥) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٥٨.

كما صنع طلاب قرطبة مع المسند مسعود بن خيران البجاني (ت٣٧١هـ) عندما انتقل إلىٰ قرطبة، حيث دخلوا عليه ليكتبوا حديثه، فوعدهم بالتفرغ لهم، لكن اخترمته المنيّة، قبل تحقّق الأمنيّة[١].

لكننا قد نجد في المقابل بعض العلماء لا يصبر علىٰ السماع ولا يقوىٰ عليه، لنكارة في خلقه أو ضيق في صدره، كما ذكر عن خلف بن محمد بن خلف الخولاني (ت٣٧٤هـ) فقد كان عسرًا في الإسماع ممتنعًا إلا من يسيره، نكر الخلق، حرج الصدر، وكانت عنده فوائد، فكان يُصبر علىٰ الاختلاف إليه فيها[٢].

وهذا وإن كان قليلًا، إلا أنه يبين لنا مدىٰ صبر أولئك الطلاب علىٰ الطلب وحرصهم علىٰ العلم.

ثالثًا: قيام علاقات علمية خاصة بين المحدّث والطالب:

سبق أن ذكرت تحت النقطة الأولىٰ اهتمام بعض أشياخ الحديث بطلابهم، لتفوقهم وتميزهم في مجلس الدرس علىٰ بقية الطلاب. لكن ربما قامت علاقات خاصة بين الشيخ وأحد طلابه، فيوليه الشيخ لأجلها مزيد عناية، ويختصه وحده بأشياء قد لا يحصلها بقية طلاب، كإسماعه كتابًا معينًا، أو عقده مجلس مذاكرة معه، أو منحه إجازة عامة بمروياته، أو زيادة في انبساطه معه وإكرامه له.

فهذا محمد بن محمد بن عبد السلام الخشني القرطبي، انفرد

---

(١) المصدر نفسه ٢/ ٨٢٨.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٤٩.

برواية كتب عن أبيه لم يروها غيره، فسمعها الناس منه[١].

كما ذكر أبو عمر بن الحذاء أنه سمع علىٰ أبي عمر الباجي لما دخل قرطبة من مصنف أبي بكر بن أبي شيبة من ثلثيه (كذا) من أول الديوان[٢].

وهذا يحتمل أنه إسماع خاص به؛ لأن الرجل كان غريبًا عن البلد، والله أعلم.

كما أن رشيد بن فتح الدجاج القرطبي (ت٣٧٦هـ)، كان يأبىٰ من الإسماع إلا في اليسير ممن يستحبه، حتىٰ إن ابن الفرضي - رغم حرصه علىٰ العلم والطلب - لم يتسنّ له أن يكتب عنه إلا حديثًا واحدًا[٣].

وقد بلغ ببعض المحدثين أن كان يزور بعض طلابه، ليستفيد منه، كما فعل يوسف بن مطروح الربضي القرطبي، حيث جاء إلىٰ تلميذه إبراهيم بن محمد بن باز ليقرأ عليه «جامع» ابن وهب، فقال ابن باز: يا سيدي! كنت أمضي إليك لو بعثت فيّ - لأنه كان من ثقة أشياخه - فقال له: لا، في بيته يؤتىٰ الحَكَم[٤].

وهذا شيءٌ لطيفٌ، يدل علىٰ كريم أخلاق هذا الشيخ.

---

(١) المصدر نفسه ٢/ ٧٠٩.

(٢) فهرسة ابن خير ص (١٣٣).

(٣) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٦٨.

(٤) ترتيب المدارك ٤/ ٤٤٣.

ويشاكله في اللطافة: أن محمد بن مسرة القرطبي أراد أن يستدعي تلميذه محمد بن أحمد اللؤلؤي القرطبي للمذاكرة في بعض أيام الشتاء، فكتب إليه:

هَلُمَّ إنَّ اليومَ، يومُ دَجْنِ
إلىٰ محلٍّ كالضّميرِ المكْنِي
ساكنُه كطائرٍ في وَكْنِ
لعلَّنا نُحْكِمُ أدنىٰ فَنِّ
في مجلسٍ مُرفْرفٍ ذي كِنِّ
فأنتَ عندَ الطينِ أمشَىٰ مِنّي
وأنتَ في سِنّكَ دُونَ سِنّي (١)

---

(١) **انظر**: جذوة المقتبس ١/ ١١٠، وترتيب المدارك ٦/ ١١٣، وبغية الملتمس ١/ ١٢٠، ومطمح الأنفس ص (٢٨٧) - وفيه اختلاف كثير ونقص عن ما هو مثبت هنا - ويتيمة الدهر ٢/ ٦٤.

وفي ترتيب المدارك: أن اللؤلؤي هو الذي استدعىٰ محمد بن مسرة، وهو خطأ؛ لأنه قال في أبياته المتقدمة: (**وأنت في سنك دون سنّي**)، ومحمد بن مسرة كان أكبر سنًا فيما يبدو بدليل أنه توفي سنة (٣١٩هـ) كما في تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٨٩ عن عمرٍ يزيد عن الخمسين عامًا؛ لأنه ولد في شوال سنة (٢٦٩هـ)، بينما توفي اللؤلؤي في سنة (٣٥٠هـ) أو (٣٥١هـ) كما في ترتيب المدارك ٦/ ١١٧، أي بعد ابن مسرة بإحدىٰ وثلاثين سنة. كما أن أكثر المصادر علىٰ أن اللؤلؤي هو المُستدعَىٰ لمجلس المذاكرة. ثم إن ابن مسرّة هو الشيخ واللؤلؤي هو التلميذ. وعلىٰ أيِّ وجهٍ كان اللقاء، فهو دليل علىٰ ما نرمي إليه، والله أعلم.

وقد نشأت علاقات علمية أخرىٰ، سببها مكانة والد الطالب من الشيخ، فيهتم الشيخ بابن هذا الرجل اهتمامًا زائدًا، فقد كان محمد بن عبد الله بن عيسىٰ يشاور عبد الله بن محمد بن محمد القرطبي من أجل أبيه، بالرغم من أن عبد الله هذا كان قليل العلم جدًا كما يقول ابن الفرضي[١].

وهكذا فعل ابن وضاح مع وهب بن عيسىٰ الأنصاري الطليطلي - الذي سمع كثيرًا من ابن وضاح - فقد كان يكرمه من أجل أن أباه - وهو من المياسير - كان يهدي إليه الهدايا[٢].

وتعدّ الإجازة في الحقيقة مظهرًا من مظاهر الاهتمام بالطالب، وتقديمه علىٰ غيره، وبالتالي تعدّ من هذا الوجه علاقة علمية خاصة بين الشيخ والتلميذ؛ لأن الإجازة لا يتحصّل عليها كل أحد، خصوصًا إذا كانت عامة لخاصّ.

وها أنذا أذكر أنموذجًا واحدًا لأحد الطلاب المجدّين، الذي كانت تربطه علاقات علمية واسعة مع علماء عصره، ذاك هو عبد الله بن محمد القرطبي المشهور (بابن الفرضي) والذي استطاع أن يجمع إجازات علمية كثيرة في الحديث وغيره، لم يتحصل عليها كثير من أقرانه، ولو تتبعنا جميع من أجازه لطال السرد، ولكننا نقتصر علىٰ بعضهم للتمثيل:

- محمد بن عبد الله بن محمد البجاني - نزيل قرطبة - (ت٣٩٠هـ)

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٠٢.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٨٧٦، ٨٧٧.

الذي أجاز له حديثه[١].

- عبد الله بن إسماعيل بن حرب القرطبي (ت٣٨٠هـ) وقد أجاز له كل ما رواه[٢].

- قاسم بن محمد بن قاسم بن أصبغ القرطبي (ت٣٨٨هـ) وقد أجاز له جميع ما رواه عن جده[٣].

- عيسىٰ بن سعيد بن سعدان الكلبي القرطبي (ت٣٩٠هـ) وقد أجاز له جميع ما رواه[٤].

- محمد بن يحيىٰ بن زكريا التميمي القرطبي (ت٣٩٤هـ) وقد أجاز له جميع ما رواه[٥].

- أحمد بن عبد الله الجذامي القرطبي (ت٣٨٨هـ)، وقد أجاز له ولأبي مصعب جميع ما رواه[٦].

رابعًا: توجيه الطلاب إلى العلم وتبصيرهم به:

وهذا أمر مهم في حياة الطالب العلمية؛ لأن الطالب لا يمكن أن يقوم بنفسه، بل لا بد له من أستاذ يرشده ويهديه السبيل، ويبصره بمواطن القوة والضعف فيما يطلبه، حتىٰ لا يضيع عليه شيء من وقته،

---

(١) المصدر نفسه ٢/ ٧٨٨.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٤١٦، ٤١٧.

(٣) المصدر نفسه ٢/ ٦١٨.

(٤) المصدر نفسه ٢/ ٥٦٤، ٥٦٥.

(٥) المصدر نفسه ٢/ ٧٩٢ و٧٩٤.

(٦) المصدر نفسه ١/ ١١٩.

ولذا عدّه الناظم من الأمور المساعدة علىٰ الطلب، إذ قال:

..... وإرشادِ أستاذٍ وطولِ زمانِ[١]

ولقد نقل عن محدثي قرطبة أشياء من هذا القبيل، فهذا يحيىٰ بن يحيىٰ الليثي، لما استكمل سماع الموطأ من زياد بن عبد الرحمن، أشار عليه زياد بالرحيل إلىٰ مالك لسماع الموطأ منه[٢].

وكان ابن وضاح يقول موجهًا ومرشدًا: «أول العلم: الصمت، والثاني: حسن الاستماع، والثالث: حسن السؤال، والرابع: حسن الحفظ، والخامس: حسن التخيّر، والسادس: العمل به، والسابع: الفرار من الناس، والثامن: نشره إذا لم يوجد منك بُدٌّ»[٣].

كما حث أحمد بن خالد القرطبي طلاب العلم علىٰ الجد في الطلب، حتىٰ لا يحتاج الطالب في دينه إلىٰ أقوام، لا يرتضيهم في سلوكهم[٤].

وهذا محمد بن عبد الله بن محمد بن ذي النون - نزيل قرطبة - كان يدفع عن السماع من سعيد بن فحلون الألبيري - ساكن بجّانه - ويوصي طلابه بعدم السماع منه[٥].

---

(١) شطرٌ من بيتٍ ينسب لعلي بن أبي طالب، وقيل: للشافعي. انظر: ديوان الشافعي ص (١٦٣)، وتعليم المتعلم طريق التعلم ص (٧٥).

(٢) ترتيب المدارك ٣/ ١١٦.

(٣) المصدر نفسه ٤/ ٤٣٩.

(٤) المصدر نفسه ٥/ ١٧٦.

(٥) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٨٨.

=

وربما استفاد طلاب قرطبة النصحَ من غير علمائها، فقد ذكر أبو عبد الله ابن محمد بن مفوز أن أبا العباس تمام بن محمد التميمي قال له بالقيروان: «كل شيء رواه أخي أبو سعيد عندكم بقرطبة عن أبيه فهو فيه كاذب، لم يسمع من أبيه حرفًا واحدًا» - وأبو سعيد هذا، هو تميم بن محمد التميمي الذي استوطن قرطبة إلىٰ أن توفي بها سنة (٣٦٩هـ) - وكان يدعي سماع كتب أبيه كلها[(١)].

وهناك قصة بديعة في لزوم طلب العلم لله لا للدنيا، لعبد الأعلىٰ بن وهب القرطبي (ت٢٦١هـ) أوصىٰ بها أحد طلابه، ولكنه فقيه وليس محدثًا، فلذا عزفتُ عن إيرادها[(٢)].

ومن أفضل تلك الوصايا التي رأيتها لإرشاد طلاب العلم بقرطبة وشحذ هممهم إلىٰ العلم، بما يصلح أن يكون رسمًا لبرنامج علمي متكامل، حتىٰ يصير طالب العلم فقيهًا - كما هي أمنية كل طالب - فهي ما ذكره ابن عفيف عن محمد بن محمد بن عبد الله بن أبي دليم (ت٣٧٢هـ) حيث كان «لا يرىٰ أن يسمىٰ طالب العلم فقيهًا حتىٰ يكتهل

=

ولا أدري لماذا كان محمد بن عبد الله يمنع من السماع من بَلَدِيِّه ابن فحلون، مع أنه كان صدوقًا في روايته، ولكنه غير حصيف العقل، كما ذكر عنه ذلك غيرُ واحد. وعلىٰ كلٍّ فقد كان الطلاب يرحلون إليه للسماع، من قرطبة ومن غيرها. المصدر نفسه ١/ ٣٠٤.

(١) تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٨٣، وفي بداية ترجمته ذكر أنه يُكْنىٰ: أبا جعفر، فلعلّ له كنيتين.

(٢) انظرها في ترتيب المدارك ٤/ ٢٤٨.

ويكمل سنة، ويقوىٰ نظره، ويبرع في حفظ الرأي، ورواية الحديث، ويبصره، ويميز طبقات رجاله، ويحكم عقائد الوثائق، ويعرف عللها، ويطالع الاختلاف، ويعرف مذاهب العلماء، والتفسير، ومعاني القرآن، فحينئذ يستحق أن يُسمّىٰ فقيهًا، وإلا فاسم الطالب أليق به»[(١)].

خامسًا: مساعدة الطلاب وبذل الوجه لهم:

كان بعض شيوخ المحدثين - ممن بُسط لهم في الرزق، ونالهم شيء من اليسار، - يساعدون الطلاب بشيء مما يقيم الأوَد، ويعين علىٰ مقاساة الطلب، وشدائد التحصيل، كيما يتفرغوا لسماع الحديث وانتساخه.

وربما كان بعضهم من أصحاب المناصب العليا في الدولة، كقاضي الجماعة، أو صاحب الشرطة، أو مؤدب أولاد الخليفة، أو تأتيه نوائل السلطان وعطاياه، فيضرب لهؤلاء الطلاب معه بسهم وافر كما هي عادة العلماء غالبًا[(٢)].

وقد ذكر محمد بن يحيىٰ عن يحيىٰ بن عبد الله بن يحيىٰ القرطبي (ت٣٦٧هـ) أنه كان من سراة الناس، حسن المركب والملبس والهيئة والصورة والأخلاق، كريمًا، يطعم الطلبة إذا تمّ مجلس مناظرته من ثمار بستانه، وينشطهم للأكل، فإن فضل شيء دفعه إلىٰ الغرباء، يحملونه إلىٰ منازلهم، وقال لهم: تستعينون به في إدامكم[(٣)].

---

(١) ترتيب المدارك ٦/ ١٥١.

(٢) انظر مثلًا: تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٠٧، ١٢١ و٢/ ٧٣٦.

(٣) ترتيب المدارك ٦/ ١٠٩.

كما أن أحمد بن خالد القرطبي لما كان ساكنًا في أَقْرِيطِش[١] لسماع الحديث من مروان بن عبد الملك القرطبي، كان شيخه هذا يهاديه ويساعده، **قال أحمد عن شيخه مروان:** كان له عشرون جارية، تساوي كل جارية (٥٠٠) دينار، ولقد كانت له صبية تخرج إلىٰ الفرن، وكانت تأتيني بهدية يبعثها إليّ، فلقد كنت أتمنىٰ أن تكون لي[٢].

أما ما يتعلق بالمساعدة المعنوية وبذل الجاه، والدفاع عن الطلاب، فحديث يطول ذكره؛ لأنه أمر جرىٰ به العمل من قديم بين الأشياخ، إذ إن أحقَّ الناس بشفاعتهم وبذل الجاه لهم طلابُهم.

ولقد بلغ الأمر بيحيىٰ بن يحيىٰ الليثي أن عادىٰ قاضي الجماعة بقرطبة - يحيىٰ بن معمر - لأجل تجاهله علىٰ طلبة العلم بقرطبة، حيث سجّل بالسخطة علىٰ تسعة عشر منهم، وما زال يحيىٰ يسعىٰ به عند السلطان حتىٰ عزله عن القضاء[٣].

سادسًا: التربية على احترام العلماء ومعرفة حقّهم:

دأب محدثو قرطبة علىٰ تعليم طلابهم التأدب مع العلماء وتقديرهم واحترامهم، إذ لا بد لطالب العلم من مراعاة حرمة شيخه، وحفظ حقه، والصبر علىٰ ما قد يصدر عنه، من نكارة خلق، أو جفاء طبع، وهو لون من ألوان جهاد النفس.

---

(١) **أَقْرِيطِش: قال ياقوت:** اسم جزيرة في بحر المغرب، يقابلها من برّ إفريقية، لوبيا، وهي جزيرة كبيرة فيها مدن وقرىٰ، وينسب إليها جماعة من العلماء. معجم البلدان ١/ ٢٣٦.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨١٦.

(٣) **انظر:** المرقبة العليا ص (٤٥).

وقد استجاب طلاب قرطبة لهذا الوازع الذي غرسه فيهم أشياخهم، ورعوه حق رعايته، فصار لسان حال أحدهم يقول ما قاله الشاعر:

رأيتُ أحقَّ الحقِّ حقُّ المعلمِ وأوجبَه حِفظًا علىٰ كلِّ مسلمِ
لقد حُقَّ أن يُهدَىٰ إليه كرامةً لتعليمِ حرفٍ واحدٍ ألفُ درهمِ[١]

وقد تجلّىٰ هذا الخلق الكريم في مظاهر متعددة، منها:

أ- استقدام المشايخ من خارج قرطبة للتحديث بها: كما فعلوا مع محمد بن عيسىٰ بن رفاعة الخولاني من أهل رية، وكان يُرحل إليه من قرطبة للسماع منه، ثم استُقدم إلىٰ قرطبة ليحدث بها، فحدّث نحوًا من سبعة أشهر، ثم عاد إلىٰ بلده[٢]. وكذا فعلوا مع عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة اللخمي من أهل إشبيلية، فقد استُقدم إلىٰ قرطبة سنة (٣٦٨هـ) فأقام يحدث الناس بها إلىٰ سنة (٣٧٠هـ) ثم انصرف إلىٰ موضعه[٣].

ب- كثرة الإقبال علىٰ العالم، والازدحام علىٰ بابه، والالتفاف

---

(١) تعليم المتعلم طريق التعلم ص (٧٩).

(٢) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧١٣.

قلتُ: وهذا الاستقدام يُعدّ مظهرًا من مظاهر التكريم، خصوصًا إذا عرفنا أن قرطبة ليست في حاجة لهؤلاء المحدثين؛ لأن عليها مدار الرواية في جميع بلاد الأندلس وهذا الأمر هو ما يسمّىٰ بلسان العصر اليوم: الأستاذ الزائر.

(٣) المصدر نفسه ١/ ٤١٣.

حوله لسماع الحديث منه؛ سواء من عامة الناس أو من عليتهم: فيحيىٰ بن عبد الله الليثي القرطبي، سمع منه الموطأ جماعة من الشيوخ والكهول وطبقات الناس، بل وسمعه منه أمير المؤمنين المؤيد بالله، ورحل الناس إليه من جميع كور الأندلس[١].

كما أن يحيىٰ بن مالك بن عائذ، لما قدم قرطبة، سمع منه ضروب من الناس وطبقات طلاب العلم، وأبناء الملوك وجماعة من الشيوخ والكهول[٢].

ج- الغضب والحمية عند ثلب الشيخ أو التعريض به: فقد كانوا يربّون الناس علىٰ احترام اسم العالم إذا ذكر، فضلًا عن شخصه.

وهناك كائنة عجيبة ذكرها ابن وضاح عن محمد بن زياد (قاضي قرطبة)، قال: شهد شاهد عند محمد بن زياد بشهادة، فقال غراب لمحمد بن زياد: ومن شهد عليّ؟! لو كان الشاهد مثل الليث بن سعد!

فقال له محمد بن زياد: وما ذكر الليث بن سعد ها هنا؟ فأمر به -وذلك في المسجد-، وهو والي الشرطة فقُمع أسواطًا. قال: فكان ذلك من فعله صوابًا[٣].

وهذا يحيىٰ بن يحيىٰ قطع القراءة علىٰ عبد الرحمن بن القاسم، وهمَّ بالانصراف لما تعرّض ابن القاسم لشيخه زياد شبطون وأكذبه في

---

(١) المصدر نفسه ٢/ ٩٢٠.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٩٢٢، وجذوة المقتبس ٢/ ٦٠٦.

(٣) قضاة قرطبة ص (١٢٩).

مسألة، فقال له يحيىٰ: زياد أجلّ في نفسي من أن أعرّضه مثل هذا، فاحتشم ابن القاسم وقال له: اقرأ، فوالله لا عدتُّ لمثلها أبدًا، فقرأ[١].

كما أن محمد بن أحمد بن الزراد القرطبي - تلميذ ابن وضاح - ترك الجلوس في درس محمد بن عبد السلام الخشني، لأنه ظن أن الخشني يعرّض بابن وضاح[٢].

(١) ترتيب المدارك ٣/ ١٢١، بتصرف.

(٢) أخبار الفقهاء والمحدثين ص (١٢٦، ١٢٧). **وانظر**: ابن وضاح مؤسس مدرسة الحديث بالأندلس ص (٩٨).

الباب الثالث

الصِّلات العلمية لمدرسة الحديث بقرطبة

وفيه تمهيد وفصلان:

التمهيد:

الرحلة وأثرها في الصِّلات العلمية لمدرسة الحديث بقرطبة.

الفصل الأول:

صِلات مدرسة الحديث القرطبية بغيرها من الأمصار.

الفصل الثاني:

صِلات الأمصار الأخرىٰ بمدرسة الحديث القرطبية.

التَمهِيد

ويتناول النقاط التالية:

أولًا:

أهمية الرحلة، وأسبابها، ومدتها، وتكرارها عند محدثي قرطبة.

ثانيًا:

الاصطحاب والمرافقة خلال الرحلة.

ثالثًا:

الصعوبات التي واجهتهم أثناء الرحلة.

التَمهيد

الرحلة وأثرها في الصِّلات العلمية

لمدرسة الحديث بقرطبة[١]

النقطة الأولى: أهمية الرحلة وأسبابها ومدتها وتكرارها عند محدثي قرطبة:

لما مات النبي ﷺ ولحق بالرفيق الأعلىٰ، وكان الصحابة قد تفرَّقوا في الأمصار، أو بعضهم، كان لا بد من تعلّم سنة النبي ﷺ، ومعرفة هديه وطريقته، حتىٰ يتحقّق اتباعه، ويُقتدىٰ به في كل صغير وكبير، امتثالًا لأمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]، ولم يكن من سبيل لإدراك هذا المطلب وتحقيقه، إلا بالرحلة إلىٰ هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم حيثما كانوا، وإن نأت بهم البلاد.

وهذا ما حصل بالفعل، حيث درج السلف الصالح صحابةً وتابعين وأتباعًا فمَن بعدُ، علىٰ شدّ الرحال، والضرب في الأرض، لملاقاة من عنده فضل علم ليس عندهم، أو كان عندهم؛ لكن أرادوا زيادة التثبت والاستيقان.

---

(١) تنبيه: سيكون جُلُّ اعتمادي في هذا الباب الخاص بالرحلة علىٰ كتاب «تاريخ علماء الأندلس» للحافظ ابن الفرضي، لأنه يعتبر أدقّ وأوفىٰ مصدر اعتنىٰ بأمر الرحلة وتفاصيلها من بين المصادر الأندلسية الأخرىٰ.

إذْ كثيرٌ من المصادر الأخرىٰ - رغم اهتمامها - إلا أنها لم تُوفِ هذا الجانب حقَّه من البيان والإيضاح، فنجدهم لا يصرّحون غالبًا بموطن صاحب الترجمة الأصلي، كما لا يفصّلون القول في أسماء البلاد التي دخلها، بل كثيرًا ما يقولون: رحل إلىٰ المشرق ويسكتون! لذا جرىٰ التنبيه علىٰ هذا.

وقد حفلت كتب الرجال والتراجم بأخبار هؤلاء الرحَلَة في طلب الحديث، ولا يكاد يوجد محدث إلا وقد رحل وطوّف، وربما مكث بعضهم عشرات السنين وهو يتجوّل ويدور علىٰ البلاد؛ للسماع والتقييد، وقلّ أن تجد محدّثًا لم يرحل، ولذا ينُصُّون علىٰ ذلك في ترجمته، ويسوقونه مساق الاستغراب، لذلك فقد حث المحدثون علىٰ الرحلة في طلب الحديث؛ لما فيها من الفائدة، ومن عظيم العائدة، قال العراقي في «التبصرة والتذكرة» في (أدب طالب الحديث):

وَأَخْلِصِ النِّيَّةَ فِي طَلَبِكَا ... وَجِدَّ وَابْدَأْ بِعَوَالِي مِصْرِكَا

وَمَا يُهِمُّ ثُمَّ شُدَّ الرَّحْلَا ... لِغَيْرِهِ وَلَا تَسَاهَلْ حَمْلَا[1]

وروىٰ الخطيب البغدادي بسنده إلىٰ عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه **قال**: «سألت أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عمن طلب العلم، ترىٰ له أن يلزم رجلًا عنده علم فيكتب عنه، أو ترىٰ أن يرحل إلىٰ المواضع التي فيها العلم فيسمع منهم؟».

قال: «يرحل، يكتب عن الكوفيين، والبصريين، وأهل المدينة، ومكة، يُشامّ الناس، يسمع منهم»[2].

وروىٰ بسنده أيضًا إلىٰ جعفر الطيالسي أنه **قال**: سمعت يحيىٰ بن معين يقول: «أربعة لا تُؤنس منهم رُشدًا، حارس الدرب، ومنادي

---

(١) التبصرة والتذكرة ص (٤٣).

(٢) الرحلة في طلب الحديث ص (٨٨). **ومعنىٰ يُشامّ**: أي يتطلّع.

القاضي، وابن المحدث، ورجل يكتب في بلده ولا يرحل في طلب الحديث»[(١)].

ولقد أدرك طلاب الحديث بقرطبة جلالة الرحلة، وعظم شأنها، لا سيما وأنهم في أقصىٰ البلاد الإسلامية من جهة الغرب، وفي منأىً عن بلاد المشرق، بلاد العلم والعلماء، كما أن بلادهم قد فُتحت بأخرةٍ، سنة (٩٢هـ)، ولم تكن مهدًا للعلم قبل ذلك.

فنهدت طوائف كثيرة منهم للرحلة في طلب الحديث، علىٰ الرغم من بُعد الشُّقة وعظم المشقة. وبدأت قوافل الطلاب تتابع علىٰ المشرق من نواحي الأندلس كلها، خصوصًا قرطبة، رغبة في حفظ حديث رسول الله ﷺ علىٰ أهل تلك البلاد ونشره فيهم؛ تحقيقًا لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢]. «وكان الأخذ عن علماء المشرق مما يرفع رأس الرجل حين يعود إلىٰ بلاده موفور العلم والعقل»[(٢)].

ولقد تعددت الأسباب الداعية إلىٰ الرحلة عند هؤلاء المحدثين، لكنها ترجع في الجملة إلىٰ سببين رئيسين هما: طلب الحديث، وحج بيت الله الحرام.

ولذا فإننا نجد أن مكة يتكرر ذكرها كثيرًا في كتب التراجم الأندلسية،

---

(١) المصدر نفسه ص (٨٩).

(٢) النثر الفني في القرن الرابع ١/ ١١.

لأنه قلّما ترحّل طالب للسماع إلا ودخلها للحج، إذ لا يُعقل أن يقطع الطالب هذه المسافة الطويلة إلىٰ المشرق دون أن يحج؛ لبُعد الشُقَّة، وخوف الطريق.

ولكنّ ذلك لا يمنع من اجتماع هذه الأسباب كلها، فيخرج الطالب من بلده مرتحلًا؛ لأداء الحج وسماع الحديث والتجارة وغير ذلك.

ولقد كان من هؤلاء من يبادر بالحج أولًا، ثم يسمع الحديث بعد ذلك، إما في طريق العودة فقط، أو بالتطواف علىٰ الأمصار، ومنهم من يشتغل في طريقه إلىٰ مكة بالسماع، ثم يحج بعد ذلك. ويتضح هذا من خلال الأمصار التي يدخلها الراحل أولًا.

ومنهم من ترحّل للحج أو التجارة أصالة، ثم نازعته نفسه للسماع والطلب بعد تمام حجه، فسمع هنالك، ثم رجع إلىٰ بلده.

ومن هؤلاء الذين رحلوا للحج وسمعوا في رحلتهم إما في الذهاب أو في العودة:

- محمد بن عبد الله بن أبي عيسىٰ القرطبي (ت٣٣٩هـ)، الذي سمع من شيوخ قرطبة، ثم رحل حاجًا سنة (٣١٢هـ)، فلقي شيوخ القيروان ومصر ومكة، ثم انصرف إلىٰ الأندلس سنة (٣١٤هـ) أي بعد سنتين[(١)].

- حسين بن محمد بن قابل القرطبي (ت٣٧٢هـ)، الذي سمع من

(١) انظر: قضاة قرطبة ص (٢٣٤).

شيوخ قرطبة ثم رحل سنة (٣٣٣هـ) وسمع بمكة والإسكندرية وغيرها[١].

- سعدون بن حمدون بن محمد القيسي القرطبي (ت٣٧٨هـ)، الذي رحل إلىٰ المشرق حاجًا سنة (٣٤٢هـ) وسمع من شيوخ مكة، ومصر وغيرها[٢].

- عبد الله بن محمد بن ميسور الشقاق القرطبي (ت٣٨٠هـ)، الذي رحل إلىٰ المشرق حاجًا، فسمع من جماعة من الشيوخ[٣].

- عبد الحميد بن محمد الزهيري القرطبي (ت نحو ٣٨٠هـ)، الذي رحل حاجًا سنة (٣٤٨هـ)، لكن فاته الحج ذلك العام، فأقام مجاورًا بمكة يسمع العلم ويكتب الحديث، ويحجّ من قابل، ثم انصرف إلىٰ الأندلس بعد قضاء نسكه سنة (٣٥٠هـ)[٤].

- أصبغ بن علي بن حكيم القرطبي (ت٣٩٤هـ)، الذي رحل حاجًا سنة (٣٤٨هـ) فحج وجاور وسمع الشيوخ ثم قدم الأندلس[٥].

- سعيد بن عمران بن مشرف القرطبي، خرج حاجًا، ودخل العراق للسماع من علمائها، فسمع من بندار ومحمد بن المثنىٰ وغيرهما[٦].

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٠٨.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٣١١.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٤١٧.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٤٩٦.
(٥) المصدر نفسه ١/ ١٥٧.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢٩٢.

والحقيقة أن هؤلاء جمٌّ غفيرٌ يفوق الحصر، ولو ذهبنا نستقصي لطال التعداد[١]. وهناك من رحل للحج، لكنه لم يُفد من رحلته فيما يتعلق بسماع الحديث لسببٍ أو لآخر، فعبد الله بن سعيد الحجري القرطبي (ت٣٨٢هـ) «رحل إلىٰ المشرق كهلًا، وجاور بمكة، ولكنه لم يكتب هناك إلا يسيرًا[٢].

ومثله عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الحميد القرطبي (ت٣٢٥هـ) فقد «رحل في حداثته حاجًا، فلم يسمع في رحلته شيئًا»[٣].

ومن الذين رحلوا للتجارة وسمعوا في رحلتهم:

- أحمد بن خالد بن عبد الله الجذامي التاجر القرطبي (ت٣٧٨هـ)، فقد «رحل إلىٰ المشرق، ودخل العراق تاجرًا، فسمع بها من جماعة من المحدثين الكبار، وكذا بمكة ومصر وأدخل الأندلس كتبًا غريبة تفرد بروايتها، فسمع الناس منه قديمًا وحديثًا... لأن رحلته وسماعه كانت قديمًا»[٤].

- بكر بن العين القرطبي، الذي دخل العراق تاجرًا، وسمع من العباس بن محمد الدوري، صاحب يحيىٰ بن معين، وحدث بعد

---

(١) لقد تعمدت هنا أن تكون الأمثلة لغير المشاهير من الراحلين، كبقيّ بن مخلد ومحمد بن وضاح والخشني وأصبغ وغيرهم، لكثرة هؤلاء؛ ولأن بعضهم قد تعدّدت رحلته أوطالت، كما سوف يأتي.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤١٨.

(٣) المصدر نفسه ٢/ ٥١٦.

(٤) المصدر نفسه ١/ ١١٧، بتصرف يسير.

عودته إلىٰ الأندلس[١].

- إسحاق بن غالب بن تمام العُصفري القرطبي (ت٣٨٩هـ)، الذي رحل إلىٰ المشرق تاجرًا، فدخل مصر وعدن والقيروان[٢].

ولا يمنع هذا الاعتبار من أن هؤلاء المحدثين التجار قد حجوا أيضًا مع سماعهم الحديث واشتغالهم بالتجارة؛ لأن كثيرًا منهم قد دخل مكة وسمع بها.

وممن رحل إلىٰ المشرق لغير ما ذُكر من الأسباب: محمد بن معاوية بن عبد الرحمن الأموي، المعروف بابن الأحمر.

قال ابن حزم: لم أزل أسمع المشايخ يقولون: إن سبب خروجه إلىٰ المشرق كان أنه خرجت بأنفه أو ببعض جسده قرحة، فلم يجد لها بالأندلس مداويًا، وعظم عليه أمرها. وقيل له: ربما ترقّت[٣] فأدت إلىٰ الهلاك، فأسرَعَ الخروج إلىٰ المشرق، فقيل له: لا دواء لها إلا بالهند، وأنه وصل إلىٰ الهند، فأراها بعض أهل الطب هنالك، فقال له: أداويها علىٰ أنه إن تمّ بُرؤك، وصح شفاؤك، قاسمتك جميع مالك، فقال: رضيت، فداواه، فلما أفاق دعاه إلىٰ بيته، وأخرج إليه جميع ماله، وقال له: دونك المقاسمة المشروطة، فقال له الطبيب الهندي: أليست نفسك طيبة بذلك؟ قال: بلىٰ والله! قال: فوالله لا أرزؤك شيئًا من

---

(١) **انظر**: المصدر نفسه ١/ ١٧٣.

(٢) المصدر نفسه ١/ ١٤٥.

(٣) بعدها كلمةٌ غيرُ مفهومة، وهي: وست، وأظنها مصحَّفة.

مالك، ولكني آخذ هذا، لشيء استحسنه من آلات بيته. وقال له: إنما جرّبتك بقولي، وأردت أن أعرف قيمة نفسك عندك، ولو أبيت ما داويتك إلا بجميع مالك، ولو لم تداوها لهلكت، فإنها قد كانت قاربت الخطر، فحمد الله ﷻ وانصرف.

واشتغل في رجوعه بطلب العلم، وروايات الكتب، فحصل له علم جم، وبورك له فيه[(١)].

أما مدة الرحلة أو تكرارها، فإنها تختلف باختلاف الراحلين أنفسهم، فمنهم من كانت لديه الرغبة الجامحة للتزوّد من الحديث وسماع الشيوخ، والاستكثار من المرويات، غير عابئ بالزمن الذي يسلخه من عمره، ما دامت الفائدة حاصلة، والثمرة متوقّعة.

ومنهم من كان قصارىٰ همّه أن يحج البيت الحرام، ويسمع ما تيسَّر له سماعه من الحديث في مكة، أو في طريق الذهاب أو العودة، ولذا قصُرت مدة رحلته بالنسبة إلىٰ الأول.

ومنهم من يكرّر الرحلة مرة أخرىٰ، حتىٰ لو طال زمن رحلته الأولىٰ، رغبة في زيادة السماع من الشيوخ أو تحصيل ما فاته من الكتب والدواوين.

كما أن فيهم من يبكِّر بالرحلة في بداية أمره، بعد أن يكون شدا شيئًا في العلم ببلده قرطبة، كما كان بعضهم يتأخر للسماع من شيوخ بلده،

---

(١) جذوة المقتبس ١/ ١٤٦، ١٤٧.

ويتريّث لاستيفاء ما عندهم، ثم يرحل بعد ذلك، وهم الغالبية العظمىٰ.

فبقيّ بن مخلد رحل في فترة مبكرة من حياته كانت في حدود سنة (٢٢٤هـ) وهو في الرابعة والعشرين من عمره تقريبًا[١].

كما أن محمد بن سعيد بن حسان الصائغ القرطبي رحل مبكرًا، فشارك أباه في بعض رجاله[٢] ومثله مسلمة بن القاسم القرطبي (ت٣٥٣هـ) الذي رحل إلىٰ المشرق قبل العشرين، فسمع من علماء كثيرين في أكثر من خمسة عشر بلدًا[٣]. وكذا يحيىٰ بن يحيىٰ الليثي الذي رحل إلىٰ المشرق وهو ابن ثمان وعشرين سنة[٤].

ومن الذين طالت رحلتهم، وترددهم علىٰ شيوخ المشرق: بقيّ بن مخلد القرطبي (ت٢٧٦هـ) الذي مكث في رحلته الأولىٰ والثانية أربعة وثلاثين عامًا، يسمع الشيوخ ويطوّف الأمصار[٥].

ومنهم محمد بن عبد السلام الخشني (ت٢٨٦هـ) الذي أقام خمسًا وعشرين سنة متجولًا في طلب الحديث بين مكة وبغداد والبصرة ومصر، وغيرها[٦].

وعبد السلام بن السمح بن نابل الهواري الذي رحل إلىٰ المشرق،

---

(١) **انظر**: بقي بن مخلد ومقدمة مسنده ص (٣٦).

(٢) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٣٧.

(٣) المصدر نفسه ٢/ ٨٢٣ - ٨٢٥.

(٤) المصدر نفسه ٢/ ٨٩٨.

(٥) معجم الأدباء ٢/ ٧٤٧.

(٦) جذوة المقتبس ١/ ١١٧ - ١١٨، وتاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٤٨.

وتردد هنالك مدة طويلة[١].

كما أن قاسم بن محمد بن قاسم بن يسار القرطبي، بقي يتردد في المشرق ثمانية عشر عامًا خلال رحلتيه الأولىٰ والثانية[٢].

علىٰ حين نجد أن آخرين - وهم الأكثر - كانت رحلاتهم قصيرة نسبيًا.

مثل محمد بن عبد الله بن أبي عيسىٰ القرطبي (ت٣٣٩هـ)، الذي رحل سنة (٣١٢هـ) وعاد إلىٰ الأندلس سنة (٣١٤هـ)[٣]، وغيره كثير.

أما أولئك الذين تكرّرت رحلاتهم إلىٰ المشرق لسبب من الأسباب، فهم كثير، لكنها غالبًا ما تكون لأجل التزوُّد من الحديث ولقاء الشيوخ.

ومن هؤلاء الذين تكررت رحلاتهم بقي بن مخلد القرطبي الذي رحل إلىٰ المشرق في عام (٢٢٤هـ) تقريبًا، ومكث هنالك (٢٠) عامًا، ثم عاد إلىٰ الأندلس في حدود سنة (٢٤٤هـ)، ثم رحل مرة أخرىٰ رحلة طويلة أيضًا، مكث فيها (١٤) عامًا تقريبًا[٤].

ومنهم محمد بن وضاح الذي رحل إلىٰ المشرق رحلتين، كانت الأولىٰ منهما سنة (٢١٨هـ)، وقد لقي فيها كثيرًا من كبار المحدثين،

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٤٩٢.

(٢) **انظر**: ترتيب المدارك ٤/ ٤٤٦.

(٣) قضاة قرطبة ص (٢٣٤).

(٤) معجم الأدباء ٢/ ٧٤٧، وبقي بن مخلد ومقدمة مسنده ص (٣٦).

ولكنه لم يكن همه حينذاك سماع الحديث، بل ملاقاة الزهاد وأرباب السلوك، ثم تندّم بعد عودته إلىٰ الأندلس، ورحل مرة أخرىٰ إلىٰ المشرق، سمع فيها الحديث واستكثر منه[١].

ومنهم يوسف بن يحيىٰ بن يوسف الأزدي القرطبي (ت٢٨٨هـ)، الذي رحل إلىٰ المشرق للسماع من الشيوخ في مكة ومصر وصنعاء، ثم عاد بعدها إلىٰ الأندلس، ليرجع مرة أخرىٰ - بعد إقامته بقرطبة أعوامًا - إلىٰ المشرق، وهو يومئذ شيخ إمام[٢].

ومنهم عبيد بن محمد بن أحمد القيسي القرطبي (ت٣٩٢هـ)، الذي رحل سنة (٣٤٢هـ) فسمع بمدن عدة، ثم عاد أدراجه إلىٰ الأندلس، فسمع الناس منه كثيرًا، ليترحل بعدها ثانية سنة (٣٩١هـ) بعدما أسنّ[٣].

ومثله قاسم بن محمد بن قاسم بن يسار الذي رحل إلىٰ المشرق رحلتين أقام في إحداهما اثني عشر عامًا، وفي الأخرىٰ ستة أعوام[٤].

ومن هؤلاء عبد الرحمن بن دينار الغافقي القرطبي (ت٢٠١هـ)، فقد كانت له رحلات، استوطن في إحداهن المدينة[٥].

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٥٠، ٦٥١.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٩٣٣، ٩٣٤، وترتيب المدارك ٤/ ٤٣١.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٥٧٣.
(٤) ترتيب المدارك ٤/ ٤٤٦.
(٥) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٣٨.

النقطة الثانية: الصحبة خلال الرحلة:

كان من المتعارف عليه لدىٰ طلاب الحديث بقرطبة أن يرتحلوا إلىٰ المشرق للسماع بعد أن يحصّلوا قدرًا منه في بلدهم، ولكن نظرًا لطول المسافة، وبُعد الشُّقة، كان لا بد من اتخاذ بعض الاحتياطات اللازمة لتيسير هذه المهمة، ودفع ما قد يعتورها من مصاعب ومن هذه الاحتياطات:

- **اتخاذ الرفقة في الرحلة**. وفيه من الفوائد الكثير، فمنها المساعدة والتعاون علىٰ مشقة السفر وعذابه بالمؤانسة والمؤازرة والخدمة، ومنها المساعدة علىٰ نسخ الحديث ومذاكرته، ومنها بذل المال للمعوز أو المنقطع... إلىٰ غير ذلك من الفوائد.

لذا حرص الطلاب علىٰ الخروج زمرًا لسماع الحديث، اثنين وثلاثة وأربعة وأكثر، إذ كانوا يستغلون خروج قافلة الحجيج إلىٰ مكة، فينضمُّون إليها لأداء النسك من جهة، وللاستفادة من الحماية الأمنية والحياطة الشرعية للقافلة، من جهة أخرىٰ.

ويبدو أن هذه كانت الفرصة الوحيدة - غالبًا - للخروج من الأندلس، لمن أراد السماع والتحصيل، ولذا فكثيرًا ما يرد في تراجمهم مقولة: «رحل حاجًا فسمع من فلان وفلان».

فإذا ما استقر به القرار في مكة، وأدىٰ نسكه، رجع مع القافلة فسمع في طريق العودة في مصر والقيروان وغيرها، أو تأخر في مكة عامًا أو أعوامًا للسماع، ثم رجع مع القافلة المقبلة وهكذا.

وربما ارتحل مع قافلة العراق أو الشام أو غيرها للسماع بها، ثم عاد القهقرىٰ مرة أخرىٰ إلىٰ مكة.

ومن هؤلاء الذين ترافقوا في سفرهم: عبد الله بن مطرف بن محمد القرطبي، ومحمد بن عبد الله الليثي القرطبي، وأحمد بن سعيد بن حزم بن يونس الصدفي، وأحمد بن عبادة الرعيني، ومحمد بن مسرة، والعاصي بن عثمان بن منيم ومحمد بن عبد الله بن أبي عيسىٰ.

وكانت رحلتهم سنة (٣١١هـ)، وقد اشتركوا في أكثر الرجال وتقلبوا ما بين مكة ومصر والقيروان، ثم عادوا بعدُ إلىٰ الأندلس[(١)].

ومن هؤلاء الراحلين أيضًا: أبو محمد بن أسد، وأبو جعفر أحمد بن عون الله، ومحمد بن أحمد بن مفرج، وأحمد بن هشام بن أمية الأموي، وعثمان بن حسين الحجاري، وسمعوا هناك من المكيين والمصريين وغيرهم، ثم عادوا إلا الأخير فقد دخل العراق، وما زال يتردد بها إلىٰ أن توفي وكانت وفاته بعد (٣٧٠هـ)[(٢)].

ومن الراحلين: محمد بن عيسىٰ الأعشىٰ، وحارث بن أبي سعد، وحاتم بن سليمان بن يوسف الزهري، وسمعوا فيها من المدنيين والمصريين[(٣)].

ومن هؤلاء أيضًا: محمد بن يوسف بن مطروح القرطبي الذي

---

(١) **انظر**: المصدر نفسه ١/ ٩٧، ٣٩٥، ٢/ ٥٦٩، ٧١٨.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٥٢١، والصلة ١/ ٤١.

(٣) المصدر نفسه ١/ ١٩٨.

رحل مع ابن مزين، وأبي وهب، وعبد الوهاب بن ناصح الجزيري، وكانوا متوافقين[١].

وقال ابن الفرضي عن يحيىٰ بن عبد العزيز القرطبي (ت٢٩٥هـ): «كانت رحلته ورحلة سعد بن معاذ، وسعيد بن عثمان الأعناقي، وسعيد بن حميد، وابن أبي تمام، واحدة»[٢].

أما أولئك الذين ترافقوا مثنىٰ مثنىٰ فهم كُثُر، منهم:

أحمد بن أبي قومس القرطبي الذي شارك أحمد بن خالد في رحلته[٣].

ومحمد بن إسحاق بن السليم الذي اصطحب خطاب بن مسلمة بن محمد الإيادي إلىٰ مكة ومصر وغيرها[٤].

وعبد الله بن محمد بن ربيع بن حسن القرطبي، الذي رافق عبد الله بن إسماعيل بن حرب إلىٰ العراق وغيرها[٥].

وأحمد بن عبد الله بن أيوب الأموي القرطبي، رحل مع أبي زيد العطار إلىٰ القيروان ومكة وغيرها[٦].

ومحمد بن وضاح صحبه في رحلته عبد الله بن يحيىٰ القيسي

---

(١) ترتيب المدارك ٤/ ٢٤٩.
(٢) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٩٠٨. **وانظر**: ترتيب المدارك ٥/ ١٨٥.
(٣) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٧٥.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٤٣.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٤٢٢.
(٦) الصلة ١/ ٤٨.

السرقسطي[(١)]. وغيرهم كثير.

وقد يحدث أن يجتمع هؤلاء الطلاب في بلد الرحلة، فيشتركون هنالك في السماع والتحمل عن الشيوخ، فهذا زكريا بن يحيىٰ بن عبد الملك القرطبي رحل من قرطبة إلىٰ المشرق، فالتقىٰ في الشام بمحمد بن وضاح القرطبي فشاركه في السماع من محمد بن مصفّىٰ[(٢)].

ومثله محمد بن قاسم بن هلال القرطبي، الذي رحل فدخل العراق للسماع، واجتمع هنالك ببقي بن مخلد عند الشيوخ[(٣)].

ومن الاحتياطات أيضًا التزود بما يلزم من المال، للوفاء بمستلزمات الرحلة من نفقة وكسوة وشراء الأقلام والكاغد وغير ذلك.

فيحيىٰ بن يحيىٰ الليثي عندما همَّ بالرحلة إلىٰ الإمام مالك، استسلف له شيخه زياد شبطون مالًا، إذ رغب عن مال أبيه، ومضىٰ فحج وسمع مالكًا والليث، ثم انصرف إلىٰ الأندلس، وكذا فعل في المرة الثانية، ولكن مما طاب من مال أبيه[(٤)].

ويوسف بن يحيىٰ بن يوسف المغامي، رحل من قرطبة إلىٰ المشرق، فأقام هنالك أحد عشر عامًا، ومضىٰ بألفي دينار، وأتىٰ وعليه الدين، أنفقها في طلب العلم[(٥)].

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٣٧١.
(٢) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٦٩.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٦٥٥.
(٤) ترتيب المدارك ٣/ ٣٨٠.
(٥) المصدر نفسه ٤/ ٤٣٣.

ولكن بعضهم كان يرحل رغم فقره، ولكنه لا يعدم من يساعده هنالك، فهذا بقي بن مخلد القرطبي الذي لم يكن له مال إبان سماعه ببغداد، حتىٰ كان يقول عن نفسه: إني لأعرف رجلًا باع سراويله غير مرة في شرْي الكاغَد! حتىٰ يسوق الله عليه من حيث يخلفها[١]. ولكن الله هيأ له أحد القرطبيين وهو داود بن عيسىٰ الكلائي الأحول، الذي اجتمع مع بقي في المشرق وكان واسع المال، فسأله بقي أن يُبيح له من ماله ما يشتري به الكتب، ويجمع به الدواوين، ويكون سماعهما واحدًا، وقال له: أرجو أن ينفعك الله بذلك، فأجابه داود إلىٰ ذلك، فكان سبب استكثار بقي من الرواية والجمع، ولما انصرف إلىٰ الأندلس، كتب بقي الكتب لنفسه[٢].

وربما دفع بعضهم المال للشيخ ليُسمعه كتابًا من كتب الحديث، كما فعل جماعة من طلاب قرطبة - منهم سعيد بن عثمان الأعناقي - عندما قدموا إلىٰ مصر، حيث دفعوا لابن أخي عبد الله بن وهب واسمه أحمد بن عبد الرحمن بن وهب دنانير ليقرأ لهم موطأ عمه وجامعه[٣].

النقطة الثالثة: الصعوبات التي واجهتهم أثناء الرحلة:

أما الصعوبات التي كانت تواجه هؤلاء الراحلين، وتعترض طريقهم، فهي كثيرة، وحسبك بالسفر وحده مشقة وعذابًا.

---

(١) معجم الأدباء ٢/ ٧٤٩.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٥٩.

(٣) جذوة المقتبس ١/ ١٤٠.

والمحدثون - موضوع البحث - أكثر الناس تعرُّضًا لهذه المصاعب، دون غيرهم من أرباب العلوم الأخرىٰ، وذلك لكثرة رحلاتهم وتنقلاتهم في الأمصار، ووفرة شيوخهم الذين سمعوا منهم وتفرقهم في الأقطار، فكيف مع تنائي المحل، وبُعد الدار، كما هو واقع الأندلس الجغرافي، التي كان يُضرب بها المثل في البعد.

ولذا فلا غَرْوَ أن يكتنف هذه الرحلات الطويلة شيء من الطوارئ والحوادث بَلْه الصعوبات.

فهذا مسلمة بن محمد بن مسلمة الإيادي القرطبي (ت٣٩١هـ) الذي رحل إلىٰ المشرق سنة (٣٥٨هـ) للسماع والطلب، امتحن في الطريق بذهاب رحله، فلم يتحصل له كبير شيء من سماعه بمكة[(١)].

وهذا يحيىٰ بن يزيد الأزدي القرطبي - شيخ ابن وضاح - **قال عنه تلميذه ابن وضاح:** يحيىٰ بن يزيد الأزدي، إمام زياد، كان رجلًا فاضلًا، حبسه ابن لبيد إذ كان والي المدينة، فقال له يحيىٰ، كم ختمتَ القرآنَ في حبس ابن لبيد؟ فقال: أربعين مرة، فقال له يحيىٰ: ما أشقىٰ من ختمتَ القرآنَ في حبسه أربعين مرة[(٢)].

أما سعدان بن معاوية القرطبي (ت٣٢٧هـ)، فقد رحل حاجًا سنة (٣١٨هـ) فوافق دخوله دخول القرامطة، فواقعته في وجهه ضربة بسيف فشقّت خدّه وعينه[(٣)].

---

(١) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٢٦.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٨٩٦، ٨٩٧.

(٣) المصدر نفسه ١/ ٣٢٢. **وانظر:** العبر ١/ ٤٧٤، وقد ذكرها في حوادث سنة (٣١٧هـ) =

ومنهم من ابتلي بالفقر حتىٰ لم يكن يجد ما يقتات به إبّان طلبه في رحلته مثل بقي بن مخلد الذي قال لطلابه حاثًا لهم علىٰ التعلّم: «إني لأعرف رجلًا - يريد نفسه - تمضي عليه الأيام في وقت طلبه العلم لا يكون له عيش إلا من ورق الكرنب الذي يلقيه الناس»[(١)]. حتىٰ كان يستدين المال لشراء الكتب، وجمع الدواوين وغير ذلك، كما مرّ آنفًا.

ومن أعظم تلك المصائب، ما تعرّض له محمد بن معاوية بن عبد الرحمن الأموي (ت٣٥٨هـ) الذي رحل إلىٰ المشرق سنة (٢٩٥هـ)، فسمع بمصر ومكة وبغداد والكوفة والبصرة وغيرها، ثم دخل أرض الهند تاجرًا، ولكنه خرج منها بدون شيء. **وقد قال عن حادثته تلك:** خرجت منصرفًا من أرض الهند، وأنا أقرر أن معي قيمة ثلاثين ألف دينار، فلما قاربت أرض الإسلام غرقت فما نجوت إلا سبْحًا لا شيءَ معي[(٢)].

ومن هذه الصعوبات أيضًا: تغيّب هؤلاء في المشرق، وعدم رجوعهم إلىٰ بلادهم البتة، فمنهم من تخترمه المنيّة هنالك، ومنهم من يطيب له البقاءُ ثمتَ، فلا يعود إلىٰ الأندلس لسبب من الأسباب، ومن هؤلاء:

- جعفر بن يحيىٰ الفهري القرطبي (ت بعد ٣٧٠هـ)، فقد سمع بقرطبة ثم رحل إلىٰ المشرق فأقام به إلىٰ أن توفي في مصر[(٣)].

=

وكذلك ابن كثير في البداية والنهاية ١١/ ١٧١.

(١) معجم الأدباء ٢/ ٧٤٨، ٧٤٩.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٣٤.

(٣) المصدر نفسه ١/ ١٨٩، ١٩٠.

- علي بن موسىٰ بن زياد اللخمي القرطبي (ت بعد ٣٧٠هـ) رحل فسمع بمصر ومكة والعراق وغيرها، وكانت وفاته ببدا يعقوب من أرض الحجاز[١].

- ربيع بن محمد بن سليمان التميمي القرطبي الذي خرج إلىٰ المشرق فاخترمته المنيّة شابًا وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وكان ذلك في البحر[٢].

- محمد بن ميسور القرطبي الذي رحل إلىٰ المشرق، وأقام هنالك وكتب إلىٰ خالد بن سعد رسالة من بيت المقدس[٣].

- بدر القرطبي - مولىٰ ابن شهيد الصقلبي - الذي رحل إلىٰ مكة ومصر، وبها توفي[٤].

- عبد الله بن عبد السلام القرطبي (ت٣٠٢هـ) وقيل: (٣٠٨هـ)، الذي رحل إلىٰ المشرق، وجاور بمكة، ولم يزل هنالك حتىٰ توفي بها، وورد نعيه إلىٰ الأندلس في العام نفسه[٥].

---

(١) المصدر نفسه ٢/ ٥٣٣.
هكذا وردت: (بدا) ولعلها البقعة التي أشار إليها ابن خلّكان وذكر أنها وادٍ بين الحجاز والشام علىٰ الحدود بين الحجاز وفلسطين. **انظر**: وفيات الأعيان ٤/ ١٧٨، ١٧٩، ومعجم مقيّدات ابن خلكان ص (٤٦، ٤٧).
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٦٧.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٧٢٠.
(٤) المصدر نفسه ١/ ١٧٦.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٣٨٠.

- إبراهيم بن عبد الله بن مسرّة القرطبي، فقد رحل مع أبيه فسمع في المشرق وتوفي بالإسكندرية[١].

- عبدالرحمن بن محمد بن أحمد القرطبي، رحل إلىٰ المشرق، ولم يزل مترددًا هنالك إلىٰ أن مات[٢].

- عبد العزيز بن عبد الملك القرطبي (ت٣٦٥هـ)، الذي رحل إلىٰ المشرق ووصل إلىٰ خراسان، فكتب هنالك كثيرًا، وصحب بايعًا، الذي يقال له: عميد الدولة - صاحب مدينة بلخ - وكان معتنيًا بالحديث، فكسب معه مالًا عظيمًا، وقد توفي ببخارىٰ وله بها عقب[٣].

وغير هؤلاء جَمٌّ غفيرٌ.

(١) المصدر نفسه ١/ ٤٥.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٤٤٤.

(٣) المصدر نفسه ١/ ٤٧٢.

الفصل الأول

صِلات مدرسة الحديث
القرطبية بغيرها من الأمصار

وفيه مبحثان:

المبحث الأول:

طلاب قرطبة الذين رحلوا إلىٰ الأمصار، وأبرز المحدثين الذين سمعوا منهم.

المبحث الثاني:

الفوائد التي حصّلها الطلاب أثناء الرحلة، وأثرها عليهم.

المبحث الأول
طلاب قرطبة الذين رحلوا إلى الأمصار وأبرز المحدثين الذين سمعوا منهم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:

طلاب الحديث الذين رحلوا من قرطبة والمدن التي دخلوها.

المطلب الثاني:

أبرز العلماء الذين سمع منهم، طلاب الحديث القرطبيون في المغرب والمشرق.

لم يقتصر طلاب الحديث بقرطبة - كما تقدم - علىٰ سماع الحديث من محدثي بلدهم فحسب، بل تجاوزت بهم آمالهم حدودَ مصرهم، لترحل بهم آمالهم وطموحاتهم إلىٰ عالم أرحب، وبلاد أشهر، يجدون فيها ما يروي الغُلّة، ويحقق الهدف المرتجىٰ. ولذا بادر هؤلاء بالرحلة، بعضهم وهو شاب مكتهل، وبعضهم رحل وهو شيخ إمام، وبعضهم كرّر الرحلة وعاود الطلب، وبعضهم مكث مدّة مديدة في المشرق، ولكل وجهة وقصد.

وهؤلاء الذين رحلوا كثير جدًا، بل قلّما تجد طالبًا للحديث خاصة، إلا وقد رحل للحج والسماع.

وقد أحصيتُ في المطلب الأول - من المبحث الأول - أولئك الطلاب الذين رحلوا من قرطبة إلىٰ غيرها من البلاد، مع التنصيص علىٰ أسماء تلك المدن التي دخلوها.

وقد واجهتني في هذا صعوبات، لعل أشدّها وأرهقها هو محاولة تمييز طلاب الحديث الراحلين عن غيرهم من طلاب الرحلة الآخرين، أصحاب الفنون الأخرىٰ.

وقد تجاوزتُ هذه المشكلة - والحمد لله - بقرائنَ عدّة سرت علىٰ ضوئها في هذا الباب، إما باعتبار حال الطالب، أو الشيخ الذي ارتحل إليه الطالب، أو غير ذلك من القرائن.

كما ذكرتُ في المطلب الثاني - من المبحث نفسه - أسماء أبرز المحدثين الذين سمع منهم طلاب الحديث القرطبيون، وتحملوا

عنهم في المغرب والمشرق.

وقد نصصتُ علىٰ أمصارهم التي كانوا يقطنونها وعلىٰ تاريخ وفياتهم ما أمكن.

ولم أحْصر هؤلاء عددًا، لكثرتهم أولًا؛ ولأن بعضهم غير مشهور بين جمهور الطلاب الذين أخذوا عنهم، وإنما أخذ عنه طالب أو طالبان حديثًا أو حديثين ليس إلاّ.

المطلب الأول
طلاب الحديث الذين رحلوا من قرطبة والمدن التي دخلوها

المدينة	أسماء الطلاب الذين دخلوها	المصدر
الأبلّة	محمد بن معاوية بن عبد الرحمن القرطبي (ت٣٥٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٣٤
الإسكندرية	حسين بن محمد بن قابل القرطبي (ت٣٧٢هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٠٧
	خلف بن محمد بن خلف الخولاني (ت٣٧٤هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٤٩
	عبيد بن محمد بن أحمد القيسي (ت٣٩٢هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٧٢
	إبراهيم بن عبد الله بن مسرة القرطبي	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٤
	مسلمة بن القاسم بن إبراهيم	تاريخ علماء الأندلس

	(ت٣٥٣هـ)	٢/ ٨٢٣
إشبيلية	محمد بن القاسم القرطبي	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٥٩
أطرابلس	عبيد بن محمد بن أحمد القيسي (ت٣٩٢هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٧٣
	مسلمة بن القاسم القرطبي (ت٣٥٣هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٢٣
بخارىٰ	عبد العزيز بن عبد الملك القرطبي (ت٣٦٥هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٤٧٣
	محمد بن صالح المعافري القرطبي (ت٣٧٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٦٧
البصرة	عيسىٰ بن سعيد بن سعدان القرطبي (ت٣٩٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٦٤
	عبد الله محمد بن ربيع القرطبي (ت٣٨٩هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٢٢
	مروان بن عبد الملك القرطبي	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨١٥

	أحمد بن عباد بن غدرون القرطبي	تاريخ علماء الأندلس ٩٩/١
	وليد بن عمر بن بشير القرطبي	تاريخ علماء الأندلس ٨٧١/٢
	إبراهيم بن لبيب القرطبي (ت٢٧٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٣٨/١
	محمد بن معاوية بن عبد الرحمن القرطبي (ت٣٥٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٧٣٤/٢
	عبد الرحمن بن محمد بن أحمد القرطبي	تاريخ علماء الأندلس ٤٤٤/٢
	مسلمة بن القاسم بن إبراهيم (ت٣٥٣هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٨٢٤/٢
بغداد	عيسىٰ بن سعيد بن سعدان القرطبي (ت٣٩٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٥٦٤/٢
	عبد الله بن محمد بن ربيع القرطبي (ت٣٨٩هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٤٢٢/١
	سعيد بن حسان بن العلاء القرطبي	تاريخ علماء الأندلس

		١/ ٣١٢
	وهب بن نافع الأسدي القرطبي	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٧٥
	وليد بن عمر بن بشير القرطبي	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٧١
	محمد بن عبيد بن أيوب القرطبي (ت٣١٧)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٤
	محمد بن معاوية بن عبد الرحمن القرطبي (ت٣٥٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٣٤
	قاسم بن عبد الواحد بن حمزة العجلي (ت بعد ٢٦٣هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٠١
	محمد بن زكريا بن محمد اللخمي (ت٣٢٢هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٩٣
	مسلمة بن القاسم القرطبي (ت٣٥٣هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٢٤
بلخ	عبد العزيز بن عبد الملك القرطبي	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٧٢

بيت المقدس	محمد بن يحيىٰ بن زكريا التيميم (ت٣٩٤هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٩٢
	محمد بن ميسور القرطبي	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٢٠
	حسن بن نسيب التميمي القرطبي	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٠٤
	عبيد بن محمد بن أحمد القيسي (ت٣٩٢هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٧٣
	إبراهيم بن حارث بن عبد الملك الأنطي (ت٣٩١هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٥٥
تنس	سعيد بن حسان بن العلاء القرطبي	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٣١٢
جدة	عبد السلام بن السمح بن نابل الهوّاري (ت٣٠٧هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٤٩٣
	مسلمة بن القاسم بن إبراهيم القرطبي (ت٣٥٣هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٢٤
خراسان	علي بن موسىٰ بن زياد اللخمي	تاريخ علماء الأندلس

	القرطبي (ت بعد ٣٧٠هـ) ودخوله إليها مظنون	٢/ ٥٣٣
	عبد العزيز بن عبد الملك القرطبي (ت٣٦٥هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٤٧٢
	محمد بن صالح المعافري القرطبي (ت٣٧٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٦٧
الرملة	محمد بن يحيىٰ بن زكريا التميمي (ت٣٩٤هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٩٢
	عبيد بن محمد بن أحمد القيسي (ت٣٩٢هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٧٣
	مسلمة بن القاسم القرطبي (ت٣٥٣هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٢٤
الشام	محمد بن عبد العزيز القرطبي (ت٢٩٣هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٥٥
	جعفر بن يحيىٰ الفهري (ت بعد ٣٧٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٨٩
	حسن بن علي بن أبي الحسن	تاريخ علماء الأندلس

	القرطبي	١/ ٢٠٣
	زكرياء بن يحيىٰ بن عبد الملك الثقفي (ت٢٧٦هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٦٩
	مسلمة بن القاسم القرطبي (ت٣٥٣هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٢٥
صنعاء	يوسف بن يحيىٰ بن يوسف الأزدي (ت٢٨٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٩٣٣
	أحمد بن خالد بن يزيد القرطبي (ت٢٤٦هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٧٦
	مسلمة بن القاسم القرطبي (ت٣٥٣هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٢٤
عدن	إسحاق بن غالب بن تمام العصفري (ت٣٨٩هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٤٤
العراق	محمد بن عيسىٰ بن عبد الواحد المعافري (ت٢٢١هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٣٣
	محمد بن عبيد الجزيري (ت٣٠٥هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٦٨

	أحمد بن إبراهيم بن فروة اللخمي القرطبي (ت بعد٢٩٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٦٠
	أحمد بن خالد الجذامي القرطبي (ت٣٧٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١١٧
	علي بن موسىٰ بن زياد اللخمي القرطبي (ت بعد ٣٧٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٣٣
	عثمان بن حسين الحجاري (ت بعد ٣٧٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٢١
	بكر بن العين القرطبي	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٧٣
	سعيد بن عمران بن مشرف القرطبي	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٩٢
	عبد العزيز بن عبد الملك القرطبي (ت٣٦٥هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٤٧٢
	محمد بن صالح المعافري القرطبي (ت٣٧٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٦٧
	زكرياء بن يحيىٰ بن عبد الملك	تاريخ علماء الأندلس

	الثقفي (ت٢٧٦هـ)	١/ ٩
	محمد بن قاسم بن هلال القرطبي (ت٢٩١هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٥٥
	عبد الله بن إبراهيم بن وزير القرطبي	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٣٧٣
	محمد بن عبد السلام بن ثعلبة الخشني	جذوة المقتبس ١/ ١١٧
عسقلان	عبيد بن محمد بن أحمد القيسي (ت٣٩٢هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٧٣
	مسلمة بن قاسم القرطبي (ت٣٥٣هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٢٥
فلسطين	أحمد بن محمد بن عبادل القرطبي	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٠٢
القُلزم	محمد بن يحيىٰ بن زكريا التميمي (ت٣٩٤هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٩٢
	عمر بن أسد القرطبي	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٥٠

	مسلمة بن القاسم القرطبي (ت٣٥٣هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٨٢٣/٢
القيروان	أحمد بن سعيد بن حزم بن يونس الصدفي القرطبي (ت٣٥٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٩٦/١
	عبد الملك بن هذيل بن عبد الملك التميمي القرطبي (ت٣٥٩هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٤٦٥/١
	محمد بن عبد العزيز القرطبي (ت٢٩٣هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٦٥٥/٢
	يوسف بن يحيىٰ بن يوسف الأزدي (ت٢٨٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٩٣٤/٢
	خلف بن محمد بن خلف الخولاني (ت٣٧٤هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢٤٩/١
	عيسىٰ بن عاصم بن مسلم الثقفي القرطبي (ت٢٥٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٥٥٧/٢
	علكدة بن نوح بن اليسع الرعيني (ت٢٣٧هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٥٧٦/٢
	حسن بن نسيب التميمي القرطبي	تاريخ علماء الأندلس

		١/ ٢٠٤
	عبيد بن محمد بن أحمد القيسي (ت٣٩٢هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٧٣
	محمد بن عبيد بن أيوب القرطبي (ت٣١٧هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٨٤
	أحمد بن عبد الله بن أيوب الأموي	الصلة ١/ ٤٨
	إبراهيم بن محمد بن باز (ت٢٧٤هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٣٧
	أحمد بن محمد بن أحمد الأنصاري (ت٣٩١هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٢٢
	عبد الله بن إبراهيم بن وزير القرطبي	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٣٧٣
	محمد بن عبد الله بن يحيىٰ الليثي (ت٣٣٩هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧١٨
	يحيىٰ بن عبد العزيز القرطبي (ت٢٩٥هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٩٠٧
	محمد بن عبد الله بن أبي عيسىٰ	قضاة قرطبة ص(٢٣٤)

	القرطبي (ت٣٣٩هـ)	
	إسحاق بن غالب بن تمام العصفري (ت ٣٨٩هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٤٤
	مسلمة بن القاسم القرطبي (ت٣٥٣هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٢٣
قيسارية	محمد بن موسىٰ بن هاشم القرطبي (ت٣٠٧هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٧٢
الكوفة	محمد بن معاوية بن عبد الرحمن القرطبي (ت٣٥٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٣٤
المدينة النبوية	محمد بن عيسىٰ بن عبد الواحد المعافري (ت٢٢١هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٣٣
	عبد الرحمن بن عبيد الله بن موسىٰ القرطبي (ت٣٦٩هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٥٠
	عبد الله بن لبيب القرطبي	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٣٧٠
	يحيىٰ بن مضر القيسي (ت١٩٠هـ)	جذوة المقتبس ٢/ ٦٠٤
	خلف بن محمد بن خلف الخولاني	تاريخ علماء الأندلس

	القرطبي (ت٣٧٤هـ)	١/ ٢٤٩
	حاتم بن سليمان بن يوسف الزهري	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٩٨
	أحمد بن محمد بن معروف القرطبي (ت٣٧٢هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٠٨
	يحيىٰ بن يزيد الأزدي	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٩٦
	عبد الرحمن بن دينار بن واقد الغافقي (ت٢٠١هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٣٨
المشرق	أحمد بن أفلح بن حبيب الأموي القرطبي	الصلة ١/ ٤٥
	ربيع بن محمد بن سليمان التميمي القرطبي	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٦٧
	أحمد بن محمد بن هشام الإيادي القرطبي	الصلة ١/ ٦١
	حسن بن سلمة بن سلمون القرطبي (ت٣٣٥هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٠٢

	بدر القرطبي (مولىٰ أحمد بن قطن الزيات) (ت٣٩٤هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٧٧
	عبد الله بن عبد الرحمن القرطبي	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٠٢
مصر (١)	عيسىٰ بن عاصم بن مسلم الثقفي القرطبي (ت٢٥٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٥٧
	عثمان بن حسين الحجاري (ت٣٧٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٢١
	أحمد بن هشام بن أمية الأموي (ت٣٩٨هـ)	الصلة ١/ ٤١
	عبد الكبير بن محمد الجزري (ت٣٦٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٠٢
	علكدة بن نوح بن اليسع الرعيني (ت٢٣٧هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٧٦

(١) يلاحظ أن مصر هي أكثر البلاد التي رحل إليها الطلاب؛ وذلك لأنها علىٰ طريقهم جيئةً وذهابًا، ولقربها النسبي منهم، قال الدكتور زكي مبارك: «وكان يتفق لأهل الأندلس أن يقيموا زمنًا بمصر في طريقهم إلىٰ المشرق، ليأخذوا عن علماء مصر ما يرون أخذه فضلًا وعائدة». النثر الفني في القرن الرابع ١/ ١١.

	أصبغ بن عبد الله بن مسرة القرطبي (ت٣٨٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٥٦
	أحمد بن محمد بن خلف القرطبي	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٠٤
	أحمد بن محمد بن أحمد القرطبي (ت٣٩١هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٢٢
	عبد الله بن إبراهيم بن وزير القرطبي	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٣٧٣
	محمد بن عبد الله بن يحيىٰ الليثي (ت٣٣٩هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧١٨
	إبراهيم بن حارث بن عبد الملك الأنطي (ت٣٩١هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٥٥
	أحمد بن فرج بن منتيل القرطبي	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٩٢
	جعفر بن يحيىٰ الفهري (ت بعد ٣٧٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٨٩
	حاتم بن سليمان بن يوسف الزهري	تاريخ علماء الأندلس

		١/ ١٨٩
	حسن بن علي بن أبي الحسن القرطبي	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٠٣
	خطاب بن مسلمة بن محمد الإيادي (ت٣٧٢هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٤٣
	حسن بن نسيب التميمي القرطبي	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٠٤
	أفلح القرطبي (مولىٰ إبراهيم بن يوسف) (ت٣٩٤هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٥٩
	عبيد بن محمد بن أحمد القيسي (ت٣٩٢هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٧٣
	بدر القرطبي (مولىٰ ابن شهيد الصقلبي)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٧٦
	عثمان بن سعد البزاز القرطبي (ت٣٧٩هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٢١
	يحيىٰ بن محمد بن يوسف الأشعري (ت٣٩٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٩٢٥

	إبراهيم بن محمد بن باز (ت٢٧٤هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٣٧
	يوسف بن يحيىٰ بن يوسف الأزدي القرطبي (ت٢٨٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٩٣٣
	محمد بن موسىٰ بن هاشم القرطبي (٣٠٧هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٧٢
	عثمان بن سعيد الأعناقي	جذوة المقتبس ١/ ١٤٠
	سعيد بن حسان بن العلاء القرطبي (٣٨٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٣١٢
	عبد السلام بن السمح بن نابل الهواري (ت٣٠٧هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٤٩٣
	أحمد بن خالد الجذامي القرطبي (ت٣٧٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١١٧
	حسين بن محمد بن قابل القرطبي (ت٣٧٢هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٠٧
	سعيد بن حمدون بن محمد الصوفي (ت٣٧٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٣١١

	عبد الرحمن بن عبيد الله بن موسىٰ القرطبي (ت٣٦٩هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٥٠
	خلف بن محمد بن خلف الخولاني القرطبي (ت٣٧٤هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٤٩
	عبد الله بن سعد القرطبي (ت قبل ٣٧٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٠٥
	علي بن موسىٰ بن زياد اللخمي (ت بعد ٣٧٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٣٣
	أحمد بن سعيد بن حزم بن يونس الصدفي القرطبي (ت٣٥٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٩٦
	محمد بن يحيىٰ بن وهب القرطبي (ت٣٨٤هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٨٠
	داود بن هذيل بن منان القرطبي (ت٣١٥هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٥٩
	رشيد بن فتح الدجاج القرطبي (ت٣٧٦هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٦٧
	عبد الملك بن هذيل بن عبد الملك	تاريخ علماء الأندلس

	التميمي (ت٣٥٩هـ)	١/ ٤٦٥
	عيسىٰ بن سعيد بن سعدان الكلبي القرطبي (ت٣٩٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٥٦٤
	عبد الله بن محمد بن ربيع القرطبي (ت٣٨٩هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٤٢٢
	محمد بن يحيىٰ بن زكريا التميمي القرطبي (ت٣٩٤هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٩٢
	محمد بن سعيد بن حسان الصائغ (ت٢٦٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٣٧
	محمد بن عبد العزيز القرطبي (ت٢٩٣هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥
	عبد الملك بن حبيب القرطبي (ت٢٣٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٥٩
	محمد بن معاوية بن عبد الرحمن القرطبي (ت٣٥٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٣٤
	محمد بن عبد الله بن أبي عيسىٰ القرطبي (ت٣٣٩هـ)	قضاة قرطبة ص(٢٣٤)

	إبراهيم بن موسىٰ بن جميل الأندلسي	جذوة المقتبس ١/ ٢٤٣
	إسحاق بن غالب بن تمام العصفري (ت٣٨٩هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٤٤
	مسلمة بن القاسم القرطبي (ت٣٥٣هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٢٣
مكة	محمد بن يحيىٰ بن زكريا القرطبي (ت٣٩٤هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٩٢
	محمد بن عبد العزيز القرطبي (ت٢٩٣هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٥٥
	يوسف بن يحيىٰ بن يوسف الأزدي (ت٢٨٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٩٣٣
	عبد السلام بن السمح بن نابل الهوّاري (ت٣٠٧هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٤٩٢
	أحمد بن خالد الجذامي القرطبي (ت٣٧٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١١٧
	حسين بن محمد بن قابل القرطبي	تاريخ علماء الأندلس

	(ت٣٧٢هـ)	١/ ٢٠٧
	عبد الله بن محمد بن ميسور القرطبي (ت٣٨٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤١٧
	مسلمة بن محمد الإيادي القرطبي (ت٣٩١هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٢٥
	سعيد بن حمدون بن محمد الصوفي القرطبي (ت٣٧٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٣١١
	عبد الرحمن بن عبيد الله بن موسىٰ القرطبي (ت٣٦٩هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٥٠
	أحمد بن أبي قومس القرطبي	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٧٥
	أحمد بن خالد بن يزيد القرطبي (ت٢٤٦هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٧٦
	إبراهيم بن حارث الأنطي (ت٣٩١هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٥٤
	محمد بن معاوية بن عبد الرحمن القرطبي (ت٣٥٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٣٤

	محمد بن عبد الله بن أبي عيسىٰ (ت٣٣٩هـ)	قضاة قرطبة ص(٢٣٤)
	قاسم بن عبد الواحد بن حمزة العجلي (ت بعد ٢٦٣هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٠١
	محمد بن زكريا بن محمد اللخمي (ت٣٢٢هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٩٣
	العاصي بن عثمان بن منيم القرطبي	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٦٩
	مسلمة بن القاسم بن إبراهيم (ت٣٥٣هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٢٤
	أحمد بن سعيد بن حزم بن يونس الصدفي القرطبي (ت٣٥٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٩٦
	محمد بن يحيىٰ بن وهب القرطبي (ت٣٨٤هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٨٠
	داود بن هذيل بن منان القرطبي (ت٣١٥هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٥٩
	رشيد بن فتح الدجاج القرطبي	تاريخ علماء الأندلس

	(ت٣٧٦هـ)	١/ ٢٦٧
	عبد الملك بن هذيل بن عبد الملك التميمي القرطبي (ت٣٥٩هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٦٥
	محمد بن خليفة بن عبد الجبار البلوي القرطبي (ت٣٩٢هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٩٠
	محمد بن عيسىٰ بن عبد الواحد المعافري القرطبي (ت٢٢١هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٣٣
	محمد بن صالح المعافري القرطبي (ت٣٧٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٦٧
	عثمان بن سعد البزاز القرطبي (ت٣٧٩هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٢١
	يحيىٰ بن محمد بن يوسف الأشعري (ت٣٩٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٩٢٥
	أحمد بن عبد الله بن أيوب الأموي	الصلة ١/ ٤٨
	عبد الله بن سعيد الحجري القرطبي (ت٣٨٢هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤١٨
	أصبغ بن عبد الله بن مسرة القرطبي	تاريخ علماء الأندلس

	(ت٣٨٨هـ)	١/ ١٥٦
	أحمد بن محمد بن معروف القرطبي (ت٣٧٢هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٠٨
	أحمد بن محمد بن أحمد الأنصاري (ت٣٩١هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٢٢
	أحمد بن محمد بن عبد البر التجيبي (ت٣٦٣هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٠٦
	محمد بن عبد الله بن يحيىٰ الليثي (ت٣٣٩هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧١٨
	خلف بن محمد بن خلف الخولاني (ت٣٧٤هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٤٩
	عبد الله بن سعد القرطبي (ت قبل ٣٧٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٠٥
	علي بن موسىٰ بن زياد اللخمي (ت بعد ٣٧٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٣٣
	عثمان بن حسين الحجاري (ت٣٧٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٢١

	أحمد بن هشام بن أمية الأموي (ت٣٩٨هـ)	الصلة ١/ ٤١
	عبد الكبير بن محمد الجزري (ت٣٦٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٠٢
	جعفر بن يحيىٰ الفهري (ت بعد ٣٧٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٨٩
	خطاب بن مسلمة بن محمد الإيادي (ت٣٧٢هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٤٣
	عبد الحميد بن محمد الزهيري (ت نحو ٣٨٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٤٩٦
	أفلح القرطبي (مولىٰ إبراهيم بن يوسف) (ت٣٩٤هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٥٩
	أصبغ بن علي بن حكيم القرطبي (ت٣٩٤هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٥٧
	عبد العزيز بن عبد الملك القرطبي (ت٣٦٥هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٤٧٢

المطلب الثاني
أبرز العلماء الذين سمع منهم طلاب الحديث القرطبيون في المغرب والمشرق

المدينة	أبرز العلماء الذين سمع منهم القرطبيون	المصدر
مكة	علي بن عبد العزيز البغوي (ت٢٨٦هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٠١
	محمد بن إسماعيل بن سالم الصائغ البغدادي (ت٢٧٦هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٦٠٢
	أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر (ت٣١٩هـ)	قضاة قرطبة ص(٢٣٤)
	محمد بن الحسين الآجري (ت٣٦٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٠٨
	عبد الله بن علي بن الجارود (ت٣٠٧هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٣٨٤
	أبو جعفر العقيلي (ت٣٢٢هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٦٩

	سفيان بن عيينة (ت١٩٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٣٣
القيروان	سحنون بن سعيد (ت٢٤٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٣٧٣
فلسطين	أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)	جذوة المقتبس ١/ ١٤٥
بغداد	علي بن عمر الدارقطني (ت٣٨٥هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٢٢
	إسماعيل بن إسحاق القاضي (ت٢٨٢هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٨٤
	أحمد بن حنبل (ت٢٤٢هـ)	جذوة المقتبس ١/ ١١٧
	عبد الله بن أحمد بن حنبل (ت٢٩٠هـ)	جذوة المقتبس ١/ ٢٤٣
	أحمد بن زهير بن حرب (ابن أبي	تاريخ علماء

	خيثمة) (ت٢٧٩هـ)	الأندلس ١/ ٤٣ و٢/ ٦٩٢
	الحسن بن عرفة (ت٢٥٧هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٥٩
مصر	الحسن بن رشيق (ت٣٧٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٥٦
	أبو علي سعيد بن عثمان بن السكن (ت٣٥٣هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٥٦
	يحيىٰ بن عبد الله بن بكير المخزومي (ت٢٣١هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٣٧
	أسد بن موسىٰ (ت٢١٢هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٥٧
	عبد الله بن وهب المصري (ت١٩٧هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٧٦
	عبد الله بن عبد الحكم المصري	جذوة المقتبس

	(ت٢١٤هـ)	١/ ١٤٠
	إبراهيم بن المنذر الحزامي (ت٢٣٦هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٤٥٩
	أصبغ بن الفرج (ت٢٢٥هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٣٥
البصرة	عبد الله بن مسلمة القعنبي (ت٢٢١هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٣٨
	بندار محمد بن بشار (ت٢٥٢هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٩٢
	أبو داود السجستاني (ت٢٧٥هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٧١
	يحيىٰ بن سعيد القطان (ت١٩٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٣٣
المدينة النبوية	مالك بن أنس (ت١٧٩هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٩٥

		وغيرها
الكوفة	محمد بن زياد (ابن الأعرابي) (ت٢٣١هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٦٩
	وكيع بن الجراح (١٩٧هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٣٣
صنعاء	إسحاق بن إبراهيم الدبري (ت٢٨٥هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٩٣٣
خراسان	محمد بن يعقوب بن يوسف النيسابوري أبو العباس (ت٣٤٦هـ)	العبر ٢/ ٧٤

المبحث الثاني
الفوائد التي حصّلها الطلاب أثناء الرحلة، وأثرها عليهم

كانت الرحلة من الأولويات المقدمة عند طالب الحديث، بعد أن يسمع الحديث ببلده، فقلّما نجد طالبًا لا تنازعه نفسه للرحلة إلىٰ محدثي الأمصار، شأن أقرانه وزملائه في الطلب.

وما كان هذا الوازع ليكون - رغم مصاعب الرحلة المتعددة - لولا ما يتوقعه الطالب من فوائد جمّة سوف يجنيها من رحلته، وهذا أمر لا يختلف فيه اثنان.

لذا فقد كانوا يستسهلون الرحلة ومشقتها، ويستعذبون ذلك، في سبيل تحصيل ما ليس عندهم من العلم، وإمامهم في هذا ما قاله الشعبي: «لو أن رجلًا سافر من أقصىٰ الشام إلىٰ أقصىٰ اليمن، فحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبله من عمره، رأيت أن سفره لا يضيع»[(١)].

ومن هذه الفوائد التي حصّلها هؤلاء الطلاب أثناء الرحلة:

١- **تحصيل الكتب والأحاديث بالأسانيد العالية:** وهذه من أهم فوائد الرحلة، إذ جمهور المحدثين علىٰ استحباب طلب السند العالي، والأخذ مباشرة من المصدر الأصلي للخبر، والإقلال مهما أمكن من الوسائط؛ لأن احتمال الخطأ والوهم يقلّ حينئذ.

---

(١) الرحلة في طلب الحديث ص (٩٦).

قال ابن الصلاح: «وطلب العلو فيه - أي الإسناد - سنّة أيضًا، ولذلك استحبت الرحلة فيه... **قال أحمد بن حنبل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «طلب الإسناد العالي سنّة عمّن سلف»... قلت: العلو يُبعد الإسناد من الخلل؛ لأن كل رجل من رجاله يحتمل أن يقع الخلل من جهته سهوًا أو عمدًا، ففي قلّتهم قلّة جهات الخلل، وفي كثرتهم كثرة جهات الخلل، وهذا جليّ واضح»[(١)].

ولقد مكّنت الرحلة محدثي قرطبة من لقاء الشيوخ، والأخذ عنهم مباشرة بدون وسائط، وكان شيوخهم في قرطبة يحثونهم علىٰ الرحلة لتحصيل هذا الأمر، كما فعل زياد شبطون مع تلميذه يحيىٰ بن يحيىٰ الليثي، فقد قال له ذات يوم بعد أن أتمّ عليه سماع الموطأ: إن الرجال الذين حملنا العلم عنهم باقون، وعجْزٌ بك أن ترويَ عمّن دونهم.

فأخذ يحيىٰ بنصيحة شيخه، وخرج إلىٰ المشرق فحج وسمع مالكًا، وأخذ عنه الموطأ، والليث، وطبقتهما[(٢)].

قال قاسم بن أصبغ: كنا نسخنا من كتاب إبراهيم بن موسىٰ بن جميل مولىٰ بني أمية، بمصر، كتاب البصريين من «تاريخ ابن أبي خيثمة»، فلما قدمنا بغداد، وشهدنا بنسختنا عند ابن أبي خيثمة، فقرأها علينا، وجدناها مخطئةً كلَّها، حتىٰ أنكَرَنا، وقال: ما شأن كتابكم اليوم؟! فقلنا له: نسخناه من كتاب ابن جميل، وقد قُرئ علىٰ أهل

---

(١) مقدمة ابن الصلاح ص (٢٥٦).

(٢) **انظر**: ترتيب المدارك ٣/ ٣٨٠.

مصر؛ فقال: الحمد لله الذي لم يدخل كتابي عندهم صحيحًا، ما كان أهل مصر يستحقون مثل هذا!

ثم أخذنا كتابه، وقابلنا به، ولقد بقي علينا فيه بقايا لم تتمّ بعدُ، ولا تتمّ أبدًا[١].

٢- **كثرة سماع الحديث ولقاء الشيوخ**: وهذا هو هدف طلاب قرطبة الرئيسي من الرحلة بالإضافة للحج، فقد كان كل واحد يحاول جاهدًا أثناء رحلته أن يسمع أكبر قدر ممكن من الكتب ومن الشيوخ، وأن يستكثر ما أمكنه منهما، ليعم الانتفاع به وبعلْمه بعد مَقْدَمه.

ولذا كان أحدهم ربما تغيّب في رحلته عشرات السنين، كما هو حال بقي بن مخلد القرطبي مثلًا، الذي استمر في رحلته أربعًا وثلاثين سنة كما مرّ ذكره، كل ذلك من أجل التزود ما استطاع من السماع واللقاء.

ومن هؤلاء الذين سمعوا كثيرًا في رحلتهم:

- عبد الملك بن حبيب السلمي (ت٢٣٨هـ)، فقد «انصرف إلىٰ الأندلس وقد جمع علمًا عظيمًا»[٢].

- **ومنهم**: رشيد بن فتح الدجاج القرطبي (ت٣٧٦هـ)، الذي «رحل إلىٰ المشرق حاجًّا... فسمع بمصر سماعًا كثيرًا، وسمع بمكة من محمد بن الحسين الآجري كثيرًا من مؤلفاته... وكان معنيًا

(١) المصدر نفسه ١/ ٤٣ بتصرف يسير.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٤٥٩.

بالحديث، جامعًا للآثار، كثير الكتاب»[(١)].

- **ومنهم**: أحمد بن محمد بن معروف الجذامي القرطبي (ت٣٧٢هـ)، الذي «رحل إلىٰ المشرق فسمع بمكة وغيرها سماعًا كثيرًا»[(٢)].

- **ومنهم**: محمد بن صالح المعافري القرطبي (ت٣٧٨هـ)، الذي «رحل إلىٰ المشرق فسمع بمكة من ابن الأعرابي، ومن غيره من المكيين، ودخل العراق، فكتب بها عن كثير من محدثيها، وكان كتّابة للحديث ورحل إلىٰ خراسان...»[(٣)].

- **ومنهم**: علي بن موسىٰ بن زياد اللخمي القرطبي (ت بعد ٣٧٠هـ)، فقد «رحل إلىٰ المشرق فسمع بمصر ومكة... ودخل إلىٰ العراق فسمع هنالك سماعًا كثيرًا»[(٤)].

- **ومن هؤلاء** الذين أولعوا بالإكثار من الشيوخ: عبد الرحمن بن عبيد الله بن موسىٰ القرطبي (ت٣٦٩هـ) الذي رحل إلىٰ المشرق فسمع هنالك سماعًا كثيرًا.

قال ابن الفرضي: «وقد رأيت تسمية الرجال الذين كتب عنهم بالأندلس والمشرق، فكان عددهم زائدًا علىٰ الأربعمائة، وقلّما كتبت

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٢٦٧، ٢٦٨.
(٢) المصدر نفسه ١/ ١٠٨.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٧٦٧.
(٤) **انظر**: المصدر نفسه ٢/ ٥٣٣.

في الأندلس عن أحد إلا وقد كتب عنه، وكان كثير الجمع للحديث، مولعًا بالإكثار من أسماء الرجال، وإنما كان يروي عن الشيخ حديثًا أو حديثين أو حكاية»[(١)].

٣- **إدخال الكتب المشرقية إلىٰ الأندلس، وتفرد بعضهم بإسماعها**: وقد تقدم هذا الموضوع المهم في مبحث سابق أفردته لهذه الكتب[(٢)]، والذي أحب إضافته هنا هو أن بعض هؤلاء الراحلين، حرص علىٰ سماع أكبر قدر من الكتب المشرقية، خصوصًا تلك الكتب التي لم يسبقه إليها أحد من قبل.

ولَكَم تكون فرحة طلاب قرطبة عندما يأتيهم أحد العلماء بكتاب لم يسبق أن سمعوه من غيره، ويجلس لهم ليأخذوه عنه، فبقي بن مخلد سبق مرارًا أنه تفرد بإدخال كتب كثيرة الأندلس، منها «مصنف» ابن أبي شيبة، و«الأم» للشافعي، و«طبقات» و«تاريخ» خليفة بن خياط وغيرها[(٣)].

وهذا عبد السلام بن السمح بن نابل الهوّاري (ت٣٨٧هـ) رحل إلىٰ المشرق قديمًا وتردد هنالك مدة طويلة، وتفرد بإدخال بعض الكتب، منها نوادر علي بن عبد العزيز، ولم تكن عند أحد من الشيوخ غيره[(٤)].

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٤٥٠، ٤٥١.

(٢) **انظر**: المبحث الأول من الفصل الثاني.

(٣) السير ١٣/ ٢٨٧.

(٤) **انظر**: تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٤٩٢، ٤٩٣.

ومثله أحمد بن خالد بن عبد الله الجذامي (ت٣٧٨هـ)، الذي رحل إلىٰ المشرق، فسمع بالعراق ومكة ومصر وغيرها، «وأدخل الأندلس كتبًا غريبة، تفرّد بروايتها، فسمعها الناس منه قديمًا وحديثًا»[(١)].

وكذا أصبغ بن عبد الله بن مسرة (ت٣٣٨هـ)، الذي كان عنده مؤرخة ابن وهب[(٢)].

٤- **إفادة الناس وإسماعهم الحديث أثناء الرحلة**: وهذه فائدة مزدوجة، فإن بعض هؤلاء الراحلين كان يُسمع الحديث الذي عنده، مع خروجه هو أصالةً لطلب الحديث، فيفيد الناس بما عنده في بلدان السماع؛ لأنه قد يمرّ علىٰ القيروان مثلًا فيسمع بها، أو بمصر أو بغيرها، فإذا قدم بغداد مثلًا كان ما عنده جديدًا بالنسبة لما لدىٰ هؤلاء، فيسمعون منه، وبالعكس أيضًا.

فهذا يوسف بن يحيىٰ بن يوسف الأزدي القرطبي (ت٢٨٨هـ) أقام ثلاث سنين أو أربعًا بعد عودته من رحلته، ثم عاود الكرّة، فرحل إلىٰ مصر، وسمع الناس منه (واضحة) عبد الملك بن حبيب، وغير ذلك من كتبه، وعظُم قدره بالمشرق... وكان قد رحل في طلب الحديث وهو يومئذ شيخ إمام سُمع عنه العلم قبل رحلته، وذهب إلىٰ الدبري في صنعاء، وكتب عنه الناس، وكذلك الحال في مكة والقيروان، وبها توفي[(٣)].

---

(١) المصدر نفسه ١/ ١١٧.

(٢) المصدر نفسه ١/ ١٥٦.

(٣) المصدر نفسه ٢/ ٩٣٣، ٩٣٤.

ومن هؤلاء أحمد بن إسحاق بن مروان الغافقي القرطبي (ت٣٧٢هـ)، الذي رحل حاجًا وطالبًا، فسمع هنالك علمًا كثيرًا، وقد حدَّث ببشتر[(١)]، وكان قد كتب كتاب البخاري في السنن (الصحيح)، وكتاب «الإشراف» لابن المنذر وغير ذلك علمًا كثيرًا[(٢)].

أما القيروان، فقد ظفَرتْ بالنصيب الأكبر من إفادة هؤلاء القرطبيين في طريق الذهاب والعودة.

فيوسف بن يحيىٰ الأزدي آنف الذكر، دخل القيروان أيضًا وبها مات سنة (٢٨٨هـ) كما تقدم قريبًا.

ومحمد بن عبد العزيز القرطبي (ت٢٩٣هـ)، لما قدم القيروان، سمع منه محمد التميمي بها، وأثنىٰ عليه في درايته بالحديث، وذلك بعد عودته من رحلته[(٣)].

ومحمد بن عبيد بن أيوب القرطبي (ت٣١٧هـ)، لما عاد من رحلته، عرّج فنزل فندق ابن خيرون بالقيروان، فأتاه أكابر الناس وسمعوا منه[(٤)].

كما أن محمد بن عبيد الجزيري القرطبي قد سمع منه أهل القيروان

---

(١) هكذا في المطبوع، ولعلها بُشتير: موضع في بلاد جيلان، وجيلان بالكسر: اسم لبلاد كثيرة من وراء طبرستان. **انظر**: معجم البلدان ١/ ٤٢٦ و٢/ ٢٠١، والأعلام ١/ ٢٨١.

(٢) **انظر**: تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٠٩.

(٣) المصدر نفسه ٢/ ٦٥٥.

(٤) المصدر نفسه ٢/ ٦٨٥.

وحدثوا عنه، وأثبتوا سماعهم منه في كتبهم كما نصّ علىٰ ذلك ابن حارث[١].

٥- **علوُّ قدرهم وجلالة شأنهم والثقة بهم عند أهل الأندلس أمراء وعامة بعد عودتهم**: وهذا أمر طبعي؛ فإن هؤلاء المحدثين الذين ضحّوا بأموالهم وأنفسهم وجهدهم ووقتهم، جديرون ولا شك بالتقدير البالغ، والاحترام التام؛ لأن الذي سوف يجني ثمار هذه الرحلة والعناء من علوم وفوائد وسنن وآداب هم أهل الأندلس أنفسهم.

وقد ظهر هذا التقدير والإجلال والثقة في كثرة توافد الناس عليهم للسماع منهم والأخذ عنهم، حتىٰ امتلأت تلك المجالس بالطلاب والراغبين.

قال ابن الفرضي عن مجلس محمد بن يحيىٰ بن زكريا التميمي لما حدّث بكتاب البخاري: «كان مجلسنا من أجلّ المجالس التي شهدناها بالأندلس»[٢].

وقد تقدم ذكر نماذج من هذه المجالس في الفصل الأول من الباب الأول.

كما ظهر ذلك أيضًا في تنصيب الدولة لهؤلاء العلماء الراحلين، وتقديمهم علىٰ غيرهم في المناصب والوظائف[٣].

---

(١) المصدر نفسه ٢/ ٦٦٩.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٧٩٤.

(٣) ظهر لي هذا من خلال تتبّعي لسِيرهم وأخبارهم، حيث وجدت أن أكثر أصحاب =

قال الخشني: كان المنذر بن محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ شديد الإعظام لبقي بن مخلد، دخل عليه يوم البروز في المصلّىٰ، فمنعه من تقبيل يده، وأجلسه علىٰ جانب من فراشه علىٰ رؤوس الناس... وقد عرض عليه القضاء وألحّ في ذلك حتىٰ ذهب إلىٰ استكراهه، ولكنه أبىٰ ذلك، وأشار عليه بأن يولّي عامر بن معاوية اللخمي، فقبل المنذر منه، وولّىٰ عامرًا قضاء الجماعة بقرطبة(١).

وهذا أسلم بن عبد العزيز القرطبي (ت٣١٩هـ)، الذي رحل إلىٰ المشرق سنة (٢٦٠هـ) للسماع والطلب، قد ولي قضاء الجماعة بقرطبة مرتين(٢).

وحسن بن علي بن أبي الحسن القرطبي، ولاّه الحكم المستنصر قضاء الثغور الشرقية بعد عودته من رحلته(٣).

وإسماعيل بن محمد بن إسماعيل القرطبي (ت٣٥٧هـ)، ولاّه المستنصر أحكام القضاء بإشبيلية بعد عودته من رحلته إلىٰ مكة ومصر(٤).

= المناصب هم من هؤلاء الذين رحلوا، سواءً أكانوا من المحدثين أم من الفقهاء.

(١) قضاة قرطبة ص (٣٥، ٣٦) و(١٨٢) بتصرف.

(٢) تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٦٧.

(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٠٤.

(٤) المصدر نفسه ١/ ١٣٤.

الفصل الثاني

صلات الأمصار الأخرى
بمدرسة الحديث القرطبية

وفيه توطئة ومبحث واحد:

توطئة:

وتتناول أهمية قرطبة عند طلاب الحديث بالأندلس، ومدىٰ اهتمام محدثي قرطبة بالطلاب الوافدين.

المبحث:

هجرة الأندلسيين والمشارقة إلىٰ قرطبة وأبرز المحدثين الذين سمعوا منهم بها.

توطئة

كانت قرطبة بالنسبة للأندلس، بمثابة الرأس من الجسد، والقلب من الأعضاء، فمنذ أن فُتحت، وهي مقصد كل مؤمّل، ومنتجع كل راغب، أيًّا كان هدفه وقصده.

ولقد كوّنت قرطبة في هذه الفترة المعنيّة بالدرس، حلقة وصْل بين جميع مدن الأندلس من جهة، كما شكّلت حلقة وصل أيضًا بين المدن الأندلسية والمدن المشرقية من جهة أخرىٰ.

ولا غَرْوَ في هذا، فإن قرطبة كانت حاضرة الأندلس، وقصبة ملكها، منذ البدايات الأولىٰ للفتح، يقصدها كل راحل إلىٰ المشرق، وكل آتٍ منه، ولذا كان طالب الحديث في الأندلس، يسمع الحديث في بلده أولًا ثم يفد إليها للسماع فيها، والأخذ عن علمائها، قبل أن يرحل للحج والسماع في أمصار المشرق الأخرىٰ. هذا هو ديدن طلاب الحديث بالأندلس غالبًا، لا يكادون يخرجون عن هذا النمط إلا في النادر.

ولو ذهبنا نذكر الشواهد علىٰ هذا، لكان تكرارًا مملًّا لما في المصادر دون إضافة تذكر؛ لأن هذا هو الطابع السائد في هذه الكتب، وما هذا إلا لإدراك هؤلاء الطلاب مكانة قرطبة في الحديث وعلومه.

وكان بعضهم ربما تمادىٰ به زمن الطلب في قرطبة، فمكث فيها ردْحًا من الزمن، قبل أن يتحوّل عنها إلىٰ غيرها.

كما فعل عبد الله بن محمد بن عبد الله بن بدرون (ت٣٠١هـ) - من أهل الجزيرة الخضراء - الذي سمع بقرطبة سنة (٢٤٤هـ) أو (٢٤٥هـ)

من العتبي وغيره، ثم رحل إلىٰ مصر سنة (٢٥٠هـ)[١]، ولعله بقي في قرطبة طيلة هذه الفترة.

ومثله عيسىٰ بن علاء بن نذير (ت٣٠٦هـ) - من أهل سبته - حيث مكث يطلب العلم بقرطبة من سنة (٢١٧هـ) إلىٰ (٢٢٤هـ)[٢]. أي: حوالي ثمان سنين أو تنقص قليلًا.

أما يحيىٰ بن مالك بن عائذ (ت٣٧٥هـ) - من أهل طرطوشة - فقد سمع ببلده وبوشقة أوّلًا، ثم قدم قرطبة سنة (٣١٠هـ) وما زال يسمع بها من العلماء، ثم ارتحل بعد ذلك إلىٰ المشرق سنة (٣٤٧هـ)[٣]. ولعله بقي فيها طيلة هذه الفترة المديدة.

لكن إبراهيم بن هارون بن خلف المصمودي - من أهل أُشبونه - قد صرّح بمدة مكثه في قرطبة لطلب العلم، فحدّث أنها كانت أربعين سنة[٤]!

وربما قدم بعضهم إلىٰ قرطبة مستفيدًا أو مفيدًا، وبقي فيها إلىٰ أن وافاه الأجل. ومن هؤلاء: عبد الله بن عيسىٰ المري - من أهل إلبيرة - الذي توفي بقرطبة سنة (٣٥٩هـ)، وكان قد رحل إليها للسماع[٥].

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٣٨٠.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٥٦٧.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٩٢١.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٥١.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٣٩٩.

ومنهم: أحمد بن الحسين التميمي - من أهل طُبْنة من بلاد المغرب - فقد وصل إلىٰ قرطبة حدثًا، وسمع بقرطبة إلىٰ أن رحل إلىٰ المشرق حاجًا، ليعود مرة أخرىٰ إلىٰ قرطبة وبها تُوفيّ سنة (٣٩٠هـ)[١].

ومنهم: سلمة بن الفضل بن سلمة - من أهل بجّانة - فقد حدّث بقرطبة، وبها توفي سنة (٣٣٨هـ)[٢].

ولم يكن هذا العمل من طلاب الحديث بالأندلس من قبيل المصادفة والاتفاق، بل هو محض إدراك وحرص منهم، لما وجدوا فيها - دون غيرها من بلاد الأندلس الأخرىٰ - من علم وفائدة.

إضافة إلىٰ أن محدّثي قرطبة كانوا يهتمون بالطلاب الوافدين، ويولونهم العناية الفائقة، وهذا ما شجّع علىٰ تدفّق الطلاب علىٰ محدّثي قرطبة - من كل حدب وصوب - للسماع والتلقي. فبقي بن مخلد كان يؤْثر تلميذه بكر بن رداد - من أهل إلبيرة - ويقدمه، عندما قدم عليه للسماع منه[٣].

ومحمد بن وضاح كان يكرم تلميذه وهب بن عيسىٰ الأنصاري - من أهل طليطلة - عند سماعه منه؛ لأن أباه كان يهادي ابن وضاح إذ كان من المياسير[٤]. ويكفي للدلالة علىٰ اهتمامهم بطلابهم، توفرهم

---

(١) المصدر نفسه ١/ ١٢٨، ١٢٩

(٢) المصدر نفسه ١/ ٣٣٣.

(٣) المصدر نفسه ١/ ١٧٤.

(٤) المصدر نفسه ٢/ ٨٧٧.

علىٰ إسماعهم الحديث، وانصرافهم إلىٰ تعليمهم وتربيتهم بالعلم.

وإتمامًا للفائدة وتوضيحًا للمقصود، رأيت أن أضع جدولين اثنين:

أولهما: رصْدٌ لهجرة هؤلاء الطلاب من مدن الأندلس المختلفة، بالإضافة للقادمين من مدن المشرق، إلىٰ قرطبة، مع تسمية مدنهم التي رحلوا منها.

وثانيهما: لأبرز المحدثين الذين سمع منهم الغرباء في قرطبة ممن كان لهم حضور متميّز في الإسماع والإفادة، مع رصد موثّق لأعداد هؤلاء الطلاب من كل مدينة يأتون منها[(١)].

(١) في سبيل تحقيق هذا الهدف، قمتُ بجرد كتاب «تاريخ علماء الأندلس» لابن الفرضي؛ لأنه أدقُّ مصدرٍ تناول هذه القضية، وقد عزفتُ عن ذكر أرقام الصفحات؛ لأن أعداد الطلاب كثيرةٌ جدًا، وليس ثمت فائدة لذكرها.

المبحث
هجرة الأندلسيين والمشارقة إلى قرطبة وأبرز المحدثين الذين سمعوا منهم بها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:

هجرة الأندلسيين والمشارقة إلىٰ قرطبة، والمدن التي هاجروا منها.

المطلب الثاني:

أبرز المحدثين الذين سمع منهم الغرباء في قرطبة.

المطلب الأول
هجرة الأندلسيين والمشارقة إلى قرطبة، والمدن التي هاجروا منها

المدينة	اسم الطالب الذي دخل قرطبة	تاريخ الدخول	المصدر
بلنسية	جعفر بن جحاف بن يمن (ت٣٧٦هـ)	قبل (٣٤٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٨٩
	سعيد بن جزي (ت٣٧٨هـ)		تاريخ علماء الأندلس ١/ ٣١٩
	سعد بن مكرم (٣٨١هـ)	قبل (٣٣٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٣١٩
القيروان	محمد بن محمد بن خيرون القروي		تاريخ علماء الأندلس

			٧٩٩/٢
	سعيد بن خلف بن جرير السبري		تاريخ علماء الأندلس ٣١٥/١
	حباشة بن حسن اليحصبي (ت٣٧٤هـ)	قبل (٣٥٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢٣٦/١
قرمونة	محمد بن مسلمة بن محمد الإيادي	قبل (٣٣٩هـ) وقت ذهابه للحج	تاريخ علماء الأندلس ٧١٩/٢
إشبيلية	عمر بن يوسف (ت٣٥٧هـ)	قبل (٣١٤هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٥٤٩/٢
	محمد بن جنادة الألهاني (ت٢٩٦هـ)		تاريخ علماء الأندلس ٦٥٩/٢

	محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت٣٦٧هـ)	قبل (٣٠٥هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٤٧
	أحمد بن عبد الرحمن بن عبد القاهر العبسي (ت٣٧٩هـ)	قبل (٣١٤هـ)	الصلة ١/ ٣٣
	حسن بن عبد الله بن مذحج الزبيدي	قبل (٣٠٥هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٠٠
	سعيد بن جابر بن موسىٰ الكلاعي (ت ٣٢٥هـ)	قبل (٣٠٥هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٩٩
الكوفة	زيد بن الحباب العلكي (ت٢٠٣هـ)	قبل (١٥٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٨٣
أشونة	عبد الله بن شعيب بن أبي		تاريخ علماء

	شعيب (ت٣٨٩هـ)		الأندلس ١/ ٤٢١
لورقة	حفص بن محمد بن حفص التميمي (ت٣٢٥هـ)	قبل (٢٩٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢١٧
إستجه	كرز بن يحيىٰ بن كرز الصدفي	قبل (٢٣٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٦٢٣
	سهل بن إبراهيم بن سهل (ت٣٨٧هـ)	قبل (٣١٩هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٣٣٦
	إسحاق بن إبراهيم النصري (ت٣١١هـ)		تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٤٢
	خلف بن مسعود البزار	قبل (٣٤٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس

			٢٤٧/١
شريش	فراس بن أحمد بن عمر المخزومي	قبل (٣٢٤هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٥٩٥/٢
إلبيرة	سعيد بن النمر سليمان الغافقي (ت٢٦٩هـ)	قبل (٢٣٤هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢٩١/١
	بكر بن ردّاد الإلبيري	قبل (٢٧٦هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١٧٣/١
	محمد بن فطيس الغافقي (ت٣١٩هـ)	قبل (٢٥٧هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٦٨٩/٢
	عثمان بن جرير بن حميد الكلابي (ت٣٢٣هـ)	قبل (٢٥٥هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٥١٤/٢

	خلف بن فرج بن عثمان الكلائي (ت٣٧١هـ)		تاريخ علماء الأندلس ٢٤٨/١
	سليمان بن نصر بن منصور المري (ت٢٦٠هـ)	قبل (٢٣٤هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٣٢٥/١
	عمر بن حفص بن عمرو الخولاني (ت٣٤٨هـ)	قبل (٢٩٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٥٤٧/٢
	حفص بن عمرو الخولاني (ت٣١٣هـ)	قبل (٢٨٦هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢١٥/١
	عبد الله بن عيسىٰ المري (ت٣٥٩هـ)	قبل (٣٣٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٣٩٩/١
	إبراهيم بن شعيب الباهلي	قبل (٢٣٤هـ)	تاريخ علماء

	(ت٢٦٥هـ)		الأندلس ١/ ٣٥
	إبراهيم بن خالد (ت٢٦٨هـ)	قبل (٢٣٤هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٣٦
	عيسىٰ بن أيوب بن لبيب الغسّاني (ت٣١٩هـ)	قبل (٢٨٦هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٥٨
	حكم بن رجاء بن حكم الأنصاري (ت٣٧٥هـ)	قبل (٣٧٢هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٢٠
أغمات	يصلْتن بن داود الأغماتي (ت٣٧١هـ)		تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٩٤٨
بجّانة	سعيد بن عثمان بن منازل (ت٣٤٥هـ)	قبل (٣٠٥هـ)	تاريخ علماء الأندلس

			١/ ٣٠٢
	عبد الله بن محمد المقرئ (مفرون) (ت٣٧٨هـ)		تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤١٤
	سعيد بن فحلون بن سعيد (ت٣٤٦هـ)	قبل (٢٧٦هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٣٠٣
	محمد بن عبد الله بن محمد (ت٣٩٠هـ)		تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٨٨
	سلمة بن الفضل بن سلمة (ت٣٣٨هـ)		تاريخ علماء الأندلس ١/ ٣٣٣
مصر	أحمد بن حازم المعافري		تاريخ علماء الأندلس ١/ ٦٠،

			وجذوة المقتبس ١/ ١٩٠
بيت المقدس	عبد الملك بن محمد بن عبد الملك السليماني	نحو (٣٦٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٦٧
خراسان	إبراهيم بن علي بن محمد الصوفي	(٣٥٨هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٥٦
	محمد بن أحمد الهمداني		تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٠٣
سبتة	عيسىٰ بن علاء بن نذير بن أيمن (ت٣٠٦هـ)	سنة (٢١٧هـ) ومكث إلىٰ سنة (٢٢٤هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٦٧
بطليوس	حزم بن الأحمر		تاريخ علماء

	(ت٣٠٥هـ)		الأندلس ٢١٣/١
	إسماعيل بن مطرف بن فرج	قبل (٣١٤هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١٣٥/١
ريّة	أخطل بن رفدة الجذامي (ت٣٠٤هـ)	قبل (٢٨٦هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٦٦/١
	بقي بن بقي أبو سعيد		تاريخ علماء الأندلس ١٧٢/١
	سعدان بن إبراهيم بن عبد الوارث (ت٣١٦هـ)	قبل (٢٨٦هـ) بمدة	تاريخ علماء الأندلس ٣٢١/١
	محمد بن عيسىٰ بن رفاعة الخولاني (ت٣٣٧هـ)	سنة (٣٣٦هـ)	تاريخ علماء الأندلس

			٢/ ٧١٣
	سعيد بن إبراهيم	قبل (٢٨٦هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٣٠٣
سرقسطة	إسماعيل بن محمد بن سعيد (ت٣٨٥هـ)	قبل (٣٣٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٣٦
	حكم بن إبراهيم المرادي	قبل (٣٤٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢١٩
	بكر بن عبد الملك الصدفي	قبل (٢٥٥هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٧٤
طليطلة	محمد بن عبد الله بن عيشون (ت٣٤١هـ)	قبل (٣٢٢هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٢٣

	تمام بن عبد الله بن تمام المعافري (ت٣٧٧هـ)		تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٨١
	إبراهيم بن يحيىٰ بن برون	قبل (٣٢٢هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٥٠
	وهب بن عيسىٰ الأنصاري (٣٣٧هـ)	قبل (٢٨٦هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٧٦
	عبد الله بن محمد بن أمية الأنصاري (ت٣٧٢هـ)	قبل (٣٤٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٠٦
	زكريا بن إسماعيل بن عبد الرحيم (ت٢٨٨هـ)	قبل (٢٨٦هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٧٠
طرطوشة	يحيىٰ بن مالك بن عائذ	(٣١٠هـ)	تاريخ علماء

	بن كيسان (ت٣٧٥هـ)		الأندلس ٢/ ٩٢١
	أيوب بن عبد المؤمن بن يزيد الأنصاري (ت٣٧٤هـ)	قبل (٣٣٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ١٦٤
	عبد المؤمن بن يزيد الأنصاري (ت٣٣١هـ)		تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٠٢
شذونة	عيسىٰ بن عبد الرحمن بن حبيب (ت ٣٦٦هـ)	قبل (٣٢٥هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٥٦٢
قبرة	شيبان القبري	قبل (٢٧٣هـ)	تاريخ علماء الأندلس ١/ ٣٤٥
طبنة	أحمد بن الحسين التميمي (ت٣٩٠هـ)	قبل (٣٤٢هـ)	تاريخ علماء الأندلس

			١٢٨/١
وشقه	سعيد بن سعيد بن كثير المرادي (ت٣٠٦هـ)	قبل (٢٧١هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢٩٦/١
	عبد الله بن الحسن (ت٣٣٥هـ)		تاريخ علماء الأندلس ٣٩٢/١
لاردة	زكريا بن يحيىٰ بن سعيد	قبل (٣١١هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢٧٣/١
باجة	عبد الله بن محمد بن إبراهيم (ت٣٦٩هـ)	قبل (٣٣٠هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٤٠١/١
	صميل بن إبراهيم بن إسحاق	قبل (٢٧٦هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٣٥٥/١

الجزيرة الخضراء	سعيد بن عثمان (ت نحو ٣٩٠هـ)		تاريخ علماء الأندلس ٣١٣/١
	عمر بن وهب بن حسين الغافقي		تاريخ علماء الأندلس ٥٤٥/٢
جيان	محمد بن نمر بن هارون	قبل (٣٢٢هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٧٩٢/٢
	عبد الله بن هذيل الكناني	قبل (٢٨٦هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٣٨٩/١
وادي الحجارة	وهب بن مسرة بن مفرج التميمي (ت٣٤٦هـ)	قبل (٢٨٦هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٨٧٧/٢

	حفص بن عمر (ت٢٨٨هـ)	قبل (٢٨٦هـ)	تاريخ علماء الأندلس ٢١٦/١
تطيلة	عيسىٰ بن موسىٰ بن أحمد الأموي (ت٣٨٠هـ)		تاريخ علماء الأندلس ٥٦٤/٢

المطلب الثاني

أبرز المحدثين الذين سمع منهم الغرباء في قرطبة

الشيخ	عدد الطلاب الذين رحلوا إليه من خارج قرطبة وأسماء مدنهم
يحيىٰ بن يحيىٰ الليثي (ت٢٣٤هـ)	إلبيرة: ستة
	طليطلة: سبعة
	قبرة: واحد
	باجة: ثلاثة
	إشبيلية: ثلاثة
	وشقه: واحد
	تدمير: اثنان
	جيان: واحد
عبد الملك بن حبيب (ت٢٣٨هـ)	إلبيرة: سبعة
	رية: اثنان
	إشبيلية: واحد
	فحص البلوط: واحد

	طليطلة: اثنان
	تدمير: اثنان
	استجه: واحد
	ماردة: واحد
	جيان: واحد
	شذونة: واحد
بقي بن مخلد القرطبي (ت٢٧٦هـ)	جيان: ستة
	إلبيرة: أربعة
	طليطلة: اثنان
	استجة: ثلاثة
	إشبيلية: اثنان
	باجة: واحد
محمد بن وضاح القرطبي (ت٢٨٦هـ)	قبرة: ستة
	استجة: أربعة
	رية: خمسة

	سرقسطة: ستة
	وادي الحجارة: ستة
	شذونة: ثلاثة
	تدمير: واحد
	طليطلة: ثلاثة عشر
	بطليوس: واحد
	فريش: أربعة
	إلبيرة: اثنا عشر
	لورقة: اثنان
	ماردة: واحد
	إشبيلية: ثلاثة
	جيان: واحد
	انطليش: واحد
محمد بن عبد السلام الخشني (ت٢٨٦هـ)	طليطلة: اثنان
	إلبيرة: واحد

	استجة: اثنان
	ريّة: واحد
	سرقسطة: واحد
	جيان: اثنان
	إشبيلية: واحد
	قبرة: واحد
	وادي الحجارة: واحد
	شذونة: واحد
محمد بن عبد الملك بن أيمن (ت ٣٣٠هـ)	جيان: ستة
	طليطلة: ستة
	أشبونة: واحد
	إلبيرة: اثنان
	وادي الحجارة: ثلاثة
	أشونة: واحد
	إشبيلية: خمسة

	فريش: اثنان
	سرقسطة: واحد
	تيهرت: واحد
	استجة: ثلاثة عشر
	الجزيرة: واحد
	بلنسية: ثلاثة
	تنس: واحد
	باجة: واحد
	القيروان: واحد
	شذونة: خمسة
	بطليوس: واحد
	طرطوشة: واحد
محمد بن عمر بن لبابة (ت٣٣٠هـ)	باجة: ثلاثة
	أشونة: واحد
	أكشونية: واحد

	فريش: أربعة
	بطليوس: ثلاثة
	طليطلة: أربعة
	استجة: عشرة
	جيان: واحد
	قرمونة: اثنان
	مرشانة: واحد
	شذونة: ستة
	إشبيلية: ثلاثة
	إلبيرة: واحد
	فحص البلوط: واحد
	ريّة: واحد
	القيروان: واحد
	وادي الحجارة: واحد
محمد بن عبد الله بن أبي دليم (ت٣٣٨هـ)	إلبيرة: واحد

	تدمير: واحد
	استجة: ستة
	بلنسية: واحد
	ريّة: واحد
	تنس: واحد
قاسم بن أصبغ القرطبي (ت٣٤٠هـ)	تدمير: اثنان
	طليطلة: سبعة
	أشبونة: واحد
	إلبيرة: ثلاثة
	شذونة: ثمانية
	إشبيلية: ستة
	طبنة: واحد
	سرقسطة: اثنان
	استجة: أحد عشر
	طرطوشة: أربعة

	بلنسية: خمسة
	قرمونة: ثلاثة
	تيهرت: واحد
	مرشانة: اثنان
	باجة: واحد
	جيان: اثنان
	مالقة: واحد
	سَبْته: واحد
	ريّة: واحد
	وادي الحجارة: اثنان
	القيروان: واحد
	العدوة: واحد
	بطليوس: واحد
	الجزيرة: واحد

الخَاتِمَة

وبعد؛ فإن لكل شيء نهاية، طال الأمر أم قصر، وهذا البحث الذي سلخت في إعداده سنواتٍ عدةً، أردت من ورائه أن يسدّ ثغرة في المكتبة الأندلسية كانت بحاجة إليه، بعد أن ظلت زمنًا طويلًا غُفْلًا من مثل هذه الدراسات الشاملة في الحديث وعلومه.

وربُّنا الرحمنُ مَرجوٌّ أن ينفع به الدارسين، وأن يكون فاتحة خير لدراسات أندلسية حديثية مستقبلة، وأن يكون قد أضاف شيئًا يُذكر، للتعريف بالمدرسة ورُوّادها.

وأحمدُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نهايةً كما حمدته بدايةً، أنْ منَّ عليّ بالوقت والجهد حتىٰ استتممت هذا الموضوع بحثًا ودراسةً، بحسب الطاقة.

ومن خلال معايشتي الطويلة لهذا البحث، فقد تمحّضت لديّ بعضُ نتائجَ هي بمثابة الخلاصة لهذا الموضوع الكبير، **لعل من أهمها:**

١- وجود حركة علمية كبيرة في قرطبة، انبثقت عنها مدارس فكرية متعددة، كان من أهمها (مدرسة الحديث) التي كان لها دور رائد في هذا الجانب، تفوقت فيه علىٰ غيرها من أمصار الأندلس الأخرىٰ.

٢- دخول عدد لا بأس به من التابعين إلىٰ الأندلس، لا سيما في مراحل الفتح الأولىٰ.

٣- ظهور كثير من الحفاظ الكبار الذين كان لهم دور بارز في مسيرة المدرسة الحديثية بقرطبة، والذين يحتاجون إلىٰ دراسات علمية مكثفة تبرز دورهم العظيم، ومكانتهم العلمية الرائدة.

٤- ظهور مؤلفات حديثية نفيسة، ألّفها محدثو قرطبة، إضافة إلىٰ تحملهم لروايات معتمدة لكتب الحديث المشهورة.

٥- حرص أهل قرطبة علىٰ تعلم الحديث وفقهه، وبذلهم الغالي والنفيس في سبيل ذلك، وجلبهم أشهر الروايات والكتب الحديثية من الأمصار المختلفة، إلىٰ هذه البلاد الإسلامية الجديدة.

٦- حرص محدثي قرطبة علىٰ نشر الحديث وتعليمه للناس علىٰ مختلف طبقاتهم، وبشتىٰ الطرق، حتىٰ ولو أدّىٰ ذلك إلىٰ مضايقتهم من بعض مقلِّده مصرهم ومَن شايعهم.

٧- التأثير العلمي الكبير - في مجال الحديث وعلومه - علىٰ ما جاورها من أمصار الأندلس الأخرىٰ، واستفادة هذه الأمصار منها عن طريق الرحلة وغيرها.

٨- ميل معظم هؤلاء المحدثين إلىٰ موطأ مالك أكثر من غيره من دواوين السنة لقدمه وشهرته؛ ولأن الدولة التزمت مذهبه منذ فترة مبكرة.

٩- أن بيت الإمارة الأموي في الأندلس كان بيت علم وفضل، يظهر ذلك من خلال احتفائهم بالعلماء - ومنهم المحدثين - وإكرامهم، وحمايتهم، والصدور عن رأيهم، ورعايتهم لأماكن التعليم المختلفة، واهتمامهم بالمكتبات والكتب، وقبل ذلك كلّه طلب معظمهم للعلم، ومجالستهم أهله.

١٠- أن قيام المدرسة الحديثية القرطبية في الحقيقة، إنما كان بعد قدوم بقي بن مخلد ومحمد بن وضاح، وذلك في القرن الثالث الهجري، الذي يُعدّ العصر الذهبي في تاريخ المدرسة.

١١- أن قرطبة كانت متابعة لبلدان المشرق في المعالم الرئيسة، والقضايا الكلية، مع انفرادها في نفسها بمنهج تعليمي وتربوي متميّز، كما انفردت ببعض القضايا العلمية الأخرىٰ.

١٢- سعي قرطبة الحثيث للتصدر علميًا - لا سيما في الفقه والحديث - والتفوق علىٰ الأمصار الأخرىٰ لتضمن لنفسها الريادة المطلقة علىٰ أمصار المغرب العربي كافة، باعتبارها ذات وضعٍ سياسيٍّ خاصٍّ.

١٣- دحض جميع التصورات الخاطئة عن قرطبة، من أنها كانت دار لهوٍ وطربٍ وموشحاتٍ وغناءٍ كما يُصورها بعض الدارسين، وإثبات أن هذه أمور طارئة، لا تؤثر علىٰ مسيرة قرطبة العلمية.

١٤- أن الحاجة ما زالت ماسّة إلىٰ دراسات أخرىٰ متخصصة، عن مدارس الحديث في أمصار الأندلس الأخرىٰ، ولا سيما إشبيلية وإلبيرة وطليطلة.

وختامًا: لا أجد ما أتمثل به في آخر المطاف، سوىٰ ما قاله أبو محمد عبد الحق بن عطية المحاربي في وداع أهل قرطبة **حيث قال:**

أســـتودعُ اللهَ أهـــلَ قُرطبـــةٍ حيثُ عَهِدتُ الحِبَاءَ والكَرَمَا

والجـامعَ الأعظـمَ العتيـقَ، ولا زالَ مدىٰ الدّهرِ مَأْمَنًا حَرَمَا[1]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

تم بحمد الله

(١) نفح الطيب ١/ ٦١٥، ٦١٦.

فهرس بأهم المصادر والمراجع[1]

📖 **الآداب الشرعية:** محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

📖 **ابن عبد البر الأندلسي وجهوده في التاريخ:** ليث سعود جاسم، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

📖 **أبو الوليد بن الفرضي القرطبي حياته وآثاره العلمية:** أحمد اليزيدي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤١٥هـ.

📖 **إتحاف الخلان بمعارف معجم البلدان:** محمد العمري، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥هـ.

📖 **الإحاطة في أخبار غرناطة:** لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.

📖 **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان:** محمد بن حبان البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨هـ.

---

(١) **تنبيه:** قمتُ بوضع هذا الفهرس، وترتيبه علىٰ الكتب، ليتفق مع المنهج في إحالات البحث. كما قمت بترتيب المصادر والمراجع علىٰ الحروف الهجائية، ولم أحتسب (أل) في الترتيب سواء في بداية اسم الكتاب، أو في أثنائه.

📖 **الإحكام في أصول الأحكام**: علي بن محمد الآمدي، تعليق عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

📖 **أخبار الفقهاء والمحدثين**: محمد بن حارث الخشني، تحقيق: ماريا لويسا آبيلا، ولويس مولينا، من منشورات المجلس الأعلىٰ للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد ١٩٩٢م.

📖 **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم**: المؤلف مجهول، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.

📖 **الأدب الأندلسي**: مصطفىٰ الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٣م.

📖 **أدب الإملاء والاستملاء**: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠١هـ.

📖 **الإرشاد**: الخليل بن عبد الله بن أحمد بن الخليل القزويني، تحقيق: محمد سعيد بن عمر إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٩هـ.

📖 **إرشاد طلاب الحقائق إلىٰ معرفة سنن خير الخلائق ﷺ:** يحيىٰ بن شرف النووي الدمشقي، تحقيق: عبد الباري فتح الله السلفي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨هـ.

📖 **أزهار الرياض:** شهاب الدين أحمد بن محمد المقّري التلمساني، طبع تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة.

📖 **الاستيعاب في معرفة الأصحاب:** يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار العرفة، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٧هـ.

📖 **الإسناد من الدين، وصفحة مشرقة من تاريخ سماع الحديث عند المحدثين:** عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، وقد قامت بطباعته وإخراجه دار القلم، دمشق وبيروت، الطبعة الأولىٰ ١٤١٢هـ.

📖 **الإصابة في معرفة الصحابة:** أحمد بن علي حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٢هـ.

📖 **الأعلام:** خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨٤م.

📖 **الإعلام بالتوبيخ لمن ذمّ أهل التاريخ**: محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، نشر بعناية: فرانزروزنثال، ترجمة: صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٧هـ.

📖 **أعلام النساء**: عمر رضا كحّالة، مؤسسة الرسالة، بيروت.

📖 **الاقتراح**: تقي الدين بن دقيق العيد، قحطان عبد الرحمن الدوري، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٤٠٢هـ.

📖 **الإلماع إلىٰ معرفة أصول الرواية وتقييد السماع**: عياض بن موسىٰ اليحصبي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.

📖 **الإمام أبو عبد الرحمن بقيّ بن مخلد شيخ الحفاظ بالأندلس**: د. نوري معمّر، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، ١٩٨٨م.

📖 **الأمصار ذوات الآثار**: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي، تحقيق: قاسم علي سعد، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٦هـ.

📖 **إنباه الرواة**: علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٦هـ.

📖 **الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء**: يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت.

📖 **الأندلس** (كتاب مستلّ من دائرة المعارف الإسلامية: تأليف:

ج. س. كولان، ترجمة: إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٠م.

📖 **الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ بن كثير**: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.

📖 **بحوث في تاريخ السنة المشرّفة**: د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الخامسة، ١٤١٥هـ.

📖 **البداية والنهاية**: ابن كثير الدمشقي، تحقيق: أحمد أبو ملحم وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥هـ.

📖 **البرهان**: عبد الملك بن عبد الله الجويني، تحقيق: عبد العظيم الديب، جار الأنصار، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.

📖 **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**: أحمد بن يحيىٰ الضبّي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠١هـ.

📖 **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، صيدا.

📖 **بقيّ بن مخلد القرطبي، ومقدمة مسنده (عدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث)**: دراسة وتحقيق: د. أكرم ضياء العمري، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٤هـ.

📖 **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**: ابن عذارىٰ المراكشي، تحقيق: ج. س. كولان، وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.

📖 **تاج العروس**: محمد مرتضىٰ الزبيدي، المطبعة الخيرية، مصر، الطبعة الأولىٰ، ١٣٠٦هـ.

📖 **تاريخ الأدب العربي**: كارل بروكلمان، ترجمة: عبد الحليم النجار، دار المعارف، الطبعة الخامسة.

📖 **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**: حسن إبراهيم حسن، بدون دار النشر، الطبعة السابعة.

📖 **تاريخ أصبهان**: أحمد بن عبد الله بن إسحاق بن مهران الأصبهاني، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٠هـ.

📖 **تاريخ افتتاح الأندلس**: ابن القوطية، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.

📖 **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتىٰ سقوط غرناطة**: د. عبد الرحمن علي الحجي، دار القلم، دمشق، المنارة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

📖 **تاريخ بغداد**: أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

📖 **تاريخ التراث العربي**: د. فؤاد سزكين، ترجمة: د. محمود

فهمي حجازي، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٣هـ.

📖 **تاريخ التعليم في الأندلس**: د. محمد عبد الحميد عيسىٰ، دار الفكر العربي، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٢م.

📖 **تاريخ الدولة الأموية في الأندلس**: عبد المجيد نعنعي، دار النهضة العربية، بيروت.

📖 **تاريخ علماء الأندلس**: عبد الله بن محمد بن الفرضي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٠هـ

📖 **تاريخ الفكر الأندلسي**: آنخل جنثا لث بالنثيا، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية.

📖 **تاريخ فنون الحديث النبوي**: محمد عبد العزيز الخولي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، محمد بدر الدين القهوجي، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨هـ.

📖 **تاريخ القضاء في الأندلس**: د. محمد عبد الوهاب خلاف، توزيع المؤسسة العربية الحديثة، مصر الجديدة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٣هـ.

📖 **تاريخ قضاة الأندلس**: عبد الله بن الحسن النباهي الأندلسي، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠هـ.

📖 **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتىٰ سقوط الخلافة بقرطبة:** د. السيد عبد العزيز سالم، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٨هـ.

📖 **التأصيل لأصول التخريج وقواعد الجرح والتعديل:** بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٣هـ.

📖 **التبصرة والتذكرة في علوم الحديث:** عبد الرحيم بن الحسين العراقي، تحقيق: العربي الدائز الفرياطي مكتبة دار المنهاج، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ.

📖 **تحفة الأحوذي:** محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ.

📖 **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي:** جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر.

📖 **تذكرة الحفاظ:** شمس الدين الذهبي، دار إحياء التراث العربي.

📖 **تذكرة السامع والمتكلم:** بدر الدين بن جماعة الكناني، دار الكتب العلمية، بيروت.

📖 **التربية الإسلامية في الأندلس، أصولها المشرقية وتأثيراتها**

المغربية: خوليان ريبيرا، ترجمة: د. الطاهر أحمد مكي، دار المعارف.

📖 **التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة**: د. ملكة أبيض، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٠م.

📖 **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**: عياض بن موسىٰ بن عياض السبتي، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠١هـ.

📖 **تعليم المتعلم طريق التعلم**: برهان الإسلام الزرنوجي، تحقيق: مروان قباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠١هـ.

📖 **تقريب التهذيب**: أحمد بن علي العسقلاني، قدم له: محمد عوّامه، دار الرشيد، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

📖 **التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح**: عبد الرحيم بن الحسين العراقي، دار الحديث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

📖 **تهذيب التهذيب**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتب الإسلامي، القاهرة، مصوّر عن النسخة الهندية.

📖 **تهذيب الكمال**: جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزّي، تحقيق: بشّار عوّاد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

📖 **توجيه النظر إلىٰ أصول الأثر**: طاهر بن صالح بن أحمد الجزائري الدمشقي، دار المعرفة، بيروت.

📖 **توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار**: محمد إسماعيل الصنعاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

📖 **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولىٰ من التحقيق الجديد، ١٤٢٣هـ.

📖 **جامع بيان العلم وفضله**: يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: عبد الكريم الخطيب، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

📖 **الجامع الصحيح**: محمد بن إسماعيل البخاري، نشره واعتنىٰ به: محب الدين الطيب، محمد فؤاد عبد الباقي، قصي محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٠هـ.

📖 **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**: الحافظ الخطيب البغدادي، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ.

📖 **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**: محمد بن أبي نصر الحميدي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.

📖 **الجرح والتعديل**: محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي، دار الفكر، الطبعة الأولىٰ.

📖 **الحثّ علىٰ حفظ العلم**: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥هـ.

📖 **الحديث والمحدّثون**: محمد محمد أبو زهرة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ.

📖 **حضارة العرب في الأندلس**: ليفي بروفنسال، ترجمة: ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة، بيروت.

📖 **الحِطَّة**: السيد صديق حسن خان القنوجي، تحقيق: علي حسن عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، دار عمار، عمّان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨هـ.

📖 **الحُلّة السِّيراء**: ابن الأبّار، تحقيق: د. حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة.

📖 **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس**: د. سعد بن عبد الله البشري، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٤هـ.

📖 **الحياة العلمية في مدينة بلنسية**: كريم عجيل حسن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٣٩٦هـ.

📖 **خلاصة تهذيب الكمال**: أحمد بن عبد الله الخزرجي

الأنصاري، بعناية: عبد الفتاح أبو غدة، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، نسخة مصوّرة عن الطبعة البولاقية المطبوعة في القاهرة سنة ١٣٠١هـ.

📖 **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**: د. أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

📖 **دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولىٰ**: آمال قرداش بنت الحسين، منشورات كتاب الأمة، العدد (٧٠) قطر، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠هـ.

📖 **دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس في عصري الإمارة والخلافة**: د. خليل إبراهيم الكبيسي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٥هـ.

📖 **دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلىٰ بداية عهد الناصر**: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.

📖 **الدولة العربية في أسبانية**: إبراهيم بيضون، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ.

📖 **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**: برهان الدين إبراهيم بن فرحون اليعمري المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت.

📖 **ديوان الشافعي**: محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: محمد

عفيف الزعبي، دار المطبوعات الحيثة، جدة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

📖 **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة:** علي بن بسام الشنتريني، تحقيق: د. إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ١٣٩٨هـ.

📖 **ذِكر بلاد الأندلس:** مؤلف مجهول، تحقيق: لويس مولينا، نشره المعهد الثقافي الأسباني.

📖 **ذيل تاريخ بغداد:** محمد بن محمود بن الحسن المعروف بابن النجار البغدادي، تصحيح: قيصر نوح، دار الكتب العلمية، بيروت.

📖 **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة:** محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري المراكشي، تحقيق: د. إحسان عباس، ود. محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت.

📖 **رحلة الأندلس:** محمد لبيب البتنوني، مطبعة مصر (شركة مساهمة مصرية) الطبعة الثانية.

📖 **الرحلة في طلب الحديث:** الخطيب البغدادي، تحقيق: نور الدين عتر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٣٩٥هـ.

📖 **رسائل ابن حزم الأندلسي:** تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدارسات والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.

📖 **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة:** محمد

بن جعفر الكتاني، اعتنىٰ بها ووضع فهارسها: محمد الزمزمي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ.

📖 **الروض المعطار:** محمد عبد المنعم الحميري، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

📖 **رياض الصالحين:** يحيىٰ بن شرف النووي الدمشقي، تحقيق: عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الثانية.

📖 **رياض النفوس:** أبو بكر عبد الله محمد المالكي، تحقيق: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ.

📖 **زاد المعاد:** ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة السابعة، ١٤٠٥هـ.

📖 **سلسلة الأحاديث الصحيحة:** محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥هـ.

📖 **السَّنَا والسنُّوت:** محمد علي البار، مكتبة الشرق الإسلامي، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٢هـ.

📖 **سنن ابن ماجه:** محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، تركيا.

📖 **سنن أبي داود:** سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: عزت

عبيد الدعّاس، وعادل السيد، دار الحديث، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٣٨٩هـ.

📖 **سنن الترمذي**: محمد عيسىٰ بن سورة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الباز، مكة المكرمة.

📖 **سنن الدارمي**: عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام الدارمي، تحقيق: د. مصطفىٰ ديب البغا، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٢هـ.

📖 **السنن الكبرىٰ**: أحمد بن الحسين البيهقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

📖 **سنن النسائي مع حاشية السندي**: جلال الدين السيوطي، بعناية: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٦هـ.

📖 **سير أعلام النبلاء**: شمس الدين الذهبي، حقق الكتاب: مجموعة من الباحثين، بإشراف: شعيب الأرناؤوط، الطبعة السادسة، ١٤٠٩هـ.

📖 **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**: الشيخ محمد محمد مخلوف، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٣٤٩هـ.

📖 **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: عبد الحي بن العماد الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت.

📖 **شرح الديباج المذهب**: محمد المشهور بمنلا حنفي، عني

بتصحيحه: علي محفوظ، مطبعة محمد علي صبيح.

📖 **شرح التبصرة والتذكرة:** عبد الرحيم بن الحسين العراقي، تحقيق: محمود ربيع، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٢هـ.

📖 **شرح علل الترمذي:** ابن رجب الحنبلي، تحقيق: د. همام عبد الرحيم سعيد، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٧هـ.

📖 **شرح الكوكب المنير:** محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحي الحنبلي، المعروف بابن النجار، تحقيق: محمد الزحيلي، ونزيه حماد، دار الفكر، ١٤٠٠هـ.

📖 **الشروح والتعليقات علىٰ كتب الأحكام:** أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، بدون دار نشر، بدون تاريخ.

📖 **شيوخ العصر في الأندلس:** د. حسين مؤنس، الدار المصرية للتأمين والترجمة، مصر، ١٩٦٥م.

📖 **صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري:** محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق، السعودية، الجُبيل، الطبعة الأولىٰ ١٤١٤هـ.

📖 **صحيح مسلم:** مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، بعناية: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الفيصلية.

📖 **الصلة:** ابن بشكوال، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب

المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٠هـ.

📖 **صورة الأرض**: أبو القاسم بن حوقل النصيبي، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٩هـ.

📖 **ضحىٰ الإسلام**: أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة العاشرة.

📖 **ضعيف الجامع الصغير**: محمد ناصر الدين الألباني، أشرف علىٰ طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ.

📖 **طب العرب**: عبد الملك بن حبيب السلمي، تحقيق: بدر العمراني الطنجي، دار ابن حزم، بيروت. الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٨هـ.

📖 **طبقات الأمم**: صاعد الأندلسي، تحقيق: حياة بوعلون، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط: الأولىٰ، ١٩٨٥م.

📖 **طبقات الحنابلة**: للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلىٰ، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

📖 **طبقات النحويين واللغويين**: محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية.

📖 **الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية**: محمد العربي

الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٨م.

📖 **العِبر في خبر من غبر**: الحافظ الذهبي، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.

📖 **العُجالة النافعة**: عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي، ترجمة من الفارسية إلىٰ العربية: عبد المنان عبد اللطيف المدني، دار الداعي للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

📖 **العقد الفريد**: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: أحمد أمين وآخرون، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ.

📖 **العلل الصغرىٰ**: محمد بن عيسىٰ الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر (ملحقًا بآخر السنن) الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ.

📖 **العلماء في الدولة الإسلامية في الأندلس**: أحمد زكي بن حاج إبراهيم، رسالة ماجستير لم تنشر، مقدمة لقسم التاريخ بكلية العلوم (جامعة القاهرة) عام ١٤٠٥هـ.

📖 **العلم وبناء الأمم**: د. راغب السرجاني، مؤسسة اقرأ، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٨هـ.

📖 **علوم الحديث (المشهور بالمقدمة)**: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، تحقيق: نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

📖 العلوّ والنزول: محمد بن طاهر المقدسي المعروف بابن القيسراني، تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، مكتبة ابن تيمية، الكويت.

📖 عناية النساء بالحديث النبوي: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، السعودية، الطبعة الأولىٰ ١٤١٤هـ.

📖 غِذاء الألباب لشرح منظومة الآداب: محمد السفاريني الحنبلي، مؤسسة قرطبة، مصر.

📖 فتح الباري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن باز وآخرون، المكتبة السلفية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.

📖 فتح الباقي، بشرح ألفية العراقي: زكريا بن محمد الأنصاري الشافعي، دار الكتب العلمية، لبنان، بدون تاريخ.

📖 فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي: أبو عبد الله بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: علي حسين علي، المطبعة السلفية، بنارس، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٩هـ.

📖 فجر الأندلس: د. حسين مؤنس، الدار السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

📖 الفكر التربوي عند الخطيب البغدادي: سالك أحمد معلوم، دار النشر (بدون)، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٣هـ.

📖 الفهرس: أبو محمد عبد الحق بن عطية المحاربي الأندلسي،

تحقيق: محمد أبو الأجفان، محمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.

📖 **الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (قسم الحديث النبوي الشريف وعلومه ورجاله)**: إصدار المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، صدر عام ١٩٩١م.

📖 **فهرسة ما رواه عن شيوخه**: محمد بن خير الإشبيلي، تحقيق: فرنسشكه قداره زيدين، وخليان رباه طرغوه، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.

📖 **في تاريخ المغرب والأندلس**: د. أحمد مختار العبادي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٨م.

📖 **القاموس المحيط**: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، دار الريان للتراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

📖 **قرطبة في العصر الإسلامي (تاريخ وحضارة)**: د. أحمد فكري، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٣م.

📖 **قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة**: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: خليل الميس، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥هـ.

📖 **قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث**: محمد جمال

الدين القاسمي، تحقيق: محمد بهجة البيطار، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٧هـ.

📖 **الكامل في التاريخ**: محمد بن محمد بن عبد الكريم (ابن الأثير)، دار صادر، بيروت، ١٤٠٢هـ.

📖 **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**: مصطفىٰ بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة وبكاتب جلبي، عني بتصحيحه: محمد شرف الدين يالتقايا، ورفعت بيلكه الكليسي.

📖 **الكفاية في علم الرواية**: الخطيب البغدادي، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

📖 **لسان الميزان**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ.

📖 **المحدّث الفاصل بين الراوي والواعي**: الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي، تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

📖 **محمد بن وضاح القرطبي، مؤسس مدرسة الحديث بالأندلس مع: بقي بن مخلد**: د. نوري معمر، مكتبة المعارف، الرباط، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٣هـ.

📖 **مدرسة التفسير في الأندلس**: مصطفىٰ إبراهيم المشني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٦هـ.

📖 **المساجد والقصور في الأندلس**: السيد عبد العزيز سالم،

مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٦م.

📖 **المسند:** أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: مؤسسة الرسالة، بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، بيروت الطبعة الأولىٰ ١٤١٩هـ.

📖 **المسند:** أبو داود الطيالسي، مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن، دار الكتاب اللبناني، دار التوفيق، الطبعة الأولىٰ، ١٣٢١هـ.

📖 **مشكاة المصابيح:** محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.

📖 **مطمح الأنفس ومسرح التأنّس في ملح أهل الأندلس:** أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان بن عبد الله القيسي الإشبيلي، تحقيق: محمد علي شوابكة، دار عمار، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٣.

📖 **معجم الأدباء:** ياقوت الحموي الرومي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٣م. وطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩٩م.

📖 **معجم المؤلفين. تراجم مصنفي الكتب العربية:** عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

📖 **معجم مصطلحات توثيق الحديث:** علي زوين، مكتبة النهضة

العربية، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٧هـ.

📖 **معجم المصنفات الواردة في فتح الباري:** مشهور سلمان، دار الهجرة، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٢هـ.

📖 **معجم مقيّدات ابن خلكان:** عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٧هـ.

📖 **معجم المناهي اللفظية:** بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ.

📖 **المعجم الوسيط:** قام بإخراج هذه الطبعة: إبراهيم أنيس وآخرون، أشرف علىٰ الطبع: حسن علي عطية، محمد شوقي أمين، دار الفكر.

📖 **معرفة علوم الحديث:** محمد بن عبد الله الحافظ النيسابوري، بعناية: د. السيد معظم حسين، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٣٧٩هـ.

📖 **المُغرب في حُلىٰ المَغرب:** علي بن موسىٰ بن سعيد المغربي، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، طبعة ثالثة منقّحة.

📖 **المقتبس في أخبار بلد الأندلس:** حيان بن خلف بن حيان القرطبي، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م، قطعة منه. وقطعة أخرىٰ، بتحقيق: محمود

علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٣م.

📖 **مقدمة ابن خلدون:** عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق: د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الثالثة.

📖 **المقنع في علوم الحديث:** سراج الدين الأنصاري، تحقيق: عبد الله يوسف الجديع، دار فواز، الإحساء، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٣هـ.

📖 **مناقب الشافعي:** أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة.

📖 **المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد:** عبد الرحمن بن محمد العليمي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

📖 **منهج النقد عند المحدثين نشأته وتاريخه:** د. محمد مصطفىٰ الأعظمي، مكتبة الكوثر، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ.

📖 **المنهل الرويّ:** بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

📖 **الموازنة بين مسنديْ الإمامين أحمد بن حنبل وبقيّ بن مخلد (ضمن المجموعة الثانية من رسائله):** عبد الحق الهاشمي، مطابع سحر، جدة.

📖 **المؤتلف والمختلف**: علي بن عمر الدارقطني البغدادي، تحقيق: د. موفق بن عبد الله عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٦هـ.

📖 **الموطأ**: الإمام مالك بن أنس، رواية يحيىٰ بن يحيىٰ الليثي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥هـ.

📖 **الموطآت للإمام مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نذير حمدان، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٢هـ.

📖 **ميزان الاعتدال**: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة.

📖 **النثر الفني في القرن الرابع**: د. زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، لبنان.

📖 **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**: محمد بن محمد بن عبد الله الحمودي الحسني المعروف بالشريف الإدريسي، تحقيق: طائفة من العرب والمستشرقين، مكتبة الثقافة الدينية، مصر.

📖 **نزهة النظر**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مكتبة جدة، جدة، ١٤٠٦هـ.

📖 **نظام الحكومة النبوية المسمّىٰ (التراتيب الإدارية)**: عبد الحي الكتاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

📖 **نظم المتناثر من الحديث المتواتر**: جعفر الحسني الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٣هـ.

📖 **نفح الطيب من غُصن الأندلس الرطيب**: أحمد بن محمد

المقّـري التلمسـاني، تحقيـق: د. إحسـان عبـاس، دار صـادر، ١٤٠٨هـ.

📖 **هديّة المغيث في أمراء المؤمنين في الحديث:** محمد حبيب الله الشـنقيطي، تحقيـق: رمـزي سـعد الـدين دمشـقية، دار البشـائر الإسلامية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٠هـ.

📖 **الوسـيط في علـوم ومصـطلح الحـديث:** د. محمـد بـن محمـد أبو شهبة، عالم المعرفة، جدة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٣هـ.

📖 **وفيـات الأعيـان وأنبـاء أبنـاء الزمـان:** شـمس الـدين أحمـد بـن محمـد بـن أبـي بكـر بـن خلكـان، تحقيـق: إحسـان عبـاس، دار صادر، بيروت.

📖 **يتيمـة الـدهر:** عبـد الملـك بـن محمـد بـن إسـماعيل الثعـالبي النيسابوري، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ، ١٩٧٩م.

مُحتويَات الكِتَاب

تقديم فضيلة الأستاذ الدكتور/ أكرم ضِياء العُمَرِي ٤
المقدمة ٧
التمهيد: التعريف بقرطبة ٢٤
أولًا: مــوقعها ٢٥
خِطَطها وآثارها ٢٧
فتــحها ٣١
ثانيًا: الحالة السياسية ٣٤
الولاة الأمويون في الأندلس من سنة (٩٢) إلىٰ (١٣٨هـ) ٤٠
أمراء وخلفاء بني أمية في الأندلس من سنة (١٣٨) إلىٰ سنة (٤٢٢هـ) ٤٢
ثالثًا: الحالة الاجتماعية ٤٤
١- العرب ٤٤
٢- البربر ٤٦
٣- المسالمة والمولَّدون ٤٦
٤- الصقالبة ٤٦
رابعًا: الحالة العلمية ٥٠

الباب الأول:

مؤسسات الحديث بقرطبة ومناهجها ودور الدولة في حركة الحديث بها

الفصل الأول: أماكن تدريس الحديث ونشره ٦٠
أولًا: المكاتب ٦١
ثانيًا: المساجد ٦٥

ثالثًا: المكتبات ٧٥
رابعًا: دُور العلماء ٨٠
خامسًا: مجالس الأمراء ٨٢
سادسًا: أماكن أخرىٰ ٨٤
الفصل الثاني: كتب الحديث وعلومه، وطرق تدريس الحديث ونشره ٨٥
المبحث الأول: أشهر كتب الحديث وعلومه التي دخلت قرطبة ٨٦
المبحث الثاني: طرق تدريس الحديث ونشره ١١٥
أولًا: السماع من لفظ الشيخ أو العرض عليه ١١٥
ثانيًا: الإجازة ١١٧
ثالثًا: مذاكرة الحديث ١١٩
رابعًا: النسخ ١١٩
خامسًا: الفتاوىٰ ١٢٠
سادسًا: المناظرات ١٢١
سابعًا: الخُطب ١٢٢
ثامنًا: تأليف الكتب ١٢٣
الفصل الثالث: النظام الدراسي وآداب الطلاب بها ١٢٤
توطئة ١٢٥
المبحث الأول: النظام الدراسي للطلاب ١٢٧
المبحث الثاني: آداب الطلاب وسلوكياتهم ١٣٢
أولًا: الزي واللباس ١٣٣
ثانيًا: الدافع وراء طلب العلم ١٣٤
ثالثًا: الإنفاق والبذل في سبيل طلب الحديث ١٣٥

رابعًا: الحرص علىٰ الطلب والتلهُّف علىٰ السماع ١٣٧
خامسًا: المصاحبة والمرافقة أثناء الطلب ١٣٨
سادسًا: طول الطلب والإكثار من السماع ١٣٩
سابعًا: فحص الشيوخ والتدقيق في مروياتهم ١٤٢
ثامنًا: اهتمامهم بحفظ الحديث ١٤٤
الفصل الرابع: دور الدولة في حركة الحديث بقرطبة ١٤٨
المبحث الأول: دخول الأمراء والخلفاء وأتباعهم في طلب الحديث ... ١٤٩
المبحث الثاني: اهتمام الدولة بالمحدثين ١٦٢
توطئة ١٦٣
المطلب الأول: رِفعة منزلتهم في الدولة والصدور عن رأيهم ١٦٤
المطلب الثاني: حماية الدولة للمحدثين ١٦٩
المطلب الثالث: عطاء المحدثين وصلاتهم ١٧٥
المبحث الثالث: اهتمام الدولة بأماكن التدريس وكتب الحديث ١٧٩
المطلب الأول: اهتمامها بأماكن التدريس ١٨٠
المطلب الثاني: اهتمامها بكتب الحديث ١٨٢

الباب الثاني:

أشهر المحدثين بقرطبة، وبيان جهودهم العلمية والتربوية

الفصل الأول: التعريف بأشهر المحدثين في قرطبة ١٨٦
توطئة ١٨٧
زياد بن عبد الرحمن شبطون (ت٢٠٤هـ) ١٩٢
نسبه وولادته ١٩٢

منزلته وصفاته ١٩٢
رحلاته وشيوخه ١٩٤
طلابه ومؤلفاته ١٩٥
وفاتـه ١٩٧
يحيىٰ بن يحيىٰ الليثي (ت٢٣٤هـ) ١٩٨
نسبه وولادته ١٩٨
طلبه للعلم ١٩٨
رحلاته وشيوخه ٢٠٠
منزلته وصفاته ٢٠١
تلاميذه ومؤلفاته ٢٠٣
وفاتـه ٢٠٥
عبد الملك بن حبيب القرطبي (ت٢٣٨هـ) ٢٠٦
نسبه وولادته ٢٠٦
رحلاته وشيوخه ٢٠٦
مكانته وما تحومل عليه به ٢٠٧
طلابه ومؤلفاته ٢١٤
وفاتـه ٢١٦
بَقِيُّ بن مَخْلَد القرطبي (ت٢٧٦هـ) ٢١٨
نسبه وولادته ٢١٨
رحلاته وشيوخه ٢١٨

مكانته ومنزلته ٢٢١
محنته مع علماء عصره ٢٢٣
تلاميذه ومؤلفاته ٢٢٥
وفاته ٢٢٩
محمد بن وضَّاح القرطبي (ت٢٨٧هـ) ٢٣٠
نسبه ومولده ٢٣٠
رحلاته وشيوخه ٢٣١
منزلته ومكانته ٢٣٣
تلاميذه ومؤلفاته ٢٣٥
وفاته ٢٣٧
أحمد بن خالد الجباب (ت٣٢٢هـ) ٢٣٨
نسبه ومولده ٢٣٨
رحلاته وشيوخه ٢٣٨
منزلته ومكانته ٢٤٠
طلابه ومؤلفاته ٢٤١
وفاته ٢٤٢
محمد بن عبد الملك بن أيمن القرطبي (ت٣٣٠هـ) ٢٤٣
نسبه ومولده ٢٤٣
رحلاته وشيوخه ٢٤٣
مكانته ومنزلته ٢٤٤

طلابه ومؤلفاته..... ٢٤٥
وفاته..... ٢٤٦
قاسم بن أصبغ البيَّاني (ت٣٤٠هـ)..... ٢٤٧
نسبه ومولده..... ٢٤٧
رحلاته وشيوخه..... ٢٤٧
منزلته ومكانته العلمية..... ٢٤٩
طلابه ومؤلفاته..... ٢٥١
وفاته..... ٢٥٢
خالد بن سعد القرطبي (ت٣٥٢هـ)..... ٢٥٣
نسبه ومولده..... ٢٥٣
شيوخه ورحلاته..... ٢٥٣
منزلته ومكانته..... ٢٥٥
طلابه ومؤلفاته..... ٢٥٥
وفاته..... ٢٥٦
عبد الله بن محمد ابن الفرضي (ت٤٠٣هـ)..... ٢٥٧
نسبه ومولده..... ٢٥٧
رحلاته وشيوخه..... ٢٥٧
منزلته ومكانته..... ٢٥٩
طلابه ومؤلفاته..... ٢٦٠
وفاته..... ٢٦١

الفصل الثاني: جهود المحدثين العلمية.....٢٦٣

المبحث الأول: موقف علماء قرطبة من الحديث وفقهه ٢٦٤

المبحث الثاني: مؤلفاتهم في الحديث وعلومه ٢٧٤

المبحث الثالث: آراؤهم ومشاركاتهم في علوم الحديث ونقد الرجال...٢٨٩

المطلب الأول: آراؤهم ومشاركاتهم في مصطلح الحديث ٢٩٠

المطلب الثاني: آراؤهم ومشاركاتهم في نقد الرجال.....٣٠٢

الفصل الثالث: جهود المحدثين التربوية وعلاقاتهم بطلابهم.....٣٠٧

أولًا: اكتشاف الطالب والاجتهاد في تعليمه ٣٠٩

ثانيًا: المثابرة علىٰ تعليم الطلاب والصبر علىٰ ذلك.....٣١١

ثالثًا: قيام علاقات علمية خاصة بين المحدّث والطالب.....٣١٣

رابعًا: توجيه الطلاب إلىٰ العلم وتبصيرهم به.....٣١٧

خامسًا: مساعدة الطلاب وبذل الوجه لهم.....٣٢٠

سادسًا: التربية علىٰ احترام العلماء ومعرفة حقّهم.....٣٢١

الباب الثالث:

الصِّلات العلمية لمدرسة الحديث بقرطبة

التمهيد: الرحلة وأثرها في الصِّلات العلمية لمدرسة الحديث بقرطبة ٣٢٦

النقطة الأولىٰ: أهمية الرحلة وأسبابها ومدتها وتكرارها عند محدثي قرطبة ...٣٢٧

النقطة الثانية: الصحبة خلال الرحلة.....٣٣٨

النقطة الثالثة: الصعوبات التي واجهتهم أثناء الرحلة.....٣٤٢

الفصل الأول: صِلات مدرسة الحديث القرطبية بغيرها من الأمصار.....٣٤٧

المبحث الأول: طلاب قرطبة الذين رحلوا إلىٰ الأمصار وأبرز المحدثين الذين سمعوا منهم ٣٤٨

المطلب الأول: طلاب الحديث الذين رحلوا من قرطبة والمدن التي دخلوها ٣٥١

المطلب الثاني: أبرز العلماء الذين سمع منهم طلاب الحديث القرطبيون في المغرب والمشرق.....٣٧٦

المبحث الثاني: الفوائد التي حصّلها الطلاب أثناء الرحلة، وأثرها عليهم ٣٨١

الفصل الثاني: صلات الأمصار الأخرىٰ بمدرسة الحديث القرطبية ٣٩٠

توطئة.....٣٩١

المبحث: هجرة الأندلسيين والمشارقة إلىٰ قرطبة وأبرز المحدثين الذين سمعوا منهم بها ٣٩٥

المطلب الأول: هجرة الأندلسيين والمشارقة إلىٰ قرطبة، والمدن التي هاجروا منها.....٣٩٦

المطلب الثاني: أبرز المحدثين الذين سمع منهم الغرباء في قرطبة.....٤١٢

الخاتمة ٤٢٠

فهرس بأهم المصادر والمراجع ٤٢٤

محتويات الكتاب ٤٥٠

تم بحمد الله